الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي (ت 1895)

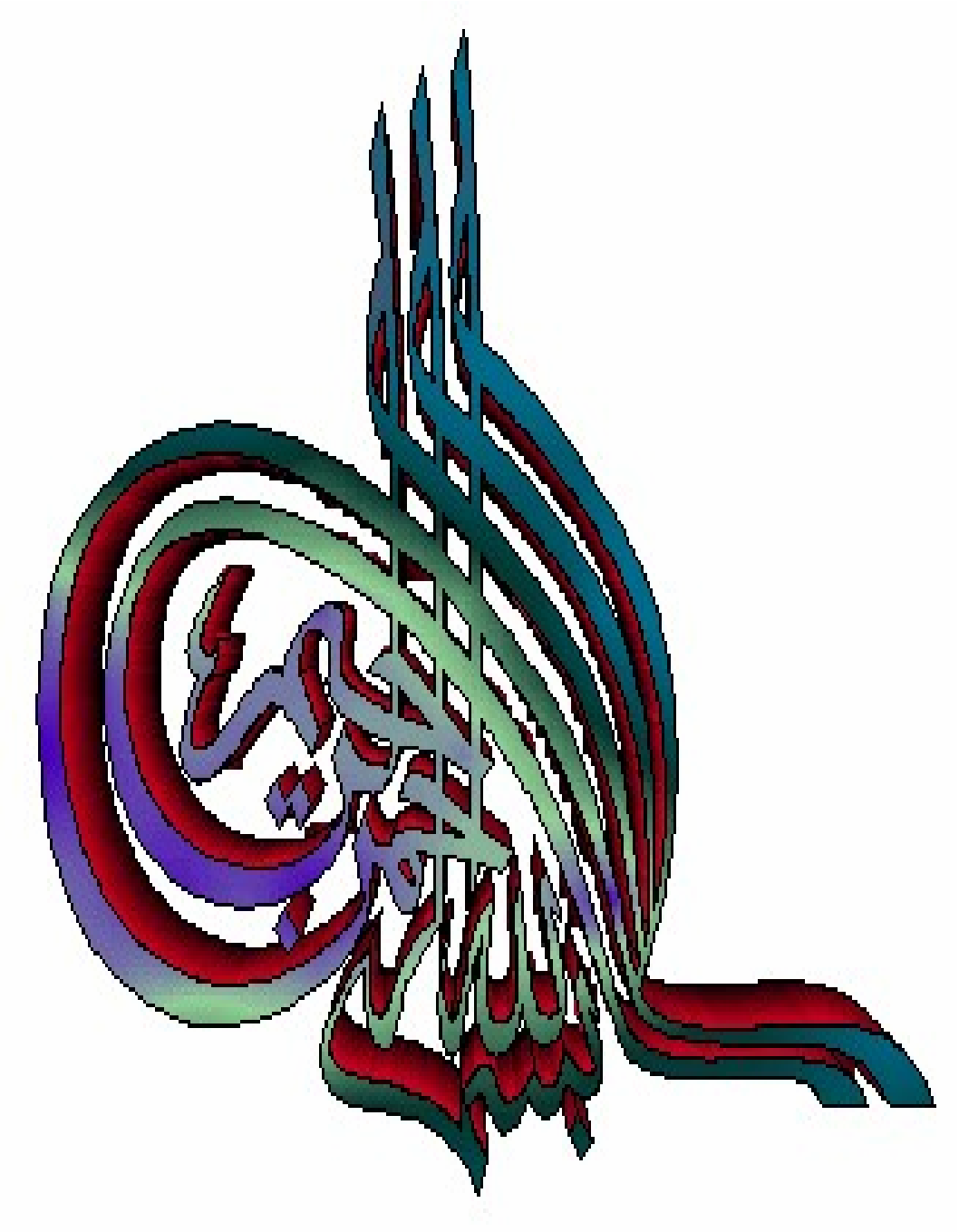
حياته وآثاره

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطالب:
عبد الحق شرف

بإشراف
أ. د. عبد المجيد بن نعمية

السنة الجامعية: 1427- 1428هـ
2006- 2007م



قائمة المختصرات

ج: الجزء

مج: مجلد

ط: الطبعة

د ط: دون طبعة

د ت: دون تاريخ

ع: عدد

ص: صفحة

ص ص: من الصفحة كذا إلى الصفحة كذا

Ibid : المرجع نفسه

N : Numéro

Op. Cit : المرجع السابق

R.A : Revue Africaine

R.M.M : Revue de Monde Musulman

A.M : Archive Marocaine

الإهـــداء

إلى التي حملتني كرها ووضعتني كرها . . .إلى التي حملتني وهنا على وهن . . .إلى التي سهرت الليالي من أجل أن أحيا شابا يافعا . . .إلى أمي الحنون الغالية أطال الله في عمرها .

إلى الذي رباني صغيرا وصاحبني كبيرا . . .إلى النبراس الذي أنار لي درب العلم والمعرفة فاهتديت به وسرت على خطاه. . .إلى الذي نهلت منه المبادئ والخصال الكريمة فكانت لي خير سند . . .إلى ذخري وكنزي وسندي حال الشدائد . . .إلى والدي الكريم حفظه الله وأطال في عمره .

إلى إخوتي: بن يحي، بن دحو وزوجته وابنه فاطمة، محمد ، والصغير المشاكس عبد العزيز، اللبية وزوجها الهواري وأسرته كل باسمه، وأختي الصغيرة المدللة آمنة .

إلى ابن عمي الدكتور عبد القادر شرف وزوجته وأسرتيهما كل باسمه .

إلى رفيقي دربي في هذه الحياة امحمد ومصطفى وأسرتهما .

إلى أعمامي وعماتي، أخوالي وخالاتي .

إلى مدير مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية الذي احتضننا وتعهدنا بالرعاية، وإلى جميع أعضاء المخبر .

إلى الثلاثي المرح، عبد الرحمن، فؤاد ، وعبد الغفار .

إلى جميع أعضاء دفعة الماجستير 2004-2005، سكينة، آمال، فردوس، وبحتة .

إلى أستاذتي الكريمة بلهاشمي .

أهدي ثمرة هذا الجهد . . .

شكر وامتنان

في نهاية هذا البحث،

أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى شيخي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية على قبوله الإشراف على هذا البحث أولا، ثم لتكبده عناء قراءة وتصحيح وتصويب ما بدر من البحث من أخطاء، حتى وصل بي إلى برّ الأمان.

كما أتقدم بالشكر العميم إلى السادة أعضاء اللجنة الموقرة على تجشّمهم تعب قراءة هذا البحث، وإبداء ملاحظاتهم وتصويباتهم حوله، وأخص بالذكر:

الدكتور محمد بن معمر، الذي ما فتئ وما انفكّ يوجه لي النصح والإرشاد، ويزودني بالمراجع الضرورية لموضوع البحث.

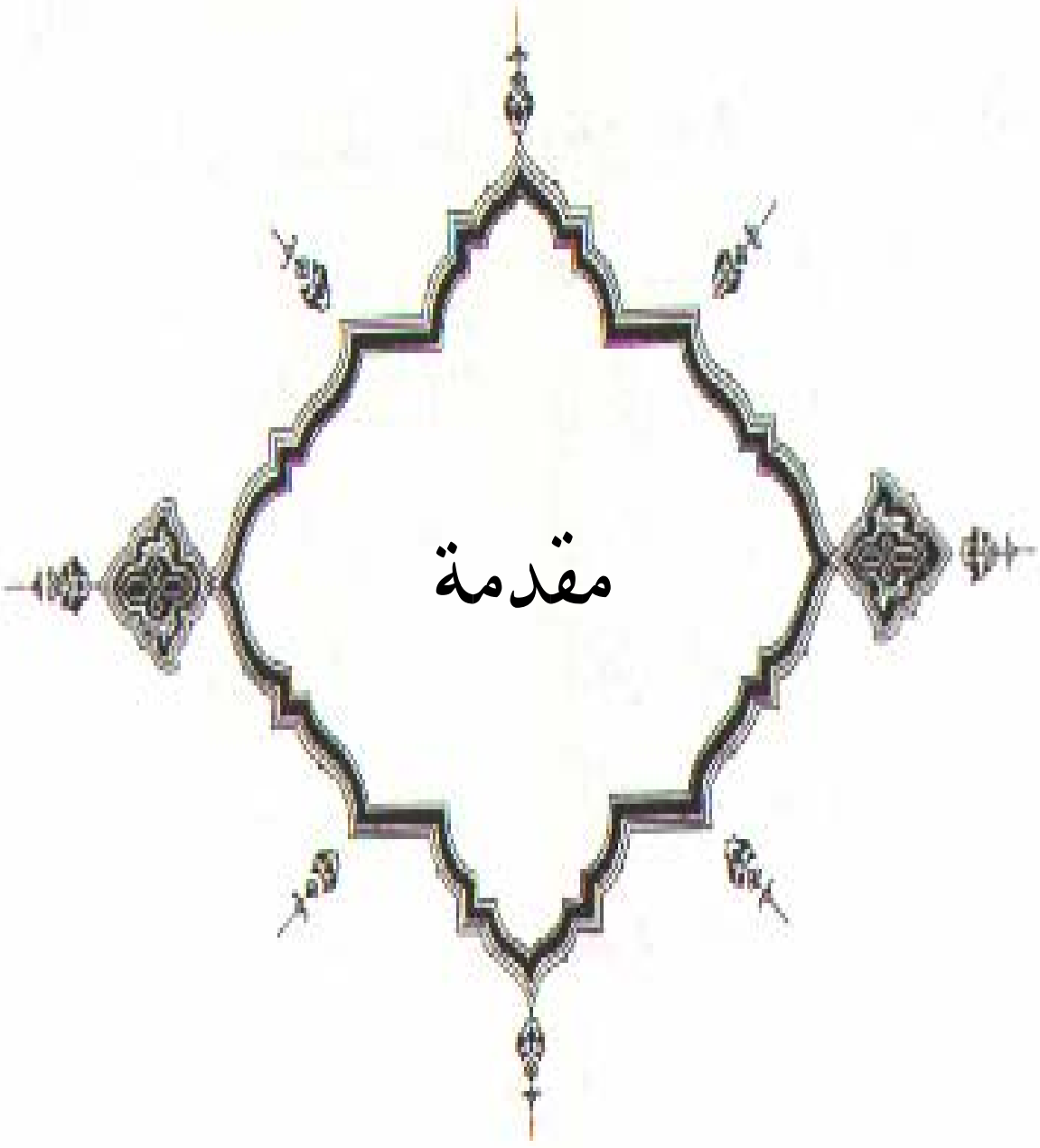
الدكتور بوعصابنة سليمان لقمان عمر، الذي عهدناه شيخا في التاريخ، وألفيناه محققا ومنقحا وناقدا للتراث المخطوط، فكان لي خير سند في هذا العمل.

الدكتورة بوجمعة جهيدة، التي عهدناها أمّا حنونا بثغرها الباسم ومحياها الصادق، وأستاذة نصوحة في الكثير من أطراف الموضوع.

كما لا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى أستاذي الكريم الدكتور الجيلالي سلطاني، لحرصه على إتمام هذا البحث وإخراجه إلى النور في أحسن حلّة، فله منا أحسن التقدير وجميل العرفان.

وإلى جميع أساتذتي في قسم الحضارة الإسلامية، الحمدي أحمد، بوركبة محمد، عبد الحميد مقاديم، الهواري ملاح...

ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله.


مقدمة

برزت عدة عائلات علمية في منطقة معسكر، توارثت العلم أبا عن جد، ومن أبرزها عائلة المشارف، التي لم تكن نقابة الأشراف تتعداها إلى غيرها من العائلات، ردحا غير يسير من الزمن.

وقد تخرج من هذه العائلة عدد من العلماء، أخذوا على عاتقهم نشر العلوم وتلقينها لأبناء المنطقة، ومن أهمهم الشيخ عبد القادر المشرفي العالم الكبير، وابنه الطاهر القاضي الأديب، وحفيده محمد بن عبد الله سقاط المشرفي، العالم الكبير.

ومع بداية القرن التاسع عشر، ولد لهذه العائلة عالم آخر، سيكون له شأن كبير في المستقبل العلمي للعائلة، ونقصد به العربي المشرفي، العالم الهجاء الكبير.

وإلى غاية الثمانينات من القرن الماضي، كانت هذه الشخصية مغمورة، مجهولة عند السواد الأعظم من الباحثين الجزائريين، إلى أن أزال عنها الأستاذ أبو القاسم سعد الله، غطاء النسيان في مقاله المنشور بمجلة الثقافة لسنة 1981م، والموسوم بـ:"مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير".

ومع أن محاولة أبو القاسم سعد الله – إنصافا- تعد اللبنة الأولى للتعريف بهذا العلَم، الذي بالرغم من مرور حوالي ربع قرن من صدور هذا المقال، فإنه إلى حد الساعة لم تفرد له دراسة خاصة، سواء للتعريف به، أو بآثاره الغزيرة، التي ما يزال أغلبها مخطوطا، بل إن هذه الدراسات بقيت من اهتمامات الباحثين المغاربة، الذين تفطّنوا لأهمية هذا العالم ومؤلّفاته القيمة، فراحوا يدرسونها، ويحقّقون بعضها، ومع ذلك لم يفردوا له دراسة خاصة، للتعريف به وبحياته، واعتبروه عالما مغربيا بالهجرة.

ولأجل ذلك، جاء البحث في حياة العربي المشرفي وآثاره محورا لهذه الدراسة، للتعريف برواد وأعلام الحركة الفكرية بالجزائر، خلال القرن التاسع عشر.

ومن الأسباب التي دفعت لتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل، هو عدم وجود دراسة علمية أكاديمية تخضع للشروط المنهجية، حول هذه الشخصية، التي ورغم كثرة تآليفها في ميادين مختلفة، فإنها لم تحظ بالعناية اللازمة الكافية، اللهم إلا ما ورد بين طيات بعض الكتب، من معلومات قليلة لا تف بالغرض المطلوب.

ومع أنه قد تمت دراسة وتحقيق بعض مخطوطاته، فإننا لا نبخس هذه الدراسات حقّها – وقد حصلنا على عمل واحد من بين أربع أعمال منها- بل نعتبرها كلبنة أولى، لإنجاز هذا البحث، والتعريف بالمشرفي وأهم آثارها العلمية.

وقد جاءت هذه الدراسة، لسد ثغرة من الثغرات الكبيرة في هذا الجانب، ولمّ شمل المشرفي بوطنه الذي كان يحن إليه وهو بالمهجر.

إن القيمة العلمية لهذا العمل، تتأكد من خلال تناوله لفترة زمنية جد حرجة من تاريخ الجزائر، صادفت نهاية الحكم العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي، وأجبرت النخبة العالمة والعربي المشرفي من ضمنها، على الهجرة إلى البلدان الإسلامية. فهل كانت حركات الهجرات الجماعية إلى هذه البلدان خاصة المغرب الأقصى، عشية الاحتلال، ثم بعد انهزام الأمير عبد القادر في معركة عين طاقين، سببا ومبررا كافيا لذلك، وما هي أهم النتائج المترتبة عن ذلك؟ وكيف ساهم هؤلاء العلماء في إثبات وجودهم هناك بالمغرب؟ وكيف اتسم مردودهم العلمي خاصة في وجود طبقة من خيرة علماء فاس؟.

ولهذا فقد جاء البحث للإجابة عن هذه الإشكالية، وعن مجموعة من التساؤلات الأخرى وأهمها:

- ما أهي أهم الأحداث التي اتسم بها عصر المشرفي، وإلى أي حد تأثّر بها؟.

- كيف نشأ العربي المشرفي وترعرع، في ظل الفترة الانتقالية للجزائر، من الحكم العثماني، إلى الاحتلال الفرنسي؟.

- كيف قابل المشرفي، احتلال الفرنسيين لمدينة معسكر مسقط رأسه؟ وهل كان خيار الهجرة بديلا عن اشتداد الضغط والتنكيل الذي مارسته في حقهم السلطات الاستعمارية؟ وهل كانت هجرته بسبب سقوط المدينة فريسة في يد الاحتلال؟.

-كيف عاش المشرفي بدار الهجرة، المتمثلة في المغرب؟، وكيف أثّر وتأثّر داخل المجتمع الفاسي؟، وكيف كانت علاقاته الاجتماعية هناك؟.

- ما هي أهم آثاره التي خلّفها؟، وما هي الفائدة التي يمكن الوقوف عليها تاريخيا، من هذا التراث الزاخر؟.

ولأجل الإجابة عن إشكالية البحث وتساؤلاته، كان ولابد اعتماد منهج تاريخي معين، لذلك تم الاستناد على المنهج التاريخي التحليلي، حيث تم اعتماد النصوص التاريخية المستقاة من مصادرها الأصيلة، وتحليلها ومقارنتها، ببعض الروايات الواردة في المصادر الأخرى، التي تناولت الموضوع، أو طرقته من إحدى جوانبه، كما حاولت الدراسة، ألا تخرج عن إطارها العام المحدد لها سلفا، من كونها مرتبطة بحياة العربي المشرفي، وأحوال عصره، وكيف تأثّر بها.

وقد واجهت هذا البحث، عدة صعوبات تمثّلت أساسا في صعوبة الحصول على أهم مخطوطات المشرفي، وقد أجريت في هذا الإطار عدة اتصالات ومراسلات بين الباحث والدكتور حسن الصادقي جامعة محمد الخامس بالرباط، من أجل الحصول على بعضها، لكن وقع ما لم يكن متوقعا، حيث إن معظم هذه المخطوطات لم نستطع الحصول عليها، لصعوبة تصوير بعضها بسبب الحالة السيئة التي آلت إليها، أو لأن البعض منها في إطار التحقيق في رسائل الدكتوراه، والبعض الآخر كان عدم تصويرها متعمدا، حيث ضيع علينا انتظار وترقب الحصول عليها، من الوقت الكثير، وبالرغم من ذلك، فإنه تم الحصول على ستة منها، تم من خلالها محاولة دراسة حياة المشرفي.

وإلى جانب ذلك، فقد وجدت صعوبات أخرى أعاقت السير الحسن لهذه الدراسة، تمثلت في تكتم بعض مالكي مخطوطات المشرفي، ورفضهم تزويدنا بها. أما عن مصادر ومراجع موضوع البحث المطبوع منها خاصة، فقد تم اقتناء بعضها من المغرب أملا في سد ثغرة من ثغرات البحث.

ولا شك أن العربي المشرفي، لم يكن غريبا عن الأوساط الفكرية المعاصرة له واللاحقة، سواء بفاس، أو بالمدن المغربية الأخرى. ولذلك كان الأمل كبيرا، في الحصول على مادة علمية غزيرة عن حياته، إلا أنه وبعد التنقيب عن تفاصيل حياته، في المصادر المعاصرة له وحتى اللاحقة، وجدنا فيها مادة علمية شحيحة وغير كافية، حيث إن معظم من ترجموا له لم ينصفوه، باستثناء عباس بن إبراهيم في كتابه "الإعلام"، وابن سودة في "إتحاف المطالع"، اللذان حاولا رسم صورة موسعة عن حياته، فلم يخرجا بطائل، ولم تكن المعلومات الواردة فيهما كافية، ولا تكاد تسلّط الضوء الكافي على حياته وآثاره.

وإذا كانت المصادر قد أغفلت ترجمته، فإن العربي المشرفي، قدم لنا معلومات هامة عن حياته، وجاءت مؤلّفاته مصدرا هاما في هذا الإطار، حيث عرف بنفسه، ورحلاته، واتصالاته، ومشاهداته، وتلاميذه، ومع ذلك تبقى المادة التي قدمها المشرفي، في كتاباته عن حياته، لا تف بالغرض المطلوب، في بعض جوانب الموضوع، خاصة ما تعلق بحياته بمدينة معسكر قبيل الاستعمار، وعائلته، وآبائه، وأعمامه، وقد يكون ذلك مودعا في جزء كبير من مؤلفاته المفقودة.

ومع ذلك، فقد جاءت مؤلفّات المشرفي، ضمن لائحة المصادر الأساسية للموضوع، وساهمت إلى حد كبير في جبر الكسر الكبير المسجل على مادة البحث، ولذلك تم الركون في دراسة ونقد مصادر ومراجع البحث، إلى تصنيفها على النسق التالي:

أ- المصادر المخطوطة التي ألّفها المشرفي:

1- **ذخيرة الأواخر والأول**: وهو العمدة في دراسة حياة العربي المشرفي وآثاره، حيث أنه عمد إلى ذكر شيوخه الذين تتلمذ لهم، في معسكر ومستغانم ووهران وتلمسان، كما ضمنه لائحة مؤلفاته إلى تاريخ تأليفه لهذا الكتاب.

كما أنه مصدر مهم حوى الكثير من الإشارات التاريخية ذات الأهمية الكبيرة، والتي تخدم الموضوع كثيرا، وفي جلّ فتراته تقريبا.

2- **ياقوتة النسب الوهاجة**: ويعتبر هذا المخطوط من المصادر الأساسية التي لا غنى للباحث عنها في هذا الموضوع، ذلك لأن المشرفي دون فيه قائمة طويلة لحوالي عشرة من شيوخه الذين تتلمذ عليهم، كما أشار فيه لأحد أبرز تلاميذه مصطفى المشرفي مفتي فاس وقاضي الحياينة.

3- **ديوان المشر**في: وهو من المخطوطات الأساسية، التي زودت البحث بمادة علمية مهمة في بابها، لكونه اشتمل في الفصل الرابع من خاتمته، على بيبليوغرافية هامة عن حياة المشرفي، ونسبه، ودراسته، وشيوخه.

4- **رحلة إلى نواحي فاس**: هذه الرحلة وعلى صغر حجمها الذي لا يتعدى العشر صفحات، فقد جاءت مفيدة جدا، لما حوته من معلومات تاريخية مهمة، لم توفّرها بقية المصادر

الأخرى، وتمثلت أساسا في رسم صورة واضحة المعالم، لحياة المشرفي حين عزم الاستقرار بفاس.

5- **الرد على أبي راس**: وهذا المخطوط، هو من نوادر ما ألّف العربي المشرفي، حيث ضمنه معلومات هامة زمن دراسته بوهران سنة 1824م، وأبدى فيه رأيه حول الأتراك، في حبهم للعلماء وتذللهم بين يديهم، رغم ما عرف عنهم من جور وظلم.

كما أن هناك مجموعة أخرى من مؤلّفات المشرفي، اشتركت في الكثير من المعلومات الواردة بين طياتها، والتي تعطينا في مجملها، صورة موسعة عن حياة المشرفي، وما خلّفه من آثار في عدد من الفنون.

6- **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس:** وقد ضمنه المشرفي، معلومات مهمة عن قراءاته في التاريخ والآداب ساهمت في إماطة اللثام عن جملة من القضايا المهمة، خاصة ما له علاقة بانتمائه الطرقي الدرقاوي، وأورد بين طياته فوائد تاريخية جمة، كما عرف فيه بجملة من فقهاء وعلماء عصره.

ب- المصادر المعاصرة واللاحقة:

1- **تحفة الزائر**: لمحمد بن الأمير عبدالقادر، وقد كان هذا المؤلّف من ضمن المصادر الأساسية، التي تم الاعتماد عليها في دراسة عصر المشرفي، خاصة ما تعلّق منها بمقاومة الأمير عبد القادر.

2- **حياة الأمير عبد القادر**: لشارل هنري تشرشل، وقد كان الاعتماد عليه كسابقه، في إعطاء نظرة عامة حول مقاومة الأمير عبد القادر، التي كان المشرفي ممن شاركوا فيها.

3- **طلوع سعد السعود**: للآغا بن عودة المزاري، والذي أعطانا صورة موسعة عن الأحداث التي عاشتها الناحية الغربية من الجزائر.

ومثله في الأهمية نجد كل من **دليل الحيران** لابن يوسف الزياني، **والثغر الجمان**ي لابن سحنون الراشدي.

4- **الحلل البهية** في **ذكر ملوك الدولة العلوية:** لمحمد بن مصطفى المشرفي، تلميذ العربي المشرفي المشهور، وقد جاء هذا المصدر غنيا بالإشارات والمعلومات التاريخية المتعلقة

بالمشرفي. حيث عمد صاحبه إلى ذكر العديد من القصائد الشعرية لشيخه العربي المشرفي، وبعضا من ردوده على معاصريه.

5- **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**: لابن سودة، وقد ذكر فيه مجموعة كبيرة من تآليف المشرفي، مع تعريف مقتضب لبعضها.

6- **إتحاف المطالع بوفيات القرنين الثالث والرابع**: لابن سودة السابق الذكر، وقد ترجم فيه ترجمة موجزة للعربي المشرفي، بيد أن الأهمية الكبيرة لهذا المصدر، تكمن في كونه ساعد في التعريف ببعض أعلام عصر المشرفي والترجمة لها، ولذلك جاء مصدرا فريدا في بابه، لعدم توفّر هذه التراجم في مصادر أخرى.

7- **رياض الجنة**: أو المدهش المطرب، لعبد الحفيظ الفاسي. هذا المؤلف وإن كان الاعتماد عليه قليلا جدا، فقد وردت بين دفتيه إشارة تاريخية مهمة لم نجد لها ذكرا حتى في مؤلفات المشرفي – التي بين أيدينا على الأقل- وتمثلت في سند روايته عن شيخه سقاط، عن علمائه.

8- **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**: وهو مصدر مهم، لما ورد بين طياته من معلومات مستفيضة أفادت البحث كثيرا، ثم تلك النقول المهمة عن كتاب الشمقمقية للعربي المشرفي، والتي توحي في معظمها عن القيمة الكبرى التي حظيت بها مؤلّفات المشرفي، داخل الأوساط العلمية المغربية.

كما أن التقرير المفصل الذي نشره ميشو بلير *Micheaux Béllere*، ضمن الأرشيف المغربي سنة 1907م ومجلة العالم الإسلامي لنفس السنة، عن المهاجرين الجزائريين إلى المغرب - وأسرة المشارف من ضمنهم- وردت فيه بعض الإشارات المهمة عن حياة العربي المشرفي بفاس، وذكر لبعض أولاده هناك.

وإلى غير ذلك من المصادر المهمة التي تجلّ عن العد، فقد بات لزاما، الاستعانة ببعض المصادر القديمة، التاريخية كتاريخ الرسل والملوك للطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، وكتاب العبر لابن خلدون، والجغرافية لتخريج بعض الأماكن الواردة ضمن هذا العمل، واعتمدنا أساسا

على معجم البلدان لياقوت الحموي، والروض المعطار للحميري، وصورة الأرض لابن حوقل، وكتب المسالك والممالك للبكري، ونزهة المشتاق للإدريسي.

وفي ذات السياق، تمّ تعزيز قائمة المصادر والمراجع بمجموعة من الأبحاث المتأخرة، التي لها صلة وثيقة بالبحث، خاصة منها مؤلفات أبي القاسم سعد الله خاصة منها موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي، وكتاب أبحاث وآراء، حيث حاول رسم صورة موسعة عن حياة العربي المشرفي مبتغى هذا الدراسة، إلا أنه لم يخرج بطائل.

كما كان لكتابات يحي بوعزيز، حضور كبير في هذا البحث، خاصة منها كتابه أعلام الفكر والثقافة، والذي عرف فيه بأسرة المشارفة وبدورها العلمي والديني في منطقة معسكر. ونفس الكلام يقال عن ناصر الدين سعيدوني وإسماعيل العربي، اللذين أعانت كتاباتهما هذا البحث كثيرا، خاصة في الفصل الأول منه.

ومن المراجع المهمة التي تم الاعتماد عليها في هذا البحث، كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، حيث تمت الاستعانة به على تخريج بعض الأعلام.

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك، أنه تم الاعتماد على قسم الدراسة من التحقيق الخاص بكتاب "أقوال المطاعين" للعربي المشرفي، والذي قام على تحقيقه الباحث لحسن فرقان بالمغرب، وقد كان الاستئناس بهذا العمل كبيرا، في فترات كثيرة من هذا البحث.

ولإضفاء جو من الحماسة على موضوع البحث، عمدت الدراسة إلى الاستعانة ببعض المراجع باللغة الفرنسية، والتي تخدم الموضوع من قريب مثل *l'Algérie vue par deux voyageur musulman en 1877*، وهو عبارة عن مقال شارك به صاحبه هنري بيريز *Henri Pérez*، في مؤتمر الجمعيات الاستشراقية بالجزائر سنة 1905، أي بعد عقد من وفاة المشرفي.

كما يمكن الإشارة عرضا إلى بعض المراجع الأخرى في نفس السياق، ومنها كتاب العلاقات العربية بين الأمير وفرنسا في شمال إفريقيا لـ *A.V.Denezen*، وكتاب تاريخ الجزائر الحديث لـ *CH.A.Julien*، ومراجع أخرى متعددة.

ولقد أنزلت هذه الدراسة، في مدخل وثلاثة فصول. أما المدخل، فقد تناول تاريخ مدينة معسكر منذ البداية ولغاية عصر المشرفي (ق19م).

وقد تناول الفصل الأول عصر المشرفي، واستهلّ الحديث فيه عن حروب درقاوة مع السلطة العثمانية (1805 – 1817)، وكذا ثورة التيجاني من عين ماضي سنة 1826، ونهاية التواجد العثماني بالجزائر، ابتداء بالحصار البحري عام 1827، إلى الاحتلال سنة 1830، وما تلاه من مقاومة شعبية بقيادة الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي قسنطينة (1830- 1848).

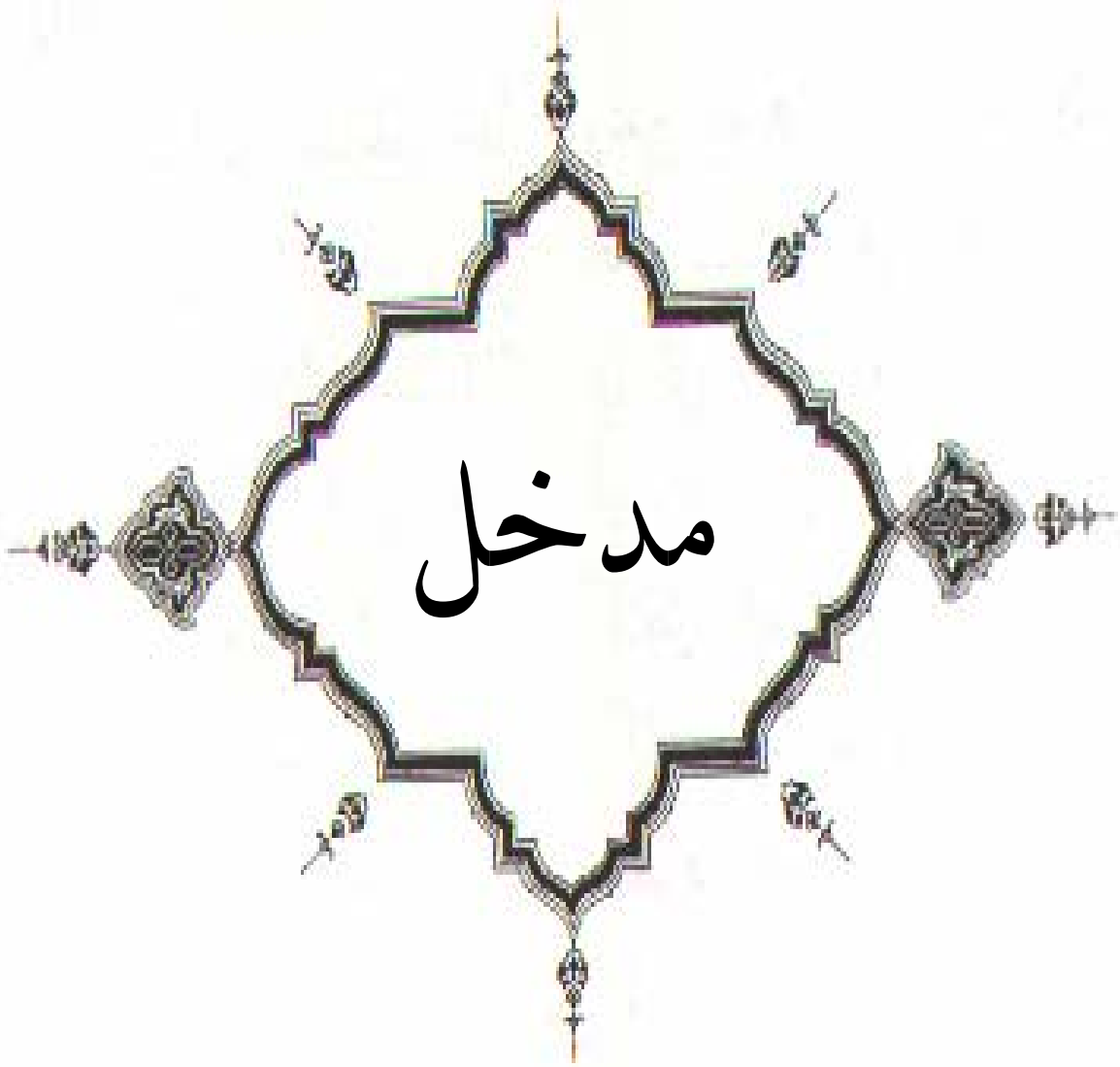
كما تم التطرق في الفصل الأول إلى الحالة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة معسكر خلال عصر المشرفي، وحال الحياة العلمية وقتذاك.

وأما في الفصل الثاني، فقد تم معالجة حياة المشرفي من المولد إلى المشيخة. وكانت البداية بذكر نبذة موجزة عن اسمه ومولده، ثم دراسته وتكوينه العلمي، وأهم الشيوخ الذين تتلمذ لهم، ليتم الكلام بعد ذلك عن هجرته إلى المغرب وظروفها، ثم اعتقاله وسجنه، واستقراره أخيرا بفاس، ويختم هذا الفصل بالحديث عن علاقاته بالنخبة العالمة هناك، مع ذكرٍ لبعض من تلاميذه وإجازاته العلمية.

كما خصص الفصل الثالث للحديث عن آثاره، فكان الكلام عن الآثار التاريخية بفروعها (التاريخ العام، تاريخ الجزائر، تاريخ المغرب، الأنساب والمناقب، الرحلات) أولا، ليتم الحديث عن آثاره في الردود والأدب وميادين أخرى ثانيا.

وقد أفضى هذا البحث أخيرا، إلى خاتمة أوجزت النتائج المتوصل إليها.

وفي الأخير، يمكن القول إن هذه الدراسة، قد أسهمت ولو بالنزر القليل، في تشكيل لبنة من لبنات دراسة تراث الجزائر عموما، والوطن الراشدي خصوصا، ولا ندعي بأي حال من الأحوال، كمال هذا العمل، بل الكمال لله وحده.


مدخل

عرف المغرب الإسلامي حملة كبيرة لبناء المدن وتشييدها، وفي منتـصف القـرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، عرفت إفريقية(المغرب الأدنى) أول استقرار سياسي، بعد أن استطاعت طلائع الفتح أن تفرض سلطانها على المنطقة. وما إن تم لهم ذلك حتى شيدوا بهـا أول مدينـة، اتخذت مركزا حربيا تجيش منه الجيوش لمواصلة واستكمال عملية الفتح[1]، ونشر مبادئ الـدين الإسلامي واللغة العربية، وكذا إحكام السيطرة على المنطقة وتأمينها من الهجومـات الأجنبيـة. ونخص بالذكر هاهنا مدينة القيروان "التي ظلت حتى منتصف القرن الثاني الهجري المركز العلمي الوحيد الذي يتوافد عليه طلاب العلم والمعرفة".[2]

وقد شهدت إفريقية (المغرب الأدنى) بعد ذلك ميلاد مدن جديدة، خاصة مدينة تـونس التي بنيت على عهد حسان بن النعمان الغساني سنة 82هـ/701م، لتؤدي دورها الكبير في حراسة القيروان من أي خطر يجيء من البحر، إلى جانب قيامها بأعمال البحر العسكرية والتجارية.[3]

وإذا كان هذا هو حظ المغرب الأدنى من تشييد المدن وتحصينها، فإن المغرب الأوسط نال قسطا أوفر في ذلك، حيث شهد تأسيس عدة مدن عريقة مثل بجاية[4]، وتيهرت، ومعسكر.

وتعتبر مدينة معسكر[5]، إحدى قلاع العلم والثقافة والجهاد في الجزائر.[6] وتعد كـذلك قاعدة الوطن الراشدي[1] الذي يحده شرقا جبل المناور، وغربا جبل كرسوط، وشمالا القلعـة[2]،

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، تحقيق يوسف محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، ط3، 1998، ص ص: 535- 536. ابن خلدون، كتاب العبر، مراجعة سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2000، ج6، ص: 108. موسى لقبال، المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن إلى نهاية ثورات الخوارج سياسة ونظم، قسنطينة: مطبعة البعث، ط1، 1969، ص ص: 25 -55. محمد بن معمر: "**الحياة العلمية** في **تيهرت إلى منتصف القرن السادس الهجري**"، مجلة الحضارة الإسلامية، تصدر عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، ع8، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م، ص: 127.

(2) المرجع نفسه، ص: 127.

(3) موسى لقبال، المرجع السابق، ص: 73. صالح بن قربة: "**حسان بن النعمان الغساني ودوره** في **نشر الإسلام بالمغرب**"، الأصالة، مجلة ثقافية تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة السابعة، محرم 1399هـ/1978م، ع 64، ص: 89.

(4) **بجاية**: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، تأسست سنة 457هـ على يدي الأمير الناصر بن علناس الحمادي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، بيروت: دار صادر، ط2، 1995م، ص: 339.

(5) يرى الأمير عبد القادر أن اسمها الأصلي هو: أم العساكر. ينظر: الأمير عبد القادر، المذكرات سير ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تحقيق صغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة، 1994، ص ص: 27- 28.

Shaw Tomas,Voyage Dans La Regence D'Algérie,Traduit de l'Englais par Mac-Carty, p:250.

(6) يحي بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م، ص: 227.

وجنوبا وادي البنيان[3]. ويورد المشرفي أن أم العساكر "مدينة عامرة الديار، واسعة الأقطار، ذات هواء طيب لا وخم فيه، قليلة العلل، كثيرة الغلل، لا تجتمع بها السفل، تنفر الفجار، وتقبل على التجار، لا تكسد السلع في أسواقها، ولا تبور المنفقين في أرزاقها".[4]

وخلال العهد الروماني، كانت معسكر عبارة عن قلعة عسكرية تحمل اسم "كاسترانوفا" *Castra Nova*، أي المعسكر الجديد، ضمن سلسلة المدن الدفاعية التي أقامها الرومان على طول خط الليمس[5] الشمالي، الذي كان يمر بعين تموشانت *Albulae*، وحمام بوحجر *Dracones*، وأربال *Regiae*، وساندونيس *Tazaccor*[6]، لتتحول بعد ذلك من مركز عسكري إلى مدينة ذات طابع روماني وتخطيط عسكري (ساحة كبيرة وسط مدينة محصنة يتوسطها معبد، مسارح وملاعب وحمامات، أسواق، دكاكين مكتبات)[7]، أما إداريا فكانت تابعة لموريطانيا القيصرية.[8]

---

(1) **الوطن الراشدي**: أو إقليم بني راشد. يمتد هذا الإقليم نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب، وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا، جهته الواقعة جنوبا كلها سهول، والواقعة شمالا كلها تقريبا مرتفعات، لكن أراضيها معا صالحة للزراعة. ينظر: الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الرباط: الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط2، 1983م، ص: 26.

(2) **القلعة**: تعرف بقلعة بني راشد أو قلعة هوارة، وهي مدينة مبنية على شكل قلعة في منحدر جبل بين الشعاب. ينظر: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ب ط، 1985م، ص: 178. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ب ط، ص: 69. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر: ش.و.ن.ت، ط2، 1985م، ص: 169.

(3) بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحسب في الفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961، ص: 33.

(4) العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن أخبار الدول، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم: 2956 ص: 52.

(5) كانت معسكر على العهد الروماني تشكل خطرا كبيرا، خاصة في عهد توحيد الممالك البربرية(مملكة سيكا، تافنة، لجدار، وسيرتا)، لذلك عمد الرومان إلى بناء حصون دفاعية في الداخل وأسموها الليمسات. ينظر: شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي وبوسلامة البشير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1969م، ص: 238.

(6) المرجع نفسه.

(7) جوليان، المرجع السابق، ص ص: 238-245.

(8) المرجع نفسه، ص: 238.

وخلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وبعد الفتح الإسلامي للمنطقـة، لجـأت قبائل بنو زروال[1] القادمة من الجنوب إلى نواحي معسكر واستقرت بهـا، لكنـها لم تعمرهـا طويلا، حيث اجتاحتها قبائل مغراوة البربرية القادمة من الشرق وذلك خـلال القـرن الثـاني للهجرة، الثامن الميلادي.[2]

وقد كانت معسكر[3] مدينة صغيرة لم يرد ذكرها إلا عرضا لدى الرحالة أمثال الشريف الإدريسي وابن حوقل النصيبي، فيذكر الإدريسي أن "المعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار، ومنها إلى جبل فرحان مارا مع أسفله إلى قرية عين الصفاصف وبها فواكه كثيرة وزروع ونعم..."[4]، ويؤكد ما ذهب إليه الإدريسي ابن حوقل بقوله أنها: "قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه".[5]

وخلال عهد بني رستم (160-296هـ/776-909م) دخلت ضمن نطاق هذه الدولـة في البداية[6]، ثم خضعت للدولة الإدريسية (172-296هـ/707-909م)، بعد ذلك ودخلت ضـمن حدودها، حيث كانت تتاخمها "من جهة الشمال الشرقي مدينة وهران ونهر شلف، ومن الجنوب سهول غريس بناحية معسكر إلى جبال مديونة قبلي فاس[7]".[8] ويشير صـاحب "روضـات

(1) **بنو زروال**: قبيلة جبلية مشهورة، تقع على شمال المغرب، يحدها شرقا قبيلة كتامة ومزيات، وغربا بنو مستارة، وسطة وبنو مزجلدة وبنو ورياغل، وجنوبا قبائل سلاس وفشتالة والجاية، وشمالا بنو أحمد وغمارة. ويوجد بها زاواي ومساجد وأضرحة، ونبغ منها ثلة من العلماء والفقهاء. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 262.

(2) عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، ط1، 2005، ص: 50.

(3) اختلف في تاريخ تأسيسها. فيرى صاحب روضات الأزهار أنها أسست في ق02هـ/08م، على يدي راشد بن المرشد القرشي. ويرى صاحب بغية الطالب في ذكر الكواكب على أنها أسست خلال ق07هـ/13م، على عهد بني زيان أمراء تلمسان، في حين يرى فريق آخر على أنها أسست في ق04هـ/ق10م ينظر: سيدي محمد الشريف، روضات الأزهار في التعريف بآل محمد المختار، مخطوط بخزانة الشيخ البشير المحمودي، البرج، معسكر، و4و. مجموع النسب والحسب، ص: 372. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ص: 227. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص: 247.

(4) المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي، حققه ونقله إلى الفرنسية محمد حاج صديق، د ت، د ط، ص: 103.

(5) أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة، ب ط، ب ت، ص ص: 88-89.

(6) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، 1994م، ص: 167.

(7) **فاس**: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجلّ مدنه قبل أن تختط مراكش، فيها عيـون كثيرة. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص: 230. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص ص: 153 – 157. الحميري، الروض المعطار، ص: 434. عبد الكريم الكتاني، زهرة الآس، ص: 07. الإدريسي، نزهة المشتاق، مج1، ص: 242. روجي لو طورنو، فاس قبل الحماية، ج1، ص ص: 57 – 60. بروفنصال، الإسلام في المغـرب والأنـدلس، ص ص: 01 – 50. إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ص ص: 101 – 102. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، ص: 487.

(8) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص: 183.

الأزهار"، أن إدريس بن عبد الله الكامل وأخوه سليمان نزلا على راشد بن المرشـد القرشـي، ومكثا عنده بمعسكر ستة أشهر، وانتقل بعدها إدريس وراشد إلى المغرب الأقصى.[1]

وبعد اضمحلال الدولة الإدريسية وسقوطها على أيدي الفاطميين، اتخـذ قادتهـا مـن معسكر قاعدة للقضاء على ثورات زناتة[2]، خاصة أيام جوهر الصقلي الذي أغار علـى قريـة أفكان وقضى عليها قضاء نهائيا مبرما. ويستفاد مما أورده ابن عذاري المراكـشي، أن معـسكر ظلت تحت نفوذ الفاطميين، على عهد عبيد الله الشيعي الذي كان يمتد سلطانه مـن "إفريقيـة وجميع المغرب، وطرابلس، وبرقة وجزيرة صقلية، وكان عماله على ذلك كله".[3] والعبارة الـتي أوردها ابن عذاري (جميع المغرب) تقتضي أن تكون معسكر داخلة ضمن هذا النطاق الواسع.

ويفهم من قول ابن خلدون أن معسكر كانت خاضعة للمرابطين، ، على عهد يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين ما بين سنتي 463- 465هـ [4]، لتتخذ على عهد الدولة الموحديـة قاعدة قوية، شيدت بها القلاع الحصينة لحراسة المناطق المحيطة بها[5]، وهو ما جعلها محل اهتمـام المؤرخين والرحالة أكثر من أي وقت مضى.

وبعد تغلب بني زيان على تلمسان[6] (المغرب الأوسط)، وضعف سلطان الموحدين الذي بدأ في الأفول، خاصة بعد انهزامهم في معركة العقاب على يد الـصليبيين في الأنـدلس عـام

(1) سيدي محمد الشريف، المصدر السابق، و4و. ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، القسم الأول، 1975م، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، ص: 20. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ج1، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، 1954م، الدار البيضاء: دار الكتاب، ص: 155. علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1991م، الرباط: المطبعة الملكية، ص: 12. عباس سعدون نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، ص: 69.

(2) **زناتة:** هذا الجيل في المغرب قديم العهد، وموطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، والأكثر منهم في المغرب الأوسط، حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم، فيقال وطن زناتة. وكانت ديارهم من طرابلس إلى جبل الأوراس والزاب، إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية، وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الإسلام لجراوة ثم لمغراوة وبني يفرن. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص: 3 – 10. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، م.و.ك، 1984، ص ص: 15 -25.

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة كولان وبروفنسال، بيروت – باريس، 1948م، ص: 308.

(4) ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر، ج6، ص: 535.

(5) سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 247.

(6) **تلمسان:** وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، إحداهما قديمـة، والأخـرى حديثة، وهذه الأخيرة أختطها الملثمون ملوك المغرب، واسمها "تافرزت"، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان، وأصناف مـن الناس، واسم القديمة "أقادير" يسكنها الرعية. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص: 44.

609هـ/1212م[1]، اتخذت معسكر قاعدة لإخضاع أعداء هذه الدولة الفتية، وذلك عندما اتخذ يغمراسن بن زيان من قبائلها،جيشا وسماهم الحشم[2]، وجعلهم حصنا حصينا بينه وبين أعدائه بني توجين[3]، الذين اتخذوا من الونشريس موطنا لهم، فما كان من يغمراسن إلا أن استعان عليهم بالحشم.[4] كما نصب الزيانيون عليها حاكما يستخلص الضرائب من منطقة غريس التي كانت توفر لهم أرباحا كبيرة.[5]

وقد ظلت معسكر مدة ليست بالقصيرة، قلعة وقاعدة عسكرية[6]، حيث أنها كانت قبلة للأسر الفارة من بطش واضطهاد الأسبان، بعد سقوط غرناطة آخر المعاقل الإسلامية بالأندلس عام 897هـ/1492م، بعد حصار طويل لها دام قرابة السنتين.[7]

وفي بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي(10هـ/16م)، بدأت معسكر تتعرض لموجة من حملات الصليبين الأسبان، الذين اجتاحوها سنة 911هـ/1505م بعد أن خرج منها أهلها واعتصموا بجبال بني شقران والغابات المجاورة لها، حيث قاموا بتنظيم المقاومة التي أجبرت الصليبيين على التراجع إلى المرسى الكبير بوهران. وبين سنتي 923-924هـ/1517-1518م، أعاد الأسبان الكرة، وتمكنوا هذه المرة من اجتياح المنطقة بمساعدة أبو حمو الثالث، وذلك في خضم الصراع الأسباني التركي للاستيلاء على أملاك الزيانيين، وتأمين المواصلات بين تلمسان وقلعة بني راشد[8]، واستطاعوا القضاء على أول عامل تركي على قلعة هوارة وهو إسحاق بن يعقوب أخو عروج وخير الدين بربروس.[9]

---

(1) فارس بوز، تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دمشق: منشورات جامعة دمشق، ط3، 2002م، ص: 244.

(2) **الحشم**: عرب من قبائل سليم وزغبة، عرفوا بالحشم حينما اتصل بعض أسلافهم بخدمة بلاط الدولة الزيانية بتلمسان. ينظر: الهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص: 330.

(3) سيدي محمد الأعرج الغريسي الفاسي، شرح منظومة بغية الطالب، ص: 372.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص: 93.

(5) سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 247. مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقد يم وتصحيح محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص: 347.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص: 183.

(7) فارس بوز، المرجع السابق، ص: 251.

(8) سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 247.

(9) أصل هذين الرجلين من جزيرة يقال لها مِدِلي. أبوهما اسمه يعقوب، كان أحد عساكر هذه الجزيرة،التي تزوج فيها بنتا من بناة النصارى الذميات، بعد إذن السلطان محمد نكاح الذميات بها، فرزق منها أربعة أبناء هم: إسحاق، وعروج، وخير الدين،

وبعد التقسيمات الإدارية التي أحدثها العثمانيون بالجزائر، أصبحت معـسكر تابعـة في لبايلك الغرب[1]، الذي كان تحت حكم حسن بن خير الدين[2]، لتنقل إليها عاصمة هذا البايلك في عهد الباي مصطفى بوشلاغم[3]سنة 1113هـ/1701م[4]، للأسباب التالية:

1- الموقع الاستراتيجي[5] الذي يشكله وادي الحمام الذي يربط الـساحل بالـداخل، وكونها معبرا مهما بين قلعة بني راشد وتلمسان، الأمر الذي سـهل رواج المنتوجـات خاصـة السودانية منها، وتلك الآتية من فاس.

2- كانت تزخر بإنتاجها الزراعي والصناعي الوفير، حيث أن سهول غريس كانت تنتج مقادير وفيرة من الحبوب، وتتوفر على كميات كبيرة من الأصواف والجلود. أما نواحي قلعة بني راشد، فكانت تصنع الأسلحة النارية والصابون والسروج والألجمة، وكذا الـبرانيس والـزرابي الفاخرة، وبذلك أصبحت معسكر سوقا رئيسية لقبائل بني راشد بالناحية، كبني عامر والحـشم وهاشم والشراقة وبني شقران وغيرهم.[6]

3- كما عرفت ازدهارا اقتصاديا كبيرا زاد من أهميتها، وجعلها بلادا عامرة بالـسكان، وقبلة للباعة والتجار الكبار، حيث يورد الحسن الوزان الذي زارها في رحلته المشهورة، روايـة مفادها أنه كان يقام بها سوقا أسبوعية كل يوم خميس[7]، كما كان يقدم لملك تلمسان زهـاء خمسة وعشرين ألف (25000) مثقال، ويمده بنفس العدد من المقاتلين، بين راجلين وراكبين".[8]

وإلياس. ينظر: مؤلف مجهول، كتاب غزوات غزوات خير الدين وعروج، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نورالدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1954م، ص: 06.

(1) الذي تأسس سنة 970هـ/1563م . ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد ابن عبد الكريم الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م، ص:36.

(2) عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص: 298.

(3) **مصطفى بوشلاغم**: هو الذي خلف الباي شعبان بعد مقتله 1686م، ويعرف عند الأسبان بـ: "*Dogtillos*" أي صاحب الشلاغم أو الشنب الكبير. ينظر: عثمان شبوب: "**الحياة الثقافية على عهد محمد الكبير**"، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، ع71، 1981، ص: 52.

(4) سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 247.

(5)Marcel Emirt, L'Algerie a l'epoque de l'Emir Abdelkader, Paris, edition la rose, 1951, p:90.

(6) سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 248.

(7) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص: 26-27.

(8) المصدر نفسه، ص: 27.

ومن هنا تبدأ معسكر دورها القيادي، وتزداد أهميتها خلال هذا العهد[1]، حيث تعتبر الفترة العثمانية في معسكر، من أوضح الفترات وأزهرها، وذلك لدورها الرائد في قيادة الغرب الجزائري طيلة تسعين سنة، إلى غاية فتح وهران سنة 1207هـ/1792م، بعد حصار دام ما يقارب السنة انتهى بتوقيع الصلح بين داي الجزائر وسلطان الأسبان.[2]

إن تضافر هذه العوامل كلها، جعل معسكر تتبوأ الصدارة إبان العهد العثماني- خاصة في عهد الدايات 1671/ 1830، وما يؤكد ذلك هو كثرة الرحلة لطلب العلم في العديد من مناطقها خاصة غريس، في الفترة ما بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين (16- 18م) لكثرة تأسيس الزوايا لنشر العلوم بها.[3]

ولقد كان للمكانة المرموقة التي كانت تتمتع بها معسكر على عهد الباي مصطفى بوشلاغم، دورا كبيرا في تنمية حجم المبادلات التجارية بينها وبين جيرانها، خاصة بعد إحكام العثمانيين السيطرة على طرق القوافل التجارية وتأمينها من قطاع الطرق، إضافة إلى حمايتها بسور دائري يحميها من أي خطر خارجي.

كما أثر انتقال عاصمة البايلك من مازونة إلى معسكر كذلك تأثيرا كبيرا على الحياة العلمية بالمنطقة، فأصبحت ملتقى العلماء خاصة بمنطقة غريس والوطن الراشدي الذي كان به عدد كبير من العلماء والصلحاء، حتى قيل: "أن كل دومة في غريس بولي صالح".[4]

ثم إن العثمانيين تفطنوا لفكرة مهمة، وهي ضرورة توحيد كلمة المسلمين، فراحوا يشركون العلماء وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية[5] وتناسوا معهم خلافاتهم المذهبية للوقوف سدا منيعا أمام الخطر الأسباني.

---

(1) عثمان بن حمدان خوجة، المرآة، تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، ص: 97.

(2) أحمد بن هطال التلمساني، رحلة الباي محمد الكبير إلى الغرب الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم الجزائري، القاهرة: نشر عالم الكتب، 1969م، ص: 03.

(3) الهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحسب، ص ص: 34-35.

(4) المصدر نفسه، ص: 34.

(5) مرت علاقة العثمانيين بالطرق الصوفية بالجزائر بمرحلتين هامتين، أولاهما تقريبهم إليهم وذلك حتى نهاية ق12هـ/18م وبداية ق13هـ/19م، وجعلوهم واسطة بينهم وبين القبائل الجزائرية الشبه المستقلة. وبعد أن آلت البلاد إلى وضعية اقتصادية صعبة وحرجة، اضطروا إلى نقض عهدهم مع شيوخ الطرق الصوفية، وهو في الحقيقة خسارة كبيرة لا تعوض بالنسبة للسلطة العثمانية بالجزائر. ينظر: عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م، ص: 25.

وقد تعرضت معسكر بعد ذلك، للأطماع المغربية مع نهاية القرن السابع عـشر وبدايـة الثامن عشر، حيث غزاها السلطان المغربي مولاي إسماعيل[1] بمساندة ومعاونة قبائل الحشم الـتي رفضت الخضوع للأتراك، إلا أن جيوش بايلك الغرب قاومت المد المغربي بعنف كـبير فهزمتـه مرتين، الأولى سنة 1694م والثانية سنة 1703م.[2]

ولقد حافظت مدينة معسكر على مكانتها الاقتصادية والسياسية في عهد الباي محمد بن عثمان الكبير[3]، الذي عرفت معسكر في أيامه أزهى أيامها وبلغت أوج عظمتها مدة تزيد عـن عقد من الزمن(1779-1792م)، حيث أقام بها المدارس والمساجد وشيد المرافق العامة، فقـصدها العلماء وتقاطر عليها الطلبة للدراسة في معاهدها العليا، قصد التتلمذ على علمائها.[4]

وخلال فترة حكمه استطاع القضاء على الدرقاوية المناوئة للأتراك بمنطقة عين تموشـنت سنة 1192هـ/1779 [5]، كما قام بغزوة مشهورة إلى الجنوب الـصحراوي، وتحديـدا منطقـة الاغواط التي وصلها من معسكر عام 1199-1200هـ/1785م، ودخلها بقوة هائلة انقادت لهـا جميع القبائل التي بضواحيها، ورضيت بدفع الضرائب السنوية.[6]

---

(1) **مولاي إسماعيل**: هو أمير المؤمنين المظفر بالله أبي النصر، إسماعيل بن المولى الشريف. تولى 16 ذي الحجة الموافق 13 أبريل سنة 1082هـ/ 1672م، وأقام في الخلافة سبعا وخمسين سنة استقلالا، وسبع سنين خليفة عن أخيه الرشيد. توفي يوم السبت 28 رجب 1139هـ/ 29 مارس 1726م. ينظر: محمد بن محمد مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية، ج$_1$، تحقيق ودراسة إدريس بوهليلة، المغرب: وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، ط$_1$، 2005، ص: 279 و ص: 326 وص: 328.

(2) الشقراني، المصدر السابق، ص: 69.

(3) **محمد بن عثمان الكردي**: الملقب بالكبير والاكحل، والمجاهد المنصور. أمه جارية اسمها زائدة، وأبوه هو أبو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي خليفة مليانة ثم باي التيطري. توفي الباي محمد الكبير سنة 1213هـ/1798م، وهو في طريقه إلى مدينة الجزائر، بعد أن حكم مدة عشرين(20) سنة بايا مستقلا، وسبعة(07) أعوام خليفة مفوضا. ينظر: ابن هطال، رحلة الباي محمد الكبير، ص ص: 15-23.

(4) سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص: 248.

(5) ابن هطال، رحلة الباي محمد الكبير ص: 17. محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط$_1$، 1972، ص: 16.

(6) ابن هطال، المصدر السابق، ص:17. ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة: مطبعة البعث، مارس 1973م، ص: 138. محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة، ص: 18.

وبعد ذلك بدأ يعد العدة لفتح وهران، التي خضعت لاحتلال الأسبان مدة طويلة (1143هـ/1730م إلى 1206هـ/1792م) ففتحها سنة 1792م[1]، ونقل إليها عاصمة بايلك الغرب وتعاقب على حكمه تسع بايات هم: الباي مصطفى بوشلاغم، الباي بوكابوس والباي حسن، الحاج عثمان، ابراهيم المليانى، الحاج خليل، محمد بوطالب المجاجي، محمد بن عثمان الكبير.[2]

وعلى أية حال، فإن المدة التي قضاها الباي محمد الكبير بمعسكر (1193-1207هـ/1779-1792م) كانت كافية لجعل المدينة في مصاف العواصم الكبيرة، حيث قام بعدة إصلاحات، منها اعتناؤه بالفقراء والمساكين، وحرصه على الاعتناء بالعلم والعلماء، حيث بنى لأجل ذلك مدرستين واحدة بمعسكر، وأخرى بوهران.[3] وقد جاء على لسان العربي المشرفي في شأن محبة الأتراك للعلم والعلماء، ما يلي: "كانوا مع جورهم وشدة ظلمهم، يحبون العلماء ويخضعون لهم، ويتذللون بين أيديهم أكثر من تذلل الروم لرهبانهم، واليهود لأساقفتهم"[4].كما أنه كان كثير الاعتناء بالتشييد والبناء، حيث شيد القصر الأنيق، والسوق العتيق بمعسكر، وكذا إنشاء مقبرة لمشاهير الشخصيات بالمدينة[5]، ثم إعادة بناء الجامع العتيق -المعروف عند أهل المنطقة بجامع العين البيضاء- وتوسيعه، وتجهيزه بمكتبة غنية بنفائس المخطوطات.[6]

ولقد جعلت هذه الإصلاحات من الباي محمد بن عثمان الكبير محط إعجاب وثناء الكثيرين، فنجد ابن سحنون الراشدي يقول في حقه: "وبالجملة فهذا الأمير هو لمحاسن الأخلاق، المترقي رتب الكمال على الإطلاق، فمن حصر فضائله فقد كاد أن يطلب المحال، وتكلف أن يجمع ما لا يجمعه أحد بحال، ولذلك قلّ معاندوه، وكثر حاسدوه ومعادوه...ما أعظم أحد إلا كثرت عليه الحساد".[7] وقد حفلت كذلك، في عهد هذا الباي بنخبة من الأدباء والعلماء الذين تخرجوا من عدة زوايا بها مثل: زاوية الكرط، وزاوية كاشرو، زاوية القيطنة، ومن هؤلاء العلماء

(1) الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر: تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م، ج1، ص ص: 289-290.

(2) المزاري، المصدر السابق، ج1، ص ص: 274- 289.

(3) ابن هطال، المصدر السابق، ص: 25.

(4) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 21.

(5) ابن هطال، المصدر السابق، ص: 25.

(6) سعيدوني، دراسات وأبحاث، ص ص: 248- 249.

(7) ابن سحنون، المصدر السابق، ص ص: 147-148.

نذكر: الشيخ مصطفى الرماصي[1]، الشيخ عبد القادر العربي المشرفي[2] شيخ أبي راس الناصـر المعسكري.[3]

ولقد ساعدت هذه الميزات كلها مدينة معسكر على الاحتفـاظ بمكانتـها الاقتـصادية والثقافية، وإشعاعها العلمي، حتى بعد انتقال عاصمة البايليك إلى وهران، إلا أنه ومع بداية القرن التاسع عشر(13هـ ـ/ 19م) بدأت تتداعى للسقوط، نظرا للأحداث الكبيرة (1805- 1815) التي قادها شيوخ الدرقاوية في وجه السلطة العثمانية.

(1) **مصطفى الرماصي:** أبو الخيرات بن عبد الله بن مؤمن الرماصي(المتوفى عام 1136هـ/1723م)، أخذ عن شيوخ مازونة، وعن شيوخ مصر كالشيخ الخرشي والزرقاني. له حاشية على شرح الشمس التتائي على مختصر خليل، وكفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد. ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت: دار الكتاب العربي، 1349هـ/ 1930م ص: 334.

(2) **عبد القادر المشرفي:** بن عبد الله بن محمد العربي المشرفي (المتوفى في رمضان 1192هـ/أكتوبر 1778م)، ولد بالكرط قرب معسكر ونشأ وتعلم ثم درس بها. له تآليف عديدة أشهرها رسالة تشهيرية بالقبائل التي تعاونت مع الأسبان سماها: "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان من الأعراب كبني عامر". ينظر: نصار الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999، ص ص: 412- 414.

(3) **أبوراس الناصر**: محمد بن عبد أحمد بن عبد القادر الراشدي، الجليلي المعسكري الجزائري. مؤرخ، من العلماء بالحديث، ورجاله، له نحو خمسين (50) كتابا. ينظر: الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج6، بيروت: دار العلم للملايين، ط8، 1989، ص: 18. وقد قدم الطالب حمدادو بن عمر دراسة وافية عن هذه الشخصية في إطار مذكرة ماجستير في تاريخ الحضارة الإسلامية بجامعة وهران، سنة 2003.

الفصل الأول: عصر المشرفي

المبحث الأول: الحياة السياسية

1-1: **حروب درقاوة** 1805م- 1817م

2-1: **ثورة التيجاني** 1826م.

3-1: **نهاية التواجد العثماني بالجزائر.**

1.3.1- الحصار 1827 – 1830م

2.3.1- الاحتلال 1830م.

4-1: **المقاومة الشعبية** 1830 – 1848م

1.4.1: مقاومة أحمد باي قسنطينة 1830 – 1848م

2.4.1 : مقاومة الأمير عبد القادر 1832 – 1847م .

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية

2-1: الحياة الاجتماعية:

1.1.2- فئات المجتمع

2.1.2- الحالة الصحية

2-2: **الحياة الاقتصادية**

1.2.2- الزراعة

2.2.2- الصناعة

3.2.2- التجارة

المبحث الثالث: الحياة العلمية

1.3- **الزوايا**

2.3- **المساجد**

3.3- **المدارس**

عرفت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر (1800- 1830)، ومستهل الاحتلال الفرنسي، حالة جد متردية على جميع الأصعدة.

فبالإضافة إلى آثار الباي محمد الكبير، وانتقال عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران، اندلعت الثورات العاتية في وجه السلطة العثمانية بالجزائر، خاصة ثورة درقاوة، والتي خلّفت آثارا سيئة على المجتمع والاقتصاد.

كما شهدت المنطقة كذلك، حملة شيخ التيجانية من عين ماضي على السلطة العثمانية، وكذا توتر العلاقة بين هذه الأخيرة والقادرية، والذي تجلّى في اعتقال باي وهران لمحي الدين المختاري وابنه عبد القادر، وأخيرا تعرضت المنطقة لعملية الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، بعد حصار دام ثلاث سنوات.

وقد تداعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين المد والجزر، وهو ما انعكس سلبا على الحياة العامة للشعب الجزائري.

ومع أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية، لم تعرف الاستقرار المنشود، فإن الحياة العلمية وعلى النقيض من ذلك، عرفت انتعاشا كبيرا أواخر الفترة العثمانية وبعيد الاحتلال، عدا ما تخللها من فترات ركود طالتها في فترات ليست بالمديدة.

المبحث الأول: الحياة السياسية

1- حروب درقاوة:

الدرقاوية طريقة صوفية مغربية متفرعة عن الشاذلية، وأول من دعا إليها هو الشريف إدريس من جماعة العمرانيين، الذين استوطنوا في الشمال الغربي من مدينة فاس، ويدعى علي بن عبد الرحمن الجمل أو الجمال.[1]

(1) **الجمّال**: هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الجمل الفاسي، أحد الفقهاء البارزين. كان في خدمة المخزن خلال فترة الشباب، ثم سافر إلى تونس أين درس على عدد من شيوخها. وعند رجوعه لفاس درس التصوف على يد أبي عبد الله حبوس، وانظم لطريقة أبي المحامد سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله بن معن الأندلسي. ينظر: عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، الرباط: دار الأمان، ط3، 2000م، ص: 207، هامش: 01. مختار بونقاب، تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002، ص: 37.

ويعتبر مولاي العربي الدرقاوي[1]، أبرز تلاميذه الذين أخذوا على عاتقهم تنظيم الطريقة الدرقاوية ووضع أسسها، وإكمال نشر تعاليمها.[2]

ومع بداية القرن التاسع عشر(19م)، بلغت الأوضاع في الجزائر ذروة التدهور، نتيجة لفساد النظام السياسي وتأزم الأوضاع الاقتصادية، حيث يجمع المؤرخون على أنها الفترة الحرجة في تاريخ الجزائر العثمانية.

فإلى جانب المستوى الاجتماعي والثقافي المتدني لمعظم الدايات، فإنهم عاشوا حياة البذخ والترف، وساهموا في تبذير أموال العامة، كما لم يبذلوا أي جهد لتطوير علاقاتهم مع السكان المحليين نحو الأحسن والأمثل، ولعل السبب وراء ذلك، هو أنه لم تكن تربطهم بالبلد أية رابطة من شأنها أن تجعلهم حريصين على سمعة النيابة، سوى الجانب المالي.[3]

وقد عمل العثمانيون خلال تواجدهم بالجزائر، على إبقاء الشعب الجزائري بعيدا عن أية مساهمة في أمور الحكم، وهو ما دفعهم إلى ارتكاب المظالم تجاههم، خاصة مع خصومهم[4]، ناهيك عن تعفن الجهاز الإداري، وانتشار الرشوة، وتدخل الجيش في الحكم. وقد عبر عن ذلك مسلم بن عبد القادر بما يلي: "إن العثمانيين لم يكونوا أهلا للحكم في أواخر حكمهم...وحكموا البلاد ثلاثين سنة، لم تكن فيها سياستهم رشيدة، ولا كان حكمهم فيها عادلا على العموم، فكان من الطبيعي أن يكثر الناقمون والثائرون عليهم".[5]

ونتيجة لهذه الأوضاع، فقد استهل القرن التاسع عشر(19م)، باندلاع أعتى الثورات في

(1) **العربي الدرقاوي(1737- 1823م):** هو العربي بن أحمد بن الحسين الدرقاوي، أول من نشر الطريقة الدرقاوية في المغرب، وهي من فروع الشاذلية. مولده ووفاته في قبيلة بني زروال، وبها قرأ وتفقه وتصوف. له عد رسائل في التصوف. ينظر: التليدي، المرجع السابق، ص ص: 205 -215.

(2) إسماعيل العربي، معجم الفرق الإسلامية، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1993، ص:193. نقلا عن بونقاب، المرجع السابق، ص: 37.

(3) الغربي غالي: "**نورة ابن الشريف الدرقاوي**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 10، 1997، ص: 56.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص: 138.

(5) مسلم بن عبد القادر الوهراني، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الجزائر: ش، و، ن، ت، ص: 55.

وجه العثمانيين، ألا وهي الثورة الدرقاوية[1]، أو أتباع الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، التي تزامنت مع تدهور الوضع السياسي، وتردي الأوضاع الاقتصادية، لذلك كان تأثيرها أكبر. ولم يتمكن العثمانيون من القضاء عليها بسهولة رغم الإمكانيات المتاحة لهم، حيث يعتبر التسرب والانحلال، وضعف الحكومة المركزية، وكذا تمرد الجيش، من الأسباب الكبيرة التي أدت إلى اندلاع هذه الثورة، ويؤكد ذلك أندري نوشي *Andri nochi* بقوله: "أن سبب ثورة درقاوة، هو ضعف الحكم التركي".[2]

وقد توزعت ثورة درقاوة في المنطقتين الشرقية والغربية، في آن واحد. ففي المنطقة الشرقية تزعمها ابن الأحرش[3] الملقب بالبودالي، الذي كان قد التقى بحمودة باي تونس، هذا الأخير أكرمه وفاوضه للقيام على حكومة الجزائر[4]، فرجع إلى الجزائر وسعى لكسب المريدين. وفي هذا الشأن، يقول صاحب "الثغر الجماني": "قيل أنه: بعد رجوعه من الحج سنة 1218هـ أسس معهدا ببني فرقان نواحي جيجل، والتف حوله الأتباع والمريدون كزميله ابن الشريف، فهيأهم للثورة على العثمانيين، وقادهم إلى قسنطينة".[5]

وفي بداية سنة 1804م، ثار ابن الأحرش[6] ضد السلطة العثمانية، بمنطقة وادي

---

(1) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850 صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990، ص: 21. 167. يحي بوعزيز: "**الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر**"، مجلة الحضارة الإسلامية، تصدر عن المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، ع2، 1996، ص: 205.

(2) أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي رابح ومنصف عاشور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص: 178. حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2003، ص: 16.

(3) **ابن الأحرش**: فتى مغربي، مالكي المذهب، درقاوي الطريقة، درعي النسب، ادعى أنه المهدي المنتظر. ينظر: محمد الصالح العنتري، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة، منشور تحت عنوان: "مجاعات قسنطينة" من طرف رابح بونار، الجزائر، 1974م، ص: 29. محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، 1978، ص: 207. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830م، الجزائر: دار هومة، 2004، ص: 194.

(4) محمد بن الأمير، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق مدوح حقي، بيروت: دار اليقظة، ط2، 1964م، المصدر السابق، ص: 117.

(5) ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص: 43. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص ص: 293- 294.

(6) أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد، ص: 21.

الزهور[1] نواحي قسنطينة، حيث استطاع أن يكون بها جيشا قوامه عشرة آلاف (10.000) رجل، وتوجه بهم لحصار قسنطينة، وخاطب أهلها للاستسلام، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل، فلم يجد بدا من الدخول في حرب ضارية مع جيش العثمانيين، انتهت في الأخير بهزيمته وإصابته إصابة بالغة استدعت انسحابه من قسنطينة[2] إلى منطقة وادي الزهور، والتي تبعهم إليها الباي عثمان مقتفيا أثرهم، إلا أن الحظ لم يحالفه هذه المرة، حيث أجبره طابع هذه المنطقة الوعر، وسقوط الأمطار الغزيرة، وكذا تحويل المياه إلى محلة الباي على التراجع والانهزام [3]. وفي هذا يقول ابن سحنون: "فهزم الجيش التركي، وكانت هذه الهزيمة أشنع من هزيمة فرطاسة"[4]، وأكّد ذلك المزاري قائلا: "فهزم الباي هزيمة شنعاء وولى الأدبار".[5]

وقد توفي الباي عثمان على إثر هذه الحادثة، فخلفه الباي عبد الله، الذي كاتب القبائل العربية من أصهاره وجميع الرعية لمساعدته على حرب درقاوة، فاستقام له الأمر، وساير كبراء العرب، واجتمع له الجيش، وخرج في طلب ابن الأحرش وضيق عليه الخناق، وهزمه هزيمة نكراء أجبرته على الفرار إلى الغرب الجزائري حيث لقي حتفه هناك[6]، لتنطفئ شعلة الدرقاوية في الشرق الجزائري، ويشتعل لهيبها من جديد في غربه.

وأما في غرب البلاد، فقد استطاع عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، أن يجمع حوله قبائل الصحراء من بلاد الأحرار[7]، بهدف الاستعداد للحرب ضد العثمانيين[8]. ويسوق لنا

---

(1) **وادي الزهور**: منطقة جبلية كثيرة الأشجار ووعرة المسالك. ينظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص: 86.

(2) بونقاب، المرجع السابق، ص: 78.

(3) الزهار، المصدر السابق، ص: 86.

(4) ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 43.

(5) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص: 300.

(6) الزهار، المصدر السابق، ص ص: 86-87. محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 118. أندري نوشي، المرجع السابق، ص: 178. سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، الإمارات العربية: مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، ط1، 2000، ص: 120.

(7) **الأحرار**: هي قبيلة عربية بنواحي مدينة سعيدة، معروفة بالشجاعة والشهامة، كان ولاؤها بمثابة تأييد واسع، استغله الدرقاوي في مواجهة العثمانيين بنواحي جبل عمروش في معسكر. ينظر: الزياني، المصدر السابق، ص: 208.

(8) *André Delpech, **"Résumé Historique sur le soulèvement des Derkaoua dans la province d'Oran"**, R.A, N 18, 1874, P 42. pp : 38 – 58.*

صاحب "دليل الحيران" في هذا الصدد، قصة طويلة يشرح فيها سبب قيام السيد عبد القادر بن الشريف جاء فيها، أنه لما ذهب إلى المغرب عند الشيخ محمد بن أحمد الدرقاوي، وأخذ عنه الذكر قال له: "سيدي إن بوطننا قوما يقال لهم الترك، لا شيء لهم من دعائم الإسلام ويظلمون الناس، ولا يعبؤون بالعلماء والأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي، لتستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد. فقال له: عليك بجهادهم وقتالهم، وإن الله ينصرك عليهم بكاملهم". حينها، ظن عبد القادر ابن الشريف، أن قول شيخه بمثابة النصرة، وأنه أدرك لا محالة فخره، وهو الأمر الذي أدى به إلى مخالفة الشرع والمنطق، فابتدع أمورا يمجها الطبع وينكرها الشرع، واقتدى به كثير من الناس وأخذوا عنه عامة الناس، خصوصا أهل الصحراء"[1].

وبعد أن تمهدت له الأرضية، رفع راية الحرب ضد العثمانيين محللا دماءهم وأموالهم، حتى بلغت أخباره إلى الباي مصطفى العجمي[2]، الذي أعد جيشا كبيرا لقتاله، وتلاقى الجيشان في منطقة فرطاسة نواحي معسكر، واشتد القتال بينهما، إلى أن انهزم الباي هزيمة منكرة، "فأمسى بمخزنه في نكد، وأصبح الدرقاوي بأتباعه في رغد"[3]، وفر الباي إلى معسكر على فرس من دون سرج. وفي هذا الصدد يقول المشرفي: "ففي حدود العشرين من قرننا هذا، ثار عليهم درقاوة...فأول ملك منهم هزموه، مصطفى باي".[4]

وقد نظم حسين خوجة، متحدثا عن معركة فرطاسة قائلا:[5] (من البسيط)

فرطاسة يومها ترى الجنود به * ما بين قتلى وأسرى غير ناجينا
فالباي جاء بجيش لا نفاذ له * به يريد لقاء العدو باغينا
فلم يحقق له سعي ولا أمل * بل جاء جنده صفر الكف باكينا
فاليوم لا ابن الشريف عز فيه على * باي الأعاجم لولا الدين لا دينا

(1) الزياني، المصدر السابق، ص: 208.

(2) **الباي مصطفى**: هو الحاج مصطفى بن عبد الله العجمي، رابع بايات وهران. تولى سنة 1215هـ\ 1801ـ1802م. ينظر، المازاري، المصدر السابق، ج1، ص ص: 300ـ301.

(3) المازاري، المصدر السابق، ص: 304 .*Kehle ,Oran et l'Oranie Avan locuption Française, p51*

(4) العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر، ص: 17.

(5) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص: 304.

وقال مسلم الحميري:[1] (من البسيط)

فاليوم فرطاسة يوم كبير * ذلّ فيه العزيز عزّ الحقير
لقد هيأ مصطفى جيشا كبيرا * تركا ومخزنا الملك جدير
فلم تك ساعة إلا وانهزموا * من جيش قليل هيّأه الفقير

إن معركة فرطاسة هذه، فتحت الشهية للدرقاوي وأذاقته نشوة الانتصار، ودفعته إلى مهاجمة العثمانيين بوهران، فصار "يعِد جنوده كل يوم بفتح وهران"[2]، وصار ينادي في كل القبائل للوقوف معه ضد الأتراك بما يلي: "إننا نزعنا عنكم ما كنتم فيه من الحقر والذلّة والمسكنة، وأداء المغارم والجزية الثقيلة والمؤن الكثيرة الجليلة، الذي جميع ذلك هو حرام على من انتظم بالدخول في سلك الإسلام، وقد قطعنا دابر الترك الظلاّم، وأتباعهم الشرار اللئام، فالواجب عليكم مبايعتنا، والإذعان لنا وطاعتنا".[3]

وبموجب ذلك، لقيت دعوة الدرقاوي استجابة كبيرة، خاصة في ظل الأوضاع المزرية بهذه المناطق، وكذا انكسار شوكة الأتراك في معركة فرطاسة السالفة الذكر، فاتجه قاصدا فتح وهران وآملا في دخولها، فوصلها وحاصرها، وقطع عنها الإمدادات من كل الجهات إلا البحرية منها، حيث صور المشرفي هذا المشهد بقوله: "ولم تبق بهم مندوحة للجزائر إلا من جهة البحر، ومدة الحصار سبع سنين، نالهم الجهد فيها وأخذوا بالسنين، فكان الخبر يأتيهم بالسفون".[4]

وفي هذه الأثناء، عزل الباي مصطفى وعين مكانه الباي المقلّش، وكانت الإمدادت وقتها قد وصلت إلى وهران بحرا، فاستغلّ المقلّش الفرصة وفتح أبواب المدينة الخمسة التي أغلقها الدرقاوي من قبل، وصمم على محاربته. ويبدو أن المقلّش قد توجس من الدرقاوي خيفة، خاصة وأنه أحس أن ثورته لم تكن دينية فحسب، وإنما كان لها أبعاد سياسية يتداخل

(1) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص ص: 304 ـ 305.
(2) الزياني، المصدر السابق، ص: 212.
(3) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص: 306.
(4) العربي المشرفي، الذخيرة: ص: 18.

فيها المغرب الشريفي والجزائر العثمانية.[1]

وعلى أية حال، فإن الأمور بقيت تسير في هذا الفلك، وتداعت بن المد والجزر، إلى أن هزم الدرقاوي وفشل في دخول وهران، وتراجع إلى معسكر، حيث هاجمته قبائل الغرابة في الطريق ثأرا مما اقترفه في حقها حين ذهابه لحصار وهران[2]، كما هاجمتهم قبائل البرجية وأهالي بني شقران عند وصولهم لسيدي مبارك[3] قرب وادي هبرة، وهزم فيها الدرقاوي شر هزيمة، وقتل وسبي في هذه الحادثة الكثير من أتباع الدرقاوي، الذي فر مع قلة من جيشه نحو معسكر.[4]

وبعد هذه الأحداث، ظهر الدرقاوي من جديد وفي مناطق متفرقة في الناحية الغربية، فخاض معركة في وادي المالح قرب تيموشنت وهزم فيها سنة 1232هـ/1808م، ثم في منطقة تسالة من نفس السنة وانتهى به المطاف إلى الانهزام، "وجمعت الرؤوس المقطوعة في ذلك اليوم...وبعثت كلها للجزائر".[5]

وقد عاود الدرقاوي الظهور، لكن هذه المرة برفقة ابن الأحرش، فهاجما سهول غريس وأفسدا الزرع وقتلا الماشية، فاستنجد أهلها بالباي- الذي كان يومها بنواحي مليانة- فأسرع لنجدتهم، وهزم الدرقاوي وابن الأحرش.[6]

وهكذا توالت ثورات الدرقاوية على الأتراك، حتى اهتم محمد بن عثمان بالقضاء عليهم وعلى أتباعهم، بل وحتى أولئك المشكوك فيهم ولو عن طريق الوشاية، وصار من يحسد أحدا يشي به عند الباي، ويدعى عليه محبة الدرقاوي، فإنه ينتقم منه فورا.[7]

وبالجملة، فإن نهاية الدرقاوي كانت على يد الباي حسن بن موسى الباهي سنة

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص: 221.

(2) مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 53.

(3) **سيدي مبارك**: منطقة بنواحي المحمدية، غرب ولاية معسكر، وبها يوجد ضريح الولي الصالح سيدي مبارك. ينظر: ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 212.

(4) مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 53.

(5) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص: 319.

(6) المصدر نفسه ، ص: 322. *Kehle ; op.cit ; p 51.*

(7) ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 45.

1232هـ/ 1817م، والذي قضى عليه وعلى ثورته التي تعتبر أخطر ثورة قامت في وجه الأتراك، وجرت البلاد طيلة أكثر من عشرية (من سنة 1219 إلى 1231هـ/ 1805 إلى 1817م)، إلى وابل من المعاناة الغير محمودة العواقب، وقادتها إلى منزلق خطير توفي خلاله خمس بايات[1]، كما أدت إلى توسيع فجوة الخلاف بين الحكام الأتراك والسكان، وزيادة حدة التوتر مع رجال الدين- الطرقية-[2]، الأمر الذي أدى إلى توسيع هوة الخلاف مع العلماء، والذي كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف الحكم العثماني بالجزائر، والتعجيل بنهايته، على حد تعبير صاحب "دليل الحيران" الذي ذكر أن: "ثورة درقاوة كانت سببا في انهيار دولة الأتراك بالجزائر، وبالتالي مهدت للاحتلال الفرنسي".[3]

ولقد تباينت المواقف والآراء حول هذه الثورة، فلم تلق تأييدا وترحيبا من طرف العلماء، خاصة منهم أبو راس الناصري وابن الفكون. وأما أبو راس، فقد كادت أن تعصف به ريح هذه الثورة وتذهب به في غياهب الظلمات، وتأتي عليه رياح فتنتها لكونه وقع بين ناري السلطة والدين، وتعرض بسبب آرائه حول هذه الثورة إلى عزله من مناصبه الرسمية، كما أنه خص هذه الثورة بتأليف سماه: "درأ الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة"، ويفضل أن يورد مقتطفا منه، ذكره الشيخ البوعبدلي في مقدمة تحقيق (الثغر الجماني)، والذي عبر فيه بصدق عن موقفه تجاه هذه الثورة، مما جاء فيه: "ثم عمتنا ثورة درقاوة، وإن لم نكن فيها كما قال الشيخ عامر الشعبي للحجاج: وقد خطبتنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة، ولا أقوياء فجرة، فاتصلت علينا أواصر النكبات والبايليكات من الخوف والجوع والروع، الذي في الفؤاد مودع، وقد ناداني لسان الحال بقوله: دع الدفاتر للزمان الفاتر، فطرقت الكتب بمتروك مكان، واستمر عليها النسيان، حتى نسجت عليها عناكب الهجران".[4]

(1) الزياني، المصدر السابق، ص: 15.

(2) يذكر العربي المشرفي، أن الدرقاويين، لما اشتد عليهم ضغط الأتراك، لقنهم الدرقاوي، الدعاء على الأتراك، في كل صباح ومساء، ونص الدعاء: "اللهم يا رب، أنزل على الترك، صاعقة، تكون من عندك، يراها كل أحد من خلقك، لا من عندي أنا، ولا من عند عبد القادر بن الشريف"، فكانت تلك الصاعقة هي الفرنسيس، فانقطع بها أثرهم، كأنهم لم يملكوا ساعة من النهار. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 19.

(3) الزياني، المصدر السابق، ص: 39.

(4) ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 46.

وأما ابن الفكون، فتظهر معارضته للثورة في وقوفه ضد ابن الأحرش الدرقاوي، ثم تلك الرسالة التي بعث بها الباشا بعد فشل ثورة ابن الأحرش، يشكره فيها ويثني عليه، ويلتمس منه الدعاء الصالح.

وبالرغم من هذه المواقف المناوئة، نجد المشرفي يقف موقف المؤيد لها، حيث جاءت العديد من الإشارات التاريخية المتناثرة في الكثير من طروسه، مؤكدة على ذلك، منها ما ورد في "الذخيرة" حين قال: "وفي حدود العشرين من قرننا هذا، ثار عليهم درقاوة أهل النظافة والنقاوة"[1]، ثم إنه خص درقاوة بتأليف مهم سماه: "درأ الشقاوة عن السادات درقاوة"، كما أخبر بذلك صاحب (الإعلام).[2]

2- ثورة التيجاني:[3]

تنتسب التيجانية إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني[4]. وقد استقر إبناه محمد الكبير والصغير[5] بعين ماضي[6]، ولبث محمد الكبير بالمنطقة إلى سنة1240هـ/ 1825م، حتى ذهابه لأداء مناسك الحج.

وفي طريق عودته اعترضته قوات أحمد باي قسنطينة واجتهدت في القبض عليه، لكنها فشلت في مساعيها، ولحق محمد التيجاني سالما إلى بلاده.[7] وما إن استقر حتى أعلن في أتباعه الحرب ضد الأتراك[8] وخرج إلى ناحية معسكر، حيث كان بها من بايعه سرا، وأيده في

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 17.

(2) عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج9، المغرب: المطبعة الملكية، 1999، ص:27.

(3) الشقراني، المصدر السابق، ص ص: 26 – 27.

(4) **أحمد التيجاني**: ولد بعين ماضي، سنة 1150هـ/ 1737م. قرأ القرآن على شيوخها، في العشرين من عمره، ورحل إلى فاس طلبا للعلم، ثم أخذ الطريقة عن الشيخ الطيب الوزاني، شيخ الطريقة الطيبية، فقضى فترة يتردد على تلمسان، والصحراء، إلى أن استقر نهائيا بتوات، لكنه تعرض لمضايقة الأتراك، فرحل إلى فاس سنة 1211هـ/1796م، إلى أن توفي بها سنة 1230هـ/ 1814م. ينظر، الحفناوي، المصدر السابق، ص ص: 38 -42. الزهار، المصدر السابق، ص: 159.

(5)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص: 194.

(6) **عين ماضي**: مدينة تبعد بمسيرة 72 كم، غربي مدينة الأغواط. ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 336.

(7) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 336.

(8) أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني بالجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830، رسالة ماجستير، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 1988، ص ص: 91 – 93.

مشروعه[1].

ولقد اتجه التيجاني في ستمائة(600) رجل من أهل عين ماضي، وعدد كثير من العرب الصحراوية وقبائل الحشم إلى أن وصل معسكر[2]، ودخل حومة باب علي، ثم خرج منها وتوجه إلى غريس[3] التي كانت ترابط بها جيوش الباي حسن بن موسى[4]، والتقى الجيشان بمنطقة عواجة قرب خصيبية، وجرت بينهما معركة كبيرة سنة1241هـ/ 1826م[5]، تشتت فيها شمل التيجاني، وقتل ابن الشريف الدرقاوي الذي كان قد انضم إليه بعد فشل ثورته[6]، وتم نقل رأسه إلى العاصمة، حيث صلب بها تجاه الباب الجديد، وبعث بسيفه وأعلاقه إلى السلطان العثماني بإسطامبول.[7]

وبعد هذه الحدث، تحالف التيجاني مع الحشم الذين جعلوه سيدا عليهم بعد أن أنزلوه في عواجة، لكن الباي حسن الذي زار مدينة معسكر 1241هـ/1826م، كان قد نزل هو الآخر في نفس المكان، وجمع حوله أعيان الحشم والدوابر، وتم له القضاء على التيجاني الذي لم ينفعه تأخره إلى بلاد أولاد دحو، بجنان سيدي بخدة.[8]

وقد انتقم الأتراك من التيجانية من قبائل الحشم ، بتغريمهم بخمسين ألف (50.000) ريال بوجو[9]، وتغريم أهل عين ماضي بتقديم أثاث من الفضة، وملابس وفرش وأغطية من الصوف، أي ما مقداره ثلاثمائة ألف(300.000) ريال بوجو.[10]

ولما كان الشيخ محي الدين المختاري، وأخوه سيدي علي أبو طالب من قبيلة الحشم، التي ساعدت التيجانيين في محاصرتهم لمعسكر، وهجومهم على الأتراك، فإنهما لم ينجوا من

(1) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 336.
(2) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص ص: 356 – 357.
(3) المصدر نفسه، ص ص: 352 – 353.
(4) المصدر نفسه، ص ص: 357 – 369.
(5) مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 31.
(6) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص ص: 359 – 360.
(7) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 336.
(8) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 22. المازاري، المصدر السابق،ج1، ص ص: 355 – 356.
(9) بن داهة، المرجع السابق، ص: 57.
(10) الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 336.

عقاب السلطات التركية، حيث أمر الباي حسن بإلقاء القبض عليهما وإبعادهما، وأسكن محي الدين بوهران ولم يخلّ سبيله إلا بعد أمد طويل[1].

ولما سامه بالسجن، قال فيه السيد السنوسي بن السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي الدحاوي، قصيدة نونية مطلعها:[2]

عوّل على الصبر لا تفزعّنك أشجان * ولا ترعك بما فاجتك وهران
أما هي الدار لم **تؤمن غوائلها * بل هي الدار أغيار وأحزان**

وختمها قائلا:[3]

ومنه أرغب أن ألقاك معتدلا * كالحال قبل، وقد أمّتك ركبان
ثم **الصلاة** بـ**محمود الصلاة على * محمد المصطفى ما** تمّ **إيمان**

3- *نهاية التواجد العثماني:*

1.3- الحصار البحري:

شهدت الجزائر في أواخر العهد العثماني، تعفنا كبيرا في الجهاز الإداري، وانتشرت الرشوة وتدخل الجيش في الحكم، وهو ما أدى إلى تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وجعل السمة البارزة في نهاية هذا العهد، هي انتشار موجة من الإضطرابات في مختلف أنحاء البلاد، مما تسبب في غياب الاستقرار على مستوى الجهاز الحاكم.

وبالإضافة إلى ثورات درقاوة في شرقي البلاد وغربيها وثورة التيجاني، كان الصراع على أشده داخل أروقة الحكم العثماني، خاصة بين الكراغلة والسلطة الحاكمة[4]، من نهاية القرن السادس عشر(16م) إلى بداية التاسع عشر(19م).

وقد كان لهذه للثورات دور كبير في إحداث نوع من التقارب(بين الكراغلة والسلطة)، خاصة مع بداية القرن التاسع عشر(19م) قصد مواجهة الموقف الصعب الذي كانت تمر به

(1) المازاري، المصدر السابق، ج1، ص:361.
(2) المصدر نفسه، ص: 361.
(3) المصدر نفسه، ص: 362.
(4) يرجع أول تكتل للكراغلة إلى عام 1596م، وذلك حينما حاول خيضر باشا حاكم الجزائر، الاستعانة بهم لإخماد عصيان الإنكشاريين. ينظر: أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 95.

البلاد، فاستعان الداي بالكراغلة لإخماد عصيان الإنكشارية سنة 1808م، حيث منعوا الجيش من نهب محلات مدينة الجزائر، واستطاعوا إخماد فتنتهم الكبيرة سنة 1817م.[1]

ويعتبر حمدان بن عثمان خوجة المعاصر لأحداث هذه الفترة وشاهد عيان عليها، أن الصراع الذي نشب بين الكراغلة والانشكارية طوال العهد العثماني، كان سببه ذلك الحاجز الذي وضعه بعض الحكام بين الفئتين، وقد أدى هذا الوضع إلى حرمان البلاد من علوم وأموال الكراغلة.[2]

وفي خضم هذا الصراع، استطاع اليهود قلب الموازين لصالحهم، حيث "وضع الأتراك ثقتهم فيهم، لأنهم لا يخشون منهم الاستيلاء على الحكم"[3]، واعتقدوا أن الاستعانة بهم أهون من استعانتهم بالكراغلة، وهو الأمر الذي جر البلاد إلى منزلق خطير، حيث ساهمت هذه الفئة في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية للبلاد، وكانوا وراء كل التوترات والاضطرابات التي حلت بالبلاد.[4]

ويعود تواجد هذه الفئة بالجزائر إلى وقت مبكر، وبقيت أعدادهم في تزايد مستمر، خاصة بعد سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م، حيث هاجر عدد كبير منهم – خاصة يهود إسبانيا- إلى الجزائر[5]، وبعد أن سمح لهم خير الدين بربروس بالإقامة الدائمة في البلاد، بدأوا ينتشرون في ربوعها، وعكفوا على ممارسة مختلف الأنشطة التجارية، وتمكنوا مع مرور الوقت من السيطرة على معظم المبادلات التجارية، وامتد نشاطهم إلى المدن التونسية والمغربية وطرابلس، أواخر القرن السابع عشر(17م).[6]

ومع بداية القرن الثامن عشر(18م)، عرف نشاطهم التجاري ازدهارا كبيرا، خاصة لما

(1) أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 99.

(2) حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، ط2، 1982، ص: 157.

(3) المصدر نفسه، ص: 158.

(4) صالح عباد، المرجع السابق، ص: 189.

(5) Ch.A.Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation, Paris, 1964 p : 11.

(6) Eisenbeth , M : les Juifs en Algérie esquisse Historique de puis les origines jusqu 'à nos jours, p : 16.

وصل إلى الجزائر، كل من أسرتي بكري وبوشناق القادمتين من ليفورنة عام 1770م[1]، حيث لعبت هاتين الأسرتين دورا خطيرا على الصعيدين السياسي والاقتصادي [2]، معتمدتين في ذلك على المصاهرة التي تمت بينهما لتقوية نفوذهما، وتوطيد العلاقة مع الحكومة العثمانية، وهو ما سهل سيطرتهما على التجارة الداخلية والخارجية للبلاد[3]، حيث مكنت هذه العلاقة اليهود من احتكار المواد الأساسية التي كانت تنتجها البلاد، كالحبوب والشموع والجلود والأصواف، والحصول على موافقة الداي حسين، باحتكار تجارة الحبوب، ودفع علاوات للدولة[4]. وقد استطاعوا في هذا الإطار بعد إقناع المسؤولين الفرنسيين من شراء القمح منهم[5]، أن يبيعوا نصيبا كبيرا من الحبوب إلى فرنسا سنة 1793م بعد موجة المجاعة المهلكة بها[6]، ثم بيع كميات أخرى عامي 1896 و 1897م، حتى أصبحت ديون فرنسا حوالي أربع وعشرين مليون (24.000.000) فرنك فرنسي، وخفضتها حكومتها إلى سبعة ملايين (7.000.000) فرنك.[7]

وقد كان لصفقة الحبوب هذه، دور كبير في توتر العلاقة بين الجزائر وفرنسا، حيث أنه وبعد مطالبة اليهود فرنسا بتسديد ديونها المقدرة بـ: سبعة ملايين وتسعمائة واثنين وأربعين ألف وتسعمائة واثنين وتسعين(7.942.992) فرنكا[8]، رفضت الحكومة الفرنسية الطلب، وهو ما استدعى تدخل الداي حسن سنة 1797م.

وبالرغم من هذا التدخل، إلا أن المشكلة بقيت في أخذ ورد، وانتهت في الأخير بحادثة

(1) صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، الجزائر: دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص: 180.

(2) ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، ص ص: 110- 111.

(3) أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 104.

(4) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 180.

(5) المرجع نفسه، ص: 180.

(6) أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 105.

(7) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 180.

(8) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، ص: 78. محمود السيد، المرجع السابق، ص ص: 167 – 168. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الجزائر الحديثة، ج2، الجزائر: د.م.ج، ص: 363.

المروحة التي أدت إلى حصار الجزائر بحريا، خاصة بعد معركة نافارين[1] من 16جوان 1827م إلى غاية 14جوان 1830م، تاريخ إنزال القوات الفرنسية بسيدي فرج.[2]

ويعتبر الحصار البحري، من أهم الأحداث البارزة التي سبقت الاحتلال، والذي جاء كنتيجة مباشرة لحادثة المروحة، التي تتلخص أحداثها في أن الداي حسين ضرب القنصل الفرنسي "دوفال" *Duval* بمروحة كانت بيده مرتين أو ثلاث، ردا على إجابته المنافية للدبلوماسية، والتي قصد من ورائها إهانة الداي وحكومته.[3]

وقد سعت الحكومة الفرنسية جاهدة للحصول على اعتذار رسمي من حكومة الداي، بحجة رد الاعتبار للشرف الفرنسي الذي أهين حسب زعمها في هذه الحادثة، معتمدة في ذلك كله على القوة البحرية والتهديد العسكري، وهو ما جعل الأمور تميل إلى التسوية اللاسلمية، خاصة بعد أن فرضت فرنسا عدة شروط استفزازية لذلك، والتي من جملتها، أن يبعث الداي حسين بوفد مكون من الشخصيات البارزة، وعلى رأسهم وزير البحرية والشؤون الخارجية ووكيل الخرج، لتقديم الاعتذارات العلنية للقنصل الفرنسي، ليرفرف بعدها مباشرة العلم الفرنسي على كل حصون مدينة الجزائر، وبالموازاة مع ذلك تطلق مائة (100) طلقة مدفعيته لتحيته [4]، لكن هذه الشروط قوبلت بالرفض من طرف حكومة الداي، مما انجر عنه إنفاذ عملية الحصار.[5]

ونتيجة لموقف البلدين المتناقض، فإن التوفيق بينهما أصبح غير ممكن، حيث نشبت عدة

---

(1) Moulay Belhmissi , Marine et mrins d'Algerie 1518 – 1830, tome 3, grandeur et decadence, biblioteque nationale d'Algerie, 1996, pp : 109 – 112.

(2)يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ص: 363. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000، ص: 371. سعيدوني: "**الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية (1827- 1830)**"، مجلة الثقافة، ع28، السنة الخامسة، رجب شعبان 1395هـ/ أوت، سبتمبر 1975م، ص: 11.

(3) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 180. محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 128. سعيدوني، الحصار البحري الفرنسي، ص: 12.

(4) Azan : l'expédition d'Algérie 1830, Paris 1929, p p : 23-24.

أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الجزائر: ش.و.ن.ت، ط3، 1982، ص ص: 24 – 25.

(5) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 129. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص: 25. جلال يحي، العالم العربي الحديث، الأزاريطة: المكتب الجامعي الحديث، 1998، ص: 124.

مناوشات حربية خلال فترة الحصار، اعتبرتها فرنسا بمثابة اختبار حقيقي للقوة البحرية الجزائرية[1]، وفي هذا الصدد يصف لنا الطبيب الألماني "سيمون بفاير" *Simon Bafaier*، إحدى هذه المعارك، والتي جرت في ميناء العاصمة يوم 04 أكتوبر 1827م، إذ يقول: "وفي ليلة مقمرة، كانت ليلة المولد النبوي، التي ابتعدت فيها السفن الفرنسية قليلا عن الميناء، غادر الأسطول الجزائري شواطئ مدينة الجزائر...وعندما بزغت الشمس من البحر في روعة، وبدأت تنشر ضياءها فوق المدينة، سمعنا هدير المدافع ينطلق من البحر، ورأينا سفن الأمتين تتجه نحو بعضها بعضا...وبعد أن دامت المعركة البحرية عدة ساعات واختفى الفرنسيون، عادت السفن الجزائرية إلى الميناء وقد ألحق بأكثرها أضرارا بالغة".[2]

وقد شعر حكام الجزائر وفي مقدمتهم الداي، بالتأثير المباشر للحصار على مستقبل البلاد، خاصة بعد أن بدأ يترك آثاره السلبية على قدرات البلاد الحربية والاقتصادية، وكذا علاقاتها التجارية، ثم انقطاع الموارد الأولية التي كانت توفرها الأتاوات المدفوعة من طرف السفن العابرة للبحر المتوسط[3]، وبالرغم من كل ذلك، إلا أن الموقف الجزائري بقي منكمشا على حد قول الزهار: "ثم جاءت مراكب الفرنسيين ووضعت البلونكو، وبقي الأمر كذلك".[4]

وبالجملة، فإن هذا الحصار كان في الأساس خطة كانت الحكومة الفرنسية تهدف من ورائها إلى القضاء على الأسطول الجزائري وتدميره، تمهيدا لاحتلالها عسكريا.

2.3- الاحتلال:[5]

يعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر، أسلوبا متميزا في فرض الهيمنة الأوربية على أحد

(1) سعيدوني، الحصار البحري الفرنسي، ص: 13.

(2) سيمون بفاير، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1974، ص ص: 40-41.

(3) سعيدوني، الحصار البحري الفرنسي، ص: 19.

(4) الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، المذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، 1980، ص: 163.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1990، ص ص: 243-269. عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص ص: 313 – 314، هامش: 02.

الأقطار الإسلامية، فهو بحق ظاهرة فريدة، بل نموذجا خاصا في تعامل القوى الأوربية مع بقية الدول الأخرى، مما يجعلنا نقول أن المشروع الاستعماري للجزائر، هو بحق حقل تجارب مبدئي هدفه إلغاء الهوية العربية الإسلامية وطمسها.[1]

ولم يكن الهدف الحقيقي لحملة فرنسا على الجزائر – كما تدعي وتزعم - تأديب الداي الذي جرح الكرامة الفرنسية من خلال حادثة المروحة، وإنما الهدف هو العمل على تأسيس إمبراطورية استعمارية جديدة، وتأمين موارد اقتصادية لمعاملها، وإيجاد أسواق لبضائعها، والجزائر بموقعها مناسبة لذلك.

وفي 07 فبراير 1830م، أقر شارل العاشر مشروع الحملة العسكرية، وأصدر مرسوما ملكيا يقضي بتعيين الكونت "ديبرمون" *Debormon* قائدا عاما للحملة، والأميرال «دوبري" *Doubré* قائدا للأسطول.[2] وفي 30 ماي 1830م قرر مجلس وزراء فرنسا توجيه الحملة العسكرية إلى الجزائر.[3]

ولقد سار تجهيز الحملة على قدم وساق، وتجمعت القوات البرية والبحرية ومعدات الحرب والذخيرة والتموين، على البر بمينائي طولون ومرسيليا، حتى بلغ مجموع الحملة عدة وعتادا في أواخر شهر أفريل، حوالي ثمانية وثلاثين ألف (38.000) جندي، وواحد وتسعين (91) قطعة مدفعية[4]، غادرت ميناء طولون يوم 25 ماي 1830م.[5]

وبالرغم من ذلك، فإن الداي لم يستعد جديا للتصدي لعملية الغزو، بل إنه اكتفى بتوجيه أوامره لبايات الإيالة، بأن يكونوا على استعداد لنجدة العاصمة عندما يقتضي الأمر ذلك[6]، وأسند قيادة الجيش لصهره الآغا إبراهيم سنة 1829م، بعد حادثة السفينة البرلمانية بروفانس، ولم يكن قائدا ممتازا، ولا يعرف الشيء الكثير من التكتيتك العسكري، حيث أنه

(1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من قضايا ومفاهيم تاريخية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000، ص19.

(2) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص: 33.

(3) محمد العربي الزبيري: **"المقاومة في الجزائر 1830- 1848"**، مجلة الأصالة، عدد 30/29، 1976، ص: 02.

(4) جلال يحي، المرجع السابق، ص: 134.

(5) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص ص: 382 – 383.

(6) العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 03.

وبالرغم من انعقاد المجلس الحربي لتحديد خطة الدفاع عن المدينة، فإنه ظل متمسكا بآرائه الغير مجدية، إلى درجة نشب بينه وبين الحاج أحمد باي قسنطينة[1]، خلاف كبير حول إستراتيجية المواجهة. كما أنه كان يستخف بأعدائه كثيرا، ووصل به الأمر إلى حد أنه لم يقم بتعبئة القبائل ولا استقدامها إلى معسكرات قريبة من سيدي فرج، ولم يقم بحفر الخنادق[2]، وترك جميع الفرق المكونة لجيشه تقيم على مسافة من مدينة الجزائر، تتراوح ما بين خمس(05) وعشر(10) مراحل.[3]

ومع ذلك، فقد اعتمدت القوات الجزائرية على خطة تهدف إلى منع الإنزال بسيدي فرج، لكنها فشلت في آخر المطاف، وتم إنزال القوات الفرنسية يوم 19 جوان 1830م.[4]

وبعد ذلك، انسحبت القوات الجزائرية إلى هضبة اسطاوالي[5]، وبقيت تنتظر عدة أيام[6]، حيث كادت أن تلحق بالجيش الفرنسي هزيمة نكراء، لولا فرار المقاتلين الذين تعرضوا لإهانة الآغا إبراهيم وتركهم لساحة المعركة، فدارت الدائرة على الجيش الجزائري، وتمكنت القوات الفرنسية من الاستيلاء على الهضبة[7]. وحينها رفع الداي طلبه إلى الجارتين تونس والمغرب لمد يد العون والمساعدة لكن دون جدوى.[8]

وعن أسباب هذه الهزيمة السريعة والمفاجئة، يتحدث "سيمون بفاير"*Simoun Bafyer* عن ضعف الجيش الجزائري وقلّة عدده تحت إمرة هذا القائد، فيقول: "وقد تولى الآغا أفندي

(1) أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، المذكرات، تعريب وتعليق محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1973م، ص: 25.

(2) العربي الزبيري، المرجع السابق، ص: 03.

(3) سيمون بفاير، المصدر السابق، ص: 64.

(4) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 187. عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، م.و.ك، 1985، ص: 203. جون.ب.ولف، الجزائر وأوربا 1500 – 1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، الجزائر: م.و.ك، 1985م، ص: 453.

(5) جمال قنان: "**معركة اسطاوالي**"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر: معهد التاريخ، ع2، 1986م، ص ص: 54 – 61.

(6) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص: 196. أحمد باي، المصدر السابق، ص: 30. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص: 94.

(7) سيمون بفاير، المصدر السابق، ص: 85. صالح عباد، المرجع السابق، ص: 254.

(8) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 388. زهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، بيروت: دار النهضة العربية، 1985، ص: 539.

إبراهيم قيادة الجيش الجزائري الذي كان ينظم إليه في كل يوم بضعة آلاف من العرب والقبائل بقيادة باياتهم، وشيوخهم، وخلفائهم، فوصل باي قسنطينة إلى اسطاوالي مع حوالي اثني عشر ألف (12.000)، وباي التيطري مع ثمانية آلاف (8.000)، وخليفته ثلاثة آلاف (3000)، وخليفة باي وهران ستة آلاف (6.000)، وشيوخ القبائل ما يقارب الستة عشر ألفا (16.000)...والحقيقة أن كل من الداي والآغا أفندي، كان يجهل مقدار القوات الجزائرية المحاربة".[1]

وعن احتلال مدينة الجزائر، يقول المشرفي: "فأول قاعدة دخلها وفلّ عرشها، مدينة الجزائر... وكان دخوله لها ثالث عشر محرم الحرام سنة ستة وأربعين ومائتين وألف[2]، بعد أن نزل بوادي سيدي فرج، اليوم الثاني والعشرين من ذي الحجة الحرام، وقابلته المحال التركية وناضلته الأيام التي بين دخوله ونزوله".[3]

وبالرغم من المساعي الحثيثة لكل من الداي حسين وصهره الآغا إبراهيم لمنع عملية الاحتلال، فإن الأمور كانت تجري في غير ما خطط لها، فأضحت الهزيمة محققة، وأجبر الداي حسين الذي فشل في إيجاد حل سلمي للمشكلة على توقيع معاهدة الاستسلام، التي أدت إلى الاحتلال الرسمي للجزائر[4]، حيث أرسل قائد الجيش الفرنسي شروطه لتسليم المدينة إلى الداي، والذي بدوره قبلها ووقع عليها يوم 05 جويلية 1830م.[5]

ومع أن معاهدة الاستسلام قد أنزلت في ستة بنود، تخدم كلها وبدرجة أكبر مصالح الداي حسين وحاشيته، ثم مصلحة الفرنسيين، فإنه تم التعهد بضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية، وكذا الحفاظ على أملاكهم وتجارتهم وصناعتهم ونسائهم، لكن شيئا من ذلك لم يقع.

ولا نجد تعبيرا يناسب المقال سوى ما ذكره "سيمون بفاير"، إذ يقول: "وعندما تم التسليم عصر ذلك اليوم، انقطع هدير المدافع وانتهت الحرب، واستولى الأسطول الفرنسي على

(1) سيمون بفاير، المصدر السابق، ص: 80.

(2) الموافق لـ 05 جويلية 1830م.

(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 19.

(4) صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، ط6، 1993، ص: 95. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص: 404.

(5) ينظر نص المعاهدة كاملا عند عبد الرحمن الجيلالي، المرجع نفسه، ص ص: 404- 406.

الميناء، واحتل الجيش جميع الهضاب والمرتفعات الواقعة حول المدينة، ونصبت فوقها الأعلام الفرنسية...وفي صبيحة اليوم التالي وهو يوم 06 جويلية 1830، ارتفعت أصوات الفرنسيين المنتصرين في التاسعة صباحا، معبرة عن السرور والبهجة".[1]

ومما ينم عن الفرحة الكبرى، والسعادة الغامرة للغزاة، هو شكر قسيس الحملة الفرنسية القائد "دي بورمون" قائلا له: "إنك فتحت بابا للمسيحية بإفريقيا".[2]

وأما اليهود، فقد بدت عليهم الفرحة الشديدة، والاغتباط الكبير[3]، حيث بدأ نشاطهم في خضم النهب والسلب والقتل، بدفن الجثث في مقابر جماعية ثم ردمها بالتراب.[4]

وقد لقي الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترحيبا كبيرا في بعض الأوساط الأوربية، دون الأخرى. ففي فرنسا، لم يلق الاحتلال الترحيب الأمثل، حيث رأت المعارضة أن في ذلك إطالة لحكم الملك شارل العاشر، وبالتالي زيادة تفاقم الأوضاع الداخلية وازديادها سوءا، بخلاف تجار مرسيليا فإنهم رأوا في ذلك نتيجة جد إيجابية، وذلك لصرف منتجاتهم.

ومن المواقف الرافضة كذلك موقف الباب العالي، الذي رأى فيه خرقا للعهود والمواثيق الدولية، وأن الجزائر مقاطعة عثمانية يجب أن تعود كما كانت[5]، كما رفضت بريطانيا هذا الاحتلال كذلك، ورحبت به بقية الدول الأوربية.[6]

5- المقاومة الشعبية:

اعتقد "دي بورمون" *Debormon* أن سقوط مدينة الجزائر، سيؤدي بصورة تلقائية إلى احتلال كل القطر الجزائري دون مقاومة، لكن الحقيقة التاريخية أكدت غير ذلك، حيث انطلقت المقاومة في أجزاء كبيرة من التراب الجزائري، لعل أهمها وأبرزها مقاومتي الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري، والحاج أحمد باي قسنطينة بالشرق، كتأكيد على رد اعتقاد "دي

(1) سيمون بفاير، المصدر السابق، ص ص: 100- 104.

(2) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 190.

(3) المرجع نفسه، ص: 192.

(4) P. Azan, op.cit, p : 20.

(5) أرجمند كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827- 1847م، نقله عن التركية عبد الجليل التميمي، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، ط$_2$، 1974م، ص ص: 48 – 57.

(6) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج$_1$، ص: 367.

بورمون"*Debormon* .

1.5- **مقاومة الأمير عبد القادر** [1]1830 – 1847:

إثر احتلال الجزائر، كان سكان القيطنة قد عرضوا على محي الدين مسؤولية الإمارة، فرفضها وقبل القيام بأمر الجهاد فقط[2]، واعتذر لهم متذرعا بكبر سنه وعجزه[3]، لكنه أشار عليهم في المقابل، بإرسال وفد إلى السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام[4]، للانضمام إليه ومبايعته.

وبالفعل، فقد تم إرسال وفد إلى السلطان عبد الرحمن لبحث أمر البيعة فقبلها، وأوفد ابن عمه علي بن سليمان مبعوثا عنه[5]، واتخذّ من تلمسان مقرا له، وبايعه أهل معسكر وقبائل الحشم[6]، وفي هذا الصدد يقول المشرفي: "لما استقر الفرنسيس بها وهو في وهران، واقتصر عليهما ولم يمد يده في البر، انضمت الإيالة الجزائرية إلى سلطان المغرب، وكان أعيان الإيالة مع علمائها، جاؤوا بخليفته فنزل بمحاله على تلمسان، وفرق القواد على القبائل والمدائن، واستوطن تلمسان".[7]

وبعد مرور ستة (06) أشهر من ذلك،لم يرق للحكومة الفرنسية صنيع السلطان عبد الرحمن بن هشام، فأرسلت في إنذاره. وقد عبر عن ذلك صاحب تحفة الزائر بما يلي: "فلم يحل

---

(1) عن مصادر ترجمته ينظر: محمد بن الأمير، المصدر السابق. السلاوي، المصدر السابق، ج9، ص: 41. عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص: 59. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص ص: 45 – 46. كحالة، معجم المؤلفين، ج3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993، ب ط، ص: 304.

(2) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 201.

(3) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 147.

(4) **عبد الرحمن بن هشام**: هو عبد الرحمن بن هشام بن محمد الحسني، ولد عام 1204هـ/1790م. بويع بفاس، بعد وفاة عمه، المولى سليمان بن محمد، سنة 1238هـ/1822م. كان عادلا، رافقا برعيته، كثير العناية بالعلم والعلماء. توفي بمكناسة عام 1267هـ/1859م. ينظر: عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج5، الدار البيضاء: مطابع إديال، ط2، 1990، ص: 51.

(5) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 147. عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2001 – 2002، ص ص: 357 – 358.

(6) الناصري، المصدر السابق، ج9، ص ص: 26 – 29.

(7) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 39.

هذا الصنيع في نظرة فرنسا لمنافاته لمقصودها ولم تتغافل عنه، وبعثت إلى سفيرها بطنجة أن يقدم على الفور من قِبلِها، التنبيهات المشددة إلى سلطان المغرب، وينذره بعداوة دولته، ويتهدده بالحرب..."[1]، وعلى إثر هذا التهديد الصارخ، انسحب مفوض عبد الرحمن بن هشام من المنطقة وتركها في فوضى عارمة.[2]

ولقد رفع أهل المغرب الأوسط بعد هذا الانسحاب، طلبهم القديم إلى محي الدين لقبول البيعة، فقَبِل بيعة الجهاد ورد بيعة الإمارة[3]، والتي عرض عليهم طرحها على ابنه عبد القادر، هذا الأخير لم يتردد في قبولها بقوله: "أنا لها، أنا لها"[4]. وفي هذا الصدد يقول المشرفي: "فأخرج لهم ولده عبد القادر وهو يومئذ صغير وبايعه بخط يده، فتبعه أعيان العلماء من الرعية والحشم وغيره"[5]، فتمت له البيعة الأولى[6] في03 رجب 1248هـ الموافق 27 نوفمبر 1832م، ثم جاءت البيعة الثانية[7] يوم 13 رمضان 1241هـ الموافق 4 فيفري 1833م، مؤكدة للبيعة الأولى.

وجدير بالذكر، أن محي الدين وبعد أن تمت بيعته لإمرة الجهاد، استطاع أن يهزم القوات الفرنسية في عدة وقائع، خاصة منها معركة خنق النطاح الأولى يوم 07 أفريل 1832م، ومعركة رأس العين في ماي 1832م.[8]

---

(1) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 147. فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، م.و.ك، 1985، ص: 50.

(2) الناصري، المصدر السابق، ج9، ص: 41.

(3) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 147. فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص: 51.

(4) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 155. إسماعيل العربي، العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير، د.م.ج، مطابع الكرمل الحديثة، 1982م ص: 05. الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، د.م.ج، 1995م، ص: 530.

(5) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 40.

(6) راجع نص البيعة كاملا عند محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص ص: 157 – 159. إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصرة، د.م.ج، 1999، ص: 27.

(7) راجع نص البيعة الثانية كاملا عند محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص ص: 163 – 165.

(8) المازاري، المصدر السابق، ج2، ص ص: 96 -100. يحي بوعزيز: "**تاريخ مدينة معسكر الثقافي وجهاد الأمير عبد القادر**"، ملتقى الفكر الإسلامي، 1987، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005، ص: 76. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج14، القاهرة: المكتب الإسلامي، ط2، 1996، ص: 218.

وبعد بيعته، بدأ الأمير عبد القادر حربه ضد الجيش الفرنسي[1]، واتجه لحصار وهران، وهو ما أجبر الجنرال "دي ميشيل *Desmichels*" على طلب المهادنة، التي قبلها الأمير عبد القادر، وانتهت بتوقيع معاهدة سلم عرفت بمعاهدة "دي ميشيل*Desmichels* " في 17 شوال 1249هـ الموافق 27 فيفري 1834م[2]، وهي المعاهدة التي انتزع من خلالها اعترافا ضمنيا وقويا كأمير للمؤمنين، وبداية مرحلة حكم حقيقية في المنطقة الغربية.[3]

وقد استغل الأمير فرصة توقيع هذه المعاهدة لإعادة تنظيم الصف الداخلي، حيث استطاع في ظرف وجيز أن يؤسس جيشا قويا، إلا أن مدة المعاهدة لم تطل كثيرا، حيث إن الفرنسيين عمدوا كعادتهم إلى نقض بنودها، وهو ما اعتبره الأمير خرقا فادحا لقراراتها، وبالتالي العودة للجهاد [4]، فتجدد القتال وأحرز الأمير انتصارا كبيرا على "تريزيل*Trezel*"، في معركة المقطع سنة 1836م.[5]

وبعد الهزيمة الساحقة التي مني بها الجيش الفرنسي في هذه المعركة، اضطر الجنرال "بيجو *Bujeaud*" إلى المهادنة، فكانت معاهدة التافنة في 14 صفر 1253هـ الموافق 20 ماي 1837م، التي استغلها كلا الطرفين في إعادة ترتيب أموره.[6]

وقد عمل الأمير عبد القادر جاهدا على إحكام التنظيم العسكري لجيشه، وكذا تنظيم أمور إدارته. فلم يكن يشتري الأسلحة، وإنما كان ينتجها بنفسه، كما أنه استطاع إخضاع

---

(1) بوعزيز، الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية، ص: 206.

(2) الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط$_1$، 1995، ص:107. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم له أبو القاسم سعد الله، د.م.ج، سبتمبر 2004، ص: 123، هامش: 12. عبد الحميد زوز، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دميشيل، دار هومة، 2003، ص ص: 01- 160. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900، ج$_1$، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط$_2$، 1992، ص: 176.

A.V.Denezen : op.cit, p: 37.

(3) C.R. AGeron, Histoire de l'Algérie contemporaine, P.E.F, Paris, 1964, p : 11.

(4) إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ش.و.ن.ت، ط$_2$، 1980، ص ص: 47- 65.

(5) المازاري، المصدر السابق، ج$_2$، ص: 141. مصطفى بن تهامي، المصدر السابق، ص: 107. أحمد الشريف الأطرش السنوسي، كتاب العمر أو تاريخ الجزائر في خمسة قرون، مخطوط بحوزة عائلته، ص ص: 543 – 544.

(6) المازاري، المصدر السابق، ج$_2$، ص: 167. محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 277. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج$_1$، ص: 181. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، ص: 131.

معظم إقليم وهران والتيطري وجنوب الجزائر، وقضى على المناوئين [1] خاصة منهم بوحمار.[2]

ومما يذكر هاهنا، أن الأمير عبد القادر أرسل برسالة إلى فقيه المغرب الأقصى الإمام التسولي يستفسره في أمور تتعلق أمور الجهاد، وقد حمل الرسالة الشيخ سقاط المشرفي.[3]

وبعد معاهدة التافنة، استطاع الفرنسيون احتلال قسنطينة عاصمة بايلك الشرق، وهزم أحمد باي الذي كان يعتبر بالنسبة لهم حجر عثرة، للقضاء على مقاومة الأمير. وقد عمدوا كالمرات السابقة إلى نقض عهدهم مع الأمير، والذي لم ترقهم جهوده لبناء دولة قوية[4]، حينها اجتمع الأمير بمجلسه الشوري في جويلية 1839م لدراسة التطورات الخطيرة، وكذا إمكانية الرجوع إلى الحرب، فتم الاتفاق على خوض غمار الحرب من جديد، وقامت القبائل الموالية له في أواخر نوفمبر من نفس السنة بقيادة نائبه وخليفته ابن علال، بهجوم شامل على إقليم متيجة، ثم توالت الهجومات الشرسة على الجيش الفرنسي وفي مناطق متفرقة. [5]

وفي هذه الأثناء، بدأ الجنرال "بيجو *Bugeaud*" يشن حرب إبادة واسعة النطاق، استهدفت كل المناطق الخاضعة لسلطة الأمير عبد القادر، فكانت أولى المناطق المستهدفة مدينة تاقدمت، ثم تبعتها مدينة معسكر، ثم وادي علاق، ليدخل على إثرها الأمير عبد القادر في مرحلة جديدة وحرجة، حيث بدأت الأمور تسير نحو الأسوأ، مما اضطره إلى تكوين عاصمة متنقلة متمثلة في الزمالة، والتي انسحب بها إلى الهضاب العليا[6]،لم ذلك يخفّف عنه حدة الوضع طويلا، بسبب الخيانة الكبيرة التي أدت إلى اكتشاف هذه العاصمة، ثم انهزامه في معركة عين طاقين في ماي 1843[7]، وهو ما جعله يتلقى صفعة قوية أجبرته على الانسحاب إلى المغرب

(1) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19و20، ج1، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، 1996، ص: 43.

(2) الشقراني، المصدر السابق، ص: 27.

(3) التسولي، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تحقيق ودراسة عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996.

(4) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 204.

(5) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص: 46.

(6) يحي بوعزيز، تاريخ مدينة معسكر، ص: 80.

(7) المازاري، المصدر السابق، ج2، ص: 207. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، ص ص: 231 – 249.

Bruno Etienne, Abdelkader, Paris, 1994, p : 192.

الأقصى في أكتوبر 1843م[1]، حيث استقر بجبال الريف المغربي آملا في مساعدة سلطان المغرب عبد الرحمان بن هشام.[2]

ورغم المساعي الحثيثة للأمير من أجل إيجاد مخرج له، فإن طلبه في الأخير لم يلق الترحيب الأمثل من طرف سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام الذي كان يعيش يومها على وقع هزيمة وادي إيسلي سنة 1260هـ/ 1844م، والتي تكبد فيها الجيش المغربي خسائر فادحة في العدة والعتاد.[3]

وعلى إثر ذلك، لم يجد الأمير بدا من الانسحاب من الأراضي المغربية، خاصة بعد اتهامه بدس نوايا توسعية، ورأوا في التجائه إلى المغرب خطرا على مستقبلهم، فجهز سلطان المغرب جيشا كبيرا للحيلولة دون ذلك، وجعله يتراجع إلى الجزائر.[4]

وفي هذا الوقت الحرج، وجد الأمير نفسه مرغما على العودة إلى الجزائر، فدخلها سنة 1845م، وبدأ يقود العمليات الجهادية، وانضم إليه كل من بومعزة وأحمد بن سالم بجبال جرجرة، واستطاع أن يذيق الفرنسيين عدة هزائم، خاصة في معركة سيدي إبراهيم في شهر سبتمبر 1845م[5]. وبعد هذه المعركة التي تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة، جاءت النجدات سريعة، وتم تطويق الأمير عبد القادر كمحاولة لزعزعته. وبالفعل فقد نجحت القوات الفرنسية في مسعاها الوخيم، خاصة بعد استسلام أحمد بن سالم في المنطقة الشرقية في شهر مارس 1847م، والذي كان له أثر سيء في نفسية الأمير عبد القادر، وجعلته يفكر في

(1) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 204.

(2) وما يذكر في هذا الإطار، أن الأمير عبد القادر، كان قد وجه طلبا لقبائل فجيج لمساعدته سنة 1251هـ/ 1836م، لكن هذه القبائل، أعلنت أنها غير قادرة على المساعدة. ينظر: أحمد مزيان، فجيج "فكيك" مساعمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن التاسع عشر (1845م- 1903م)، المغرب: مطبعة فجر السعادة، 1988، ص ص: 119 – 120.

(3) عن هذه الموقعة، ينظر: السلاوي، المصدر السابق، ص: 53. عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب من الغزو الأيبيري إلى التحرير، ج3، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2، ب ت، ص: 127. محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1985م، ص: 16. مصطفى الشابي: "**الجيش المغرب** في **القرن التاسع عشر**"، متنوعات محمد حجي، بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، ص:361.

(4) الناصري، المصدر السابق، ص: 59. يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ص: 236.

(5) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص: 209.

الانسحاب مرة ثانية إلى المغرب.[1]

وبالفعل، فقد انسحب الأمير إلى مراكش طامعا في مساعدة السلطان المغربي، هذا الأخير وجه إليه تحت تهديد فرنسا تحذيرا بموجب اتفاقية إيسلي 1844م، وسير إليه قوات ضخمة أجبرته على الانسحاب من المغرب[2]. وقتها لم يجد الأمير خيارا آخر، فآثر الاستسلام في 15 محرم 1264هـ الموافق 23 ديسمبر 1847م، ثم طلب الأمان من القائد الفرنسي "لاموريسيير"، شريطة السماح له بمغادرة البلاد إلى المشرق، لكنه سجن بقصر أمبواز في العاصمة الفرنسية باريس مدة خمس سنوات، ليطلق سراحه بعد ذلك، ويتوجه إلى سوريا مع أسرته وأنصاره، إلى أن وافته المنية بها عام 1883م رحمه الله.[3]

2.5- **مقاومة الحاج أحمد باي قسنطينة** 1830 – 1848م:

هو أحمد ابن الشريف محمد حفيد الباي محمد القلي، ولد من أب تركي وأم جزائرية وبالتالي فهو كرغلي[4]. وقد بدأ الحاج أحمد يبرز كرجل كفء منذ سنة 1809م، عندما وصل إلى رتبة "قائد العواسي"، ثم تعيينه عام 1818م خليفة للباي، حيث أثبت جدارته في وظيفته الجديدة، وهو ما جعل الداي حسين يوليه بايلك قسنطينة عام 1826م.[5]

وقد خاض أحمد باي المقاومة منذ الأيام الأولى لعملية الاحتلال. فكان في مقدمة المعارك الدامية التي خاضها الجيش الجزائري ضد الفرنسيين، وحارب على رأس مجموعة كبيرة من فرسانه.[6]

وبعد احتلال الفرنسيين للعاصمة، واستيلائهم على قلعة مولاي حسن، انسحب الحاج أحمد باي إلى وادي القلعة، ثُم إلى عين الرباط شرقي العاصمة، حيث تابع طريقه بعدها إلى

(1) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص ص: 51 – 52. صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص ص: 204 – 205.

(2) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 498. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، ص: 64. فيصل موسى محمد، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ليبيا: منشورات الجامعة المفتوحة، 1997م، ص: 102.

(3) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 205.

(4) المرجع نفسه.

(5) الزهار، المصدر السابق، ص: 160.

(6) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج4، ص: 14. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص: 63.

قسنطينة.[1]

وتجدر الإشارة، إلى أنه وفي طريقه إلى قسنطينة، بلغه أن قبيلة ريغة بسطيف، وقبيلة العلمة، وقبيلة عامر الغرابة، متأهبة للانقضاض عليه بزعامة ابن القندوز المناهض له. وقد استطاع الحاج أحمد أن يقضي على هذه الحركة، بمساعدة ابن عبد السلام المقراني.[2]

وبعد أن وصل قسنطينة ورتب أمورها، وصلته رسالة من قائد الجيش الفرنسي الجنرال كلوزيل "*clauzel*"، بقصد تعيينه بايا على قسنطينة، حينها اجتمع الحاج أحمد بديوانه وعرض عليهم الأمر للمشورة، فجاء رد الديوان بالرفض القاطع.[3]

وفي الوقت الذي كان يعول فيه الحاج أحمد كثيرا برفضه هذا على رد الباب العالي، بقصد إبقائه بايا على قسنطينة، إذ بأنباء مفاجئة تصله، مفادها عزل الجنرال كلوزيل من منصبه، والذي كان قد وقّع قبل ذلك اتفاقية مع باي تونس يصير بمقتضاها أخ هذا الأخير (سي مصطفى) بايا على قسنطينة[4]، ونتيجة لهذا الموقف، اجتمع الحاج أحمد ثانية بديوانه وشرح لهم الأمر، فاستنكروا ذلك ودعوا باي تونس إلى الكف عن دعايته المغرضة.[5]

ورغم هذا الاستنكار الشديد، إلا أن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد، بسبب نقل باي تونس للمعركة إلى بلاط السلطان العثماني، حيث قام بإرسال رسالة إلى هذا الأخير، يعلمه فيها بخروج أحمد باي قسنطينة عن طاعته، وكذا ظلمه للرعية. لذلك اضطر الحاج أحمد أن يرسل وفدا عنه إلى اسطامبول لتكذيب ادعاء باي تونس، لكن دعواه لم تلق الآذان الصاغية[6]، وهو ما زاد حالته تعقيدا، فعاود الكرة وألحّ على طلب المساعدة، لكن النتيجة لم تكن أفضل من سابقتها.[7]

وبالرغم من كل ذلك، فإن الحاج أحمد لم يستسلم للأمر الواقع، وأرسل برسالة لكسب

(1) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص: 135.

(2) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 209.

(3) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص: 63. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص: 136.

(4) حمدان خوجة، المصدر السابق، ص ص: 272 – 275. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص: 136.

(5) أحمد باي، المصدر السابق، ص: 79. *Ch.A.Julien :op.cit, pp: 123- 124 et pp*: 146 – 147

(6) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص ص: 137 – 138.

(7) المرجع نفسه، ص: 139.

تأييد دولي لقضيته، إلى القنصل البريطاني بتونس "توماس ريد *Tomas Red*" الذي كان أحد المعارضين لاحتلال الجزائر، في جانفي 1834م لكنه لم يتلق أي رد، فظل يناضل ويقاوم معلقا آمالا كبيرة، خاصة على الباب العالي باسطامبول.(1)

وقد بقيت الأمور تدور في هذا الفلك، إلى أن جرت أشرس معركة بينه وبين الفرنسيين بمنطقة وادي الأحد سنة 1836م، والتي مني فيها الجيش الفرنسي بهزيمة ساحقة، بسبب التهاطل الكبير للأمطار على المنطقة(2)، حيث تعقبهم أحمد باي بجيشه إلى حدود منطقة قالمة، ظنا منه أن مثل هذا الصنيع سيجبرهم على مفاوضته لتحقيق السلم والاعتراف به، لكن شيئا من ذلك لم يقع(3)، ليعود أدراجه إلى قسنطينة ويشرع في تحصينها، خوفا من مغبة مهاجمته ثانية من طرف الفرنسيين، ويرسل بعدها رسالة إلى السلطان العثماني، يبشره بانتصاره على الفرنسيين.(4)

وفي 14 صفر 1253هـ الموافق 20 ماي 1837م، عقد الأمير عبد القادر معاهدة التافنة كما سلف، فاعتقد أحمد باي أنها المؤامرة، وكتب يقول: "إن العدو أبرم مع عبد القادر معاهدة سلام، وأحد شروط هذا السلام، القضاء على كل أثر لسلطتي بالبايلك"(5)، لكن نية الأمير الحقيقية من هذه المعاهدة، وعلى ما يبدو لم تكن لضرب الحاج أحمد باي قسنطينة(6)، وإنما لأخذ بعض الوقت قصد إعادة تنظيم الصف الداخلي(7)، وبالرغم من ذلك فإن الحاج أحمد باي بقي متصلبا برأيه الناجم عن اعتقاده الراسخ، بأنه الوارث الشرعي لحكومة الجزائر، لذلك كان يرفض أي تفاوض مع الأمير.(8)

---

(1) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 213.

(2) Ch.A.Julien: op.cit, pp: 132 – 135.

(3) أحمد باي، المصدر السابق، ص ص: 46 – 57.

(4) المصدر نفسه، ص: 96.

(5) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 215. هامش: 2.

(6) ناصر الدين سعيدوني: "**العلاقات بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاساتها على المقاومة الجزائرية** في **أوائل عهد الاحتلال**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع2، ص ص: 57 – 77.

(7) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 215.

(8) المرجع نفسه، ص: 215.

ومهما كان الأمر، فإن الفرنسيين كان هدفهم الأكبر من وراء توقيع معاهدة التافنة، هو الاهتمام بالجبهة الشرقية التي كانت تحت إمرة أحمد باي، فلذلك نجدهم مباشرة بعد هذا العهد يفتحون المفاوضات معه الذي بقي متشبثا برأيه، حيث لم تنجح السلطة الفرنسية في إقناعه بعد عدة مرات من المحاولة، فلجأت إلى ضرب حصار خانق على قسنطينة، وانتهى الحصار باقتحامها في 13 أكتوبر 1837م.[1]

وقبل ذلك كانت الإمدادات من طرف الباب العالي، قد وصلت إلى ميناء تونس مكونة من أربعة (4) سفن محملة بالجنود الأتراك، مع اثني عشر(12) مدفعا ومائة وخمسين (150) مدفعيا، لكن هذه المساعدات لم تجد طريقها إلى قسنطينة، بسب تهديد الأسطول الفرنسي لباي تونس، وبذلك ضاعت آمال أحمد باي للحصول على هذه الإمدادات.[2]

وبالرغم من الحالة المأساوية التي كان يعيشها الحاج أحمد بعد احتلال قسنطينة، فإنه لم يكن ليرض بحياة الذل والهوان، بل كان يعمل على تنظيم نفسه وتعبئة القبائل لمواصلة الجهاد، حيث جاء في مذكراته ما يلي: "وفي الحين فكرت في محو الهزيمة، لأن الله لا يضيع كليا إلا الذين يهملون أنفسهم".[3]

ولم يستسلم الحاج أحمد للعدو، فخاض المعارك الجسام بكل ما أوتي من قوة وعزم، فقام بعدة مناوشات مع الفرنسيين وفي مناطق متفرقة، جعلت الفرنسيين يدركون قوة هذا الرجل وصلابته في الدفاع عن الوطن، فسخروا كل ما عندهم من قوة وعتاد لوضع نهاية لمقاومته. وقتها كان أحمد باي مقيما بالأوراس عند قبائل البربر، وبات من الصعب استسلامه للسلطة الفرنسية[4]، ولذلك حاصرت القوات الفرنسية المنطقة من كل الجهات، في حين لم تكن الحالة الصحية لأحمد باي تسمح له بالجهاد، وتمت محاصرة القبائل المؤازرة له من طرف الجيش الفرنسي، فاضطر إلى الاستسلام وطلب الأمان في 05جوان 1848م.

(1) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص: 144. صالح فركوس، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 – 1850، د.م.ج. 1993م، ص: 77.

(2) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص: 142.

(3) أحمد باي، المصدر السابق، ص ص: 76 – 77.

(4) صالح فركوس، تاريخ الجزائر: ص: 228.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية

تعتبر المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر، والممتدة من بداية القرن التاسع عشر(19) إلى مستهل الاحتلال (وهي الفترة التي عاصرها المشرفي)، من أحلك الفترات التي عاشها الشعب الجزائري.

فإلى جانب السياسة العثمانية التي جعلت الأتراك طبقة حاكمة، تتمتع بكامل الحقوق والامتيازات، والطبقة المحكومة تعمل على دفع الضرائب، والقيام بالأعمال الشاقة، كان الشعب المعسكري يعيش حالة من الفقر والبؤس والحرمان، ثم الظلم والتعدي الذي مارسه العثمانيون على الشعب، وكذا انتشار الرشوة والوشاية الكاذبة، والانتقامات الناتجة عن تصفية الحسابات.

وبعد انهيار الحكم العثماني بالجزائر، ودخول الجزائريين مرحلة جديدة من حياتهم، لم تكن الأحوال اجتماعيا واقتصاديا على أحسن ما يرام، بل أصبحت أكثر ترد مما كانت عليه إبان حكم الأتراك العثمانيين.

1ـ الحياة الاجتماعية:

عرفت الحياة الاجتماعية بمعسكر تدهورا ملحوظا خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، والفترة التي تلتها بعد ذلك. ولإلقاء نظرة عامة حولها نستعرض الفئات المكونة للمجتمع المعسكري، ثم حالتها الصحية في هذه الفترة.

1.1- فئات المجتمع المعسكري:

عرفت معسكر إقطاعا كبيرا من طرف الأعيان التابعين لرجال المخزن[1]، حيث كانوا يملكون غالبية أراضيها. كما وجد فيها حوالي ثمانمائة (800) منزل، وهو الأمر الذي يجرنا إلى القول بوجود تمايز كبير بين السكان، وهو ما أدى في الأخير إلى وجود الطبقية، حسب نمط المعيشة وأساليب الحياة، واختلاف مصادر الرزق.[2]

ولمحاولة فهم الوضعية الاجتماعية لهذه الفئات، سنتناول كل طائفة على حدة، وهي كالآتي:

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: "**تدعيم الحكم التركي بالجزائر**"، الأصالة، ع32، أبريل 1976م، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي، ص ص: 54 – 62.

(2) ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج4، م.و.ك، 1984م، ص: 87. عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص: 73 -75.

1ـ سكان المدن

1.1 - الأقلية التركية:

وتعتبر هذه الجماعة أول فئة يتشكل منها المجتمع المعسكري وتتألّف من الجنود الإنكشارية الذين يستقرون في الثكنات والحصون، حيث ضلّت أعدادهم ضئيلة لفترات طويلة، واستمر الأمر كذلك إلى نهاية الحكم العثماني، إلا أن قلة أعدادهم لم تمنعهم من لعب الأدوار الريادية، حيث كانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة جدا.[1]

2.1– الكراغلة:

ومن بين فئات المجتمع المعسكري الكراغلة، الذين تكاثروا نتيجة زواج أفراد الجيش الإنكشاري بنساء البلاد، وظهروا لأول مرة في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية، وتكاثرت أعدادهم مع مرور الأيام، خاصة في المدن الكبرى[2]، لكن علاقتهم مع الأتراك لم تكن حسنة، لذلك أبعدوا عن المناصب الكبرى مدة نصف قرن، خوفا من سيطرتهم على شؤون البلاد.[3]

وفي أواخر الدولة العثمانية، شهدت العلاقات بين الأتراك والكراغلة نوعا من التقارب، مما أدى إلى نفرة الشعب منهم وسخطهم عليهم، إلى درجة أصبح فيه الكرغلي في نظر كل جزائري يشابه إلى حد كبير، الأتراك في جورهم وظلمهم.[4]

3.1– الحضر:

كانت هذه الفئة تتكون في الغالب من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد، ومن مهاجري الأندلس، بعد أن تكاثرت أعدادهم نتيجة قرارات الطرد الإجباري من أسبانيا، سنة 1610م.[5]

ولقد مارس الحضر نشاطاتهم العادية، واهتموا بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم أحسن استغلال، واستثمار مزراعهم الواقعة بالقرب من المدن، وهو ما جعلهم يؤلّفون أعلى الطبقات في المدن الصغيرة والتي عرفت بخضوعها للبايلك، كما أنهم لم يتطلعوا إلى الرياسة والزعامة بالرغم من تولي بعض أفرادها لمناصب الإفتاء والكتابة.

---

(1) عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص: 92 – 94.

(2) الجزائر، مستغانم، مازونة، مليانة، المدية، البليدة، القليعة، بسكرة، قسنطينة، عنابة، ينظر: حمدادو، المرجع السابق، ص: 27.

(3) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800- 1830، ش.و.ن.ت، 1979م، ص ص: 43 -44.

(4) مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص: 48.

(5) سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 97.

4.1– **البراني**:

هم جماعات هاجروا إلى المدن الكبرى، قصد الحصول على مناصب شغل، وظلوا ينتسبون إلى مواطنهم الأصلية، قبل أن يستقروا في المدن الرئيسية[1]، وأهم أفراد هذه الفئة كانوا من بني ميزاب البساكرة والجيجليون والاغواطيون وغيرهم، وقد اشتغلت هذه المجموعات في مهن متواضعة كالتنظيف وحمل الأثقال، والحراسة والبناء، وكذا خدمة المنازل.[2]

5.1– **اليهود والنصارى**:

كان يمثل هذه الفئة في الأساس اليهود والنصارى، الذين كانوا أحسن حالا، اقتصاديا واجتماعيا من الطبقات السابقة، حيث تحصلوا على ثروات ضخمة، نتيجة ممارستهم للسمسرة والمراباة، والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية، مهما كانت بسيطة أو تافهة، فكان العربي لا يستطيع أن يبيع دجاجتين دون وساطة اليهودي[3]. كما أنهم اكتسبوا في مدينة معسكر وغيرها من المدن الأخرى، عادات وتقاليد أهل المدينة، واتخذوا اللغة العربية أداة للتعامل اليومي، وكذا في ممارسة الطقوس الدينية[4]. ونتيجة للمكانة المرموقة التي تمتع بها أصحاب هذه الطبقة، فإنهم كانوا محل سخط الشعب وغضبهم، فتعرضوا لعدة مضايقات سنوات 1801- 1804 – 1805- 1815، ولعل أهمها وأبرزها تلك التي كانت سنة 1805، لكثرة ما قتل فيها من ضحايا.[5]

2ـ **سكان الأرياف**:[6]

وكانوا يمثلون السواد الأعظم لسكان معسكر، واكتسبت المدينة بفضلهم طابعا فلاحيا رعويا، ويمكن تقسيمهم من حيث تعاملهم مع الأتراك، كما يلي:

1.2– **قبائل المخزن**:

كانوا يتعاملون مع الأتراك، مقابل فوائد مادية ومعنوية، واتخذوا مع مرور الوقت قبائل

(1) سعيدوني، النظام المالي، ص: 45.

(2) سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص ص: 99- 102.

(3) عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 75.

(4) سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 84.

(5) عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 47.

(6) صالح عباد، المرجع السابق، ص: 362.

مستقلة بذاتها (الدوابر والزمالة)، أو تكونت نتيجة ظروف تاريخية، في مجموعات عرقية (مخزن الكراغلة أو العبيد).[1]

2.2– **قبائل الرعية:**

وقد كان سكان هذه الفئة خاضعين للأتراك، وتعرضوا في فترات عدة للضغط والاستغلال، وهو ما دفعهم لشق عصا الطاعة في كثير من الأحيان.[2]

3.2– **القبائل الممتنعة:**

وقد ظل سكان هذه القبائل، ممتنعون عن السلطة التركية بأراضي الجنوب، حيث كان غالبيتهم ينتمون لمجموعات قبلية، اعتمدت في الأساس على فرض نفوذها بالسلطة الروحية أو بالكفاءة الحربية.[3]

وغداة الاحتلال الفرنسي، أضحى باديا للعيان، أن الحياة الاجتماعية بدأت تخطو خطوات عملاقة نحو التدهور والتردي، حيث برز في هذا الصدد اتجاه يدعو إلى طرد الجزائريين جملة من أراضيهم، وتمليكها للمستوطنين الأوربيين، واستغلوا لإنفاذ هذا التوجه أسلوبا متميزا في الإدارة العسكرية، سمي بالسياسة العربية، وأنشأوا مديرية الشؤون العربية ثم المكاتب العربية، التي قادها في البداية لاموريسيير[4]، ولذلك فإن الجزائر، عرفت ومنذ وقت مبكر من الاحتلال، سياسة تفكيك كبيرة لبنيتها الاجتماعية، مما يعني إحداث هوة كبيرة داخل المجتمع الجزائري.[5]

ويذكر المشرفي في هذا الشأن، خلال تناوله لمسألة الزواج بالكتابية: "أن الفرنصيص حرصوا في قضية النكاح، أشد حرصا من إبطال الحجاب، لأن الإنسان إذا ذاق عسيلة الكتابية، أعرض عن نكاح المسلمة بالكلية، سيما إذا كان أعزبا"[6]، وهو ما يعني أن السلطة الفرنسية لجأت منذ البداية إلى نشر الرذيلة داخل أوساط المجتمع الجزائري، جاعلة الشباب

(1) سعيدوني، النظام المالي، ص: 49.

(2) سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص ص: 107 – 108.

(3) سعيدوني، النظام المالي، ص: 49.

(4) يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، د.م.ج، 1985م، ص: 11.

(5) عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830 – 1960م، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983، ص: 33.

(6) العربي المشرفي، الذخيرة، ص:35.

عمود الأمة هدفها الأول.

2.1-**الحالة الصحية:**

عرفت معسكر الجزائر في نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال تدهورا كبيرا، حيث كان لانتقال العدوى والأمراض من البقاع المجاورة، دور كبير في تردي الحالة الصحية، حيث ظهر داء الكوليرا والجدري والطاعون والسلّ وغيرها، ظهورا كبيرا بعد انتقالها أساسا من الحجاز وإسطامبول، عن طريق التجار والقوافل التجارية[1]. كما ساعدت المستنقعات المنتشرة، وعدم التزام السكان بالقواعد الصحية، في انتشار هذه الأمراض وتجذرها بالمنطقة.[2]

وبالإضافة إلى الأمراض الفتاكة، ضربت المنطقة عدة جوائح، أدت إلى تدهور الحالة الصحية، كالزلازل والجفاف والجراد، والتي ساعدت كثيرا على انتشار المجاعات والأمراض المعدية، ومن هذه المجاعات نذكر: مجاعة سنة 1806، 1807، 1816، والتي هلك فيها كثير من السكان، وانعدمت الفلاحة.[3]

وعشية الاحتلال، كان التعداد السكاني بمعسكر قد انخفض إلى مستويات قياسية، فقد أصبح فيها حوالي ستة آلاف (6000) نسمة، وتناقص تدريجيا إلى حوالي ألفين وثمانمائة (2800) نسمة، بسبب الظروف الصحية والمعاشية الصعبة.[4]

كما ألّمت بالشعب الجزائري، عدة مجاعات وقحوط حادة، تركت آثارها السيئة، كانتشار الأمراض المدقعة مثل الكوليرا والتيفيس.[5]

وقد ضرب المنطقة مجاعة كبيرة، استمرت من سنة 1845 إلى سنة 1850م، فكانت سنواتها عسيرة وسيئة للغاية، وأدت إلى انتشار الأمراض والبؤس والحرمان، داخل أوساط المجتمع الجزائري [6]، ليعم البلاد بعد ذلك مجاعة أخرى أواخر عقد الستينات (من سنة 1866

(1) سعيدوني، الجزائر في التاريخ: ص: 88.

(2) المرجع نفسه.

(3) سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 90.

(4) سعيدوني، النظام المالي، ص ص: 33 – 34.

(5) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 367.

(6) صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص ص: 51 – 53.

إلى سنة 1870)[1]، وكانت هذه السنوات في حياة الشعب الجزائري، من أحلك السنوات وأعسرها على الإطلاق، إلى حد أكل الناس جثث الموتى، وتوفي عشرات الآلاف من الأسر الجزائرية. [2]

ولقد كان للوضعية الاجتماعية الصعبة، بالغ الأثر في حياة المشرفي وتكوينه العلمي، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أنه تنقل في مناطق مختلفة من البلاد لطلب العلم، كمستغانم وتلمسان ووهران، ومشاهدته للأمراض الفتاكة كالطاعون وهي تزهق أرواح الكثيرين.

2ـ **الحياة الاقتصادية**:

عرف النشاط الاقتصادي بالجزائر ركودا كبيرا، خاصة مع نهاية الحكم التركي ومستهل الفترة الاستعمارية.

1.2– **الزراعة**:[3]

عرفت الزراعة أواخر العثمانيين تأخرا كبيرا، رغم تنوع المحاصيل الزراعية، وتعود أسباب هذا التأخر، إلى الأساليب العتيقة المتبعة، والتجهيزات البدائية المستعملة في خدمة الأرض، وكذا الصعوبات التي كان يعيشها الفلاح المعسكري، الذي كان معرضا للحملات العسكرية، ومهددا من قبائل المخزن المسلحة، وكذا الأمراض والأوبئة الفتاكة.[4]

ويتحدث نوشي عن تنوع المحاصيل الزراعية في المدينة، ويذكر أنه "على مقربة من معسكر، كانت الحدائق كثيرة، وبها الخضر والكروم والفواكه، والتين والزيتون، واللوز والسفرجل".[5]

أما عشية الاحتلال، فقد فرضت السلطات الاستعمارية مبدئين غريبين على المجتمع الجزائري وهما: حرية التصرف في الأرض، وحرية المعاملات. ذلك أن حرية التصرف والمعاملة، لم يكن ليشمل الجزائريين، وإنما المعمرين. فأما الجزائريون، فقد صودرت أملاكهم ونهبت، حيث أصبح الفلاح الجزائري معرضا لكل وسائل التعسف والاضطهاد، خاصة بعد ما تم إنشاء

(1) يحي بوعزيز: "**المجاعات في الجزائر أواخر عقد الستينات من ق19**"، الأصالة، ع 32، ص ص: 7- 29.

(2) *Ch.A.Julien, op. cit, pp: 439 – 440.*

(3) صالح عباد، المرجع السابق، ص: 355.

(4) سعيدوني، النظام المالي، ص ص: 33 – 34.

(5) نوشيه، المرجع السابق، ص: 187.

ما يسمى بـ"الزمالة الصبايحية" الذين كانوا في الغالب، من أغنياء العرب الجزائريين، وقد تم تجميعهم بمناطق عسكرية، ومنحت لهم حوالي اثني عشرة هكتارا، إضافة إلى الآلات الفلاحية لاستغلالها، وهو في حقيقة الأمر تكريس للطبقية في المجتمع الجزائري. غير أن هؤلاء، قد حرموا من هذه الأراضي بعد ذلك، وكلفوا بمراقبة تحركات القبائل المتمردة، ومساعدة الفرنسيين على جمع الضرائب.[1]

وقد ظل الفلاح المعسكري، لا يستطيع أن يزرع الأرض، دون اللجوء إلى شراء الحبوب عن طريق القروض الربوية، التي كان يقدمها اليهود بمجموع يصل إلى أربعين في المائة(40%) بالنسبة لشهرين، وهو ما يعادل مائتين وأربعون في المائة (240%) سنويا.

وزادت الأمور سوءا بالنسبة للفلاح الجزائري، وتفاقمت عليه الديون، وعاد محكوما عليه بالتبعية حتى في محصوله الزراعي، حيث أنه إذا كان المحصول الزراعي جيدا، تنخفض الأسعار إلى النصف تقريبا وفي يوم واحد، بتواطؤ من المعمرين وبالخصوص اليهود.[2]

وقد حدثت خلال هذه الفترة، عدة مجاعات وقحوط حادة، تركت آثارها السيئة على المجتمع المعسكري، كضياع الثروات المدخرة لوقت الحاجة، وبيع العقارات والأراضي تحت الضغوط المختلفة، والديون التي تراكمت بسبب الضرائب العقارية غير المدفوعة، والفوائد الربوية التي كان الجزائريون يأخذونها من البنوك والمرابين اليهود وغيرهم.[3]

كما اجتاحت البلاد عدة نكبات اقتصادية، زاد من حدتها الهجرات الجماعية للأوربيين إلى الجزائر، حيث تعرض أفراد الشعب الجزائري للتجريد من أراضيهم، بمختلف الوسائل المتاحة[4]، حيث زادت الحالة الاجتماعية سوءا، خاصة مع صدور المرسوم الملكي "السياناتيس" بتاريخ 22 فبراير 1863م، والذي أحدث انقلابا فلاحيا كبيرا، تم بموجبه افتكاك الممتلكات من القبائل قهرا وعنوة.[5]

---

(1) Ch.A.Julien, op. cit, p: 409.

(2) فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 346.

(3) صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، ص: 15، و ص ص: 47 -50.

(4) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 368.

(5) المرجع نفسه، ص: 369.

2.2- **الصناعة**:

شملت أغلب المهن التقليدية والحرف اليدوية، المعروفة وقتذاك بالأقطار الإسلامية والبلاد الأوربية[1]، حيث عرفت المدن الجزائرية، وخاصة منها مدينة معسكر، بعدة منتجات أكسبتها شهرة كبيرة، مثل صناعة الأغطية الصوفية والبرانس والزرابي[2]، وصناعة الصابون والجلود والسروج والألجمة[3]، وتدل كثرة السلع المعروضة بسوق بني راشد، على تنوع المصنوعات. حيث يورد صاحب تاريخ قلعة بني راشد، في معرض حديثه عن سوق السبت في هذا الإقليم، أنه كانت تباع فيه الصوف والكسوة والزربية والكتان والعطرية...والصابون والزيت.[4]

وبالرغم من تنوع المنتجات الصناعية، فإن المنافسة الأجنبية لهذه السلع، وقفت حجر عثرة أمام النهوض بصناعة حقيقة، حتى في مجال صناعة المنسوجات والمواد الغذائية والسفن، رغم توفر المادة الأولية والخبرة الضرورية لمثل هذه الصناعات[5]، وعليه فإن الحرف المتداولة في هذه الفترة، كانت معظمها صناعة تقليدية، استطاعت أن تفرض وجودها، كصناعة لها تأثيرها العميق في أوساط المجتمع المعسكري، الذي كان المشرفي أحد أبنائه، الذين عايشوا هذا الوضع، الذي كان له أثر بالغ على شخصيته وتكوينها.

وبعد دخول القوات الاستعمارية للمدينة، تم تخريب البنية التحتية، وهو ما جعل تنوع المصنوعات ضربا من الماضي (اللهم إلا ما يذكر أن الأمير كان يصنع الذخيرة الحربية بنفسه)[6]، خاصة المصنوعات التي تمت بصلة إلى الهوية العربية الإسلامية، وحلّت محلها صناعات أخرى تم استجلابها من فرنسا، التي كانت تعيش وقتها على حرارة الثورة الصناعية الكبرى، وغدت المصنوعات الأوربية[7]، هي المتوفرة في الأسواق وبكميات أكبر.[8]

(1) سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 61.

(2) صالح عباد، المرجع السابق، ص: 336.

(3) محمد بوركبة: "**جوانب من مخطوط قلعة** بني **راشد للشيخ** أبي **عمران بن عثمان القلعي**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران، ع1، 2003م، ص: 116

(4) المرجع نفسه، ص: 116.

(5) سعيدوني، النظام المالي، ص: 37.

(6) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص: 43.

(7) عدي الهواري، المرجع السابق، ص: 147.

(8) سعيدوني، النظام المالي، ص: 37.

3.2– **التجارة**:[1]

عرفت التجارة الجزائرية أواخر العهد العثماني، سيطرة اليهوديين "بكري" و"بوشناق" اللذين عملا كل ما بوسعهما، لجعلها تابعة للعنصر اليهودي، وقد كان لإمساكهما بزمام التجارة الخارجية الجزائرية، أثر سيئ أدى إلى دخول البلاد بمختلف مدنها، -ومعسكر إحداها- مرحلة اقتصادية حرجة، جرتها إلى حرب كانت فيها الخاسر الأكبر.[2]

وقد كان النشاط التجاري في هذه الفترة، موجه لخدمة المصالح الأوربية، حيث تم احتكار ثلثي التجارة الجزائرية لخدمة مصالح هذين اليهوديين، اعتمادا على نفوذهما الكبير[3]، وهو الأمر الذي جعل حمدان خوجة يعلق قائلا: "وعلى هذا الأساس، فإن عددا قليلا من السنوات، كان كافيا للقضاء على ثروات بلدنا الجليل".[4]

وبعيد الاحتلال الفرنسي، لجأت السلطات الاستعمارية إلى انتهاج عدة سياسات، قصد التحكم في دواليب التجارة الجزائرية، حيث عمدت إلى مراقبة الأسواق، والمبادلات التجارية بين السكان الجزائريين، والعمل على ضرب حصار اقتصادي شديد على القبائل الثائرة في وجهها[5]، كما عمد المكاتب العربية إلى حراسة المبادلات التجارية على الحدود الجزائرية التونسية. حيث أشار تقرير القالة عام 1848م إلى توافد تجار من تونس على مكتب تلك المدينة، لطلب رخصة الدخول لبيع بضائعهم بالأسواق الجزائرية.[6]

إن هذه الظروف الحرجة التي تلتها الحملة الاستدمارية، عايشها المشرفي وشاهدها عن كثب، بل وسجل الكثير منها في طروسه، مما يعكس الخلفية التاريخية الحقيقية، لمدى تأثره بأحداث وطنه الأم.

(1) صالح عباد، المرجع السابق، ص: 339.
(2) سعيدوني، النظام المالي، ص: 37.
(3) سعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص: 77.
(4) المرجع نفسه، ص: 78.
(5) صالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 351.
(6) المرجع نفسه، ص: 353.

المبحث الثالث: الحياة العلمية

لقد تبوأت مدينة معسكر الصدارة العلمية خلال عصر المشرفي، لكثرة العلوم وانتشار الزوايا بها[1]، فكانت دار علم وعمل، وكان بها الشيخ أبو راس الناصري كأسد بن الفرات[2] في المذهب المالكي، ألّف في سائر الفنون، وكادت تآليفه أن تكون أزيد من أيام عمره.[3]

وقد اشتهر بالمدينة عدة عائلات توارثت العلم خلفا عن سلف، وتقلّب أفرادها في مناصب التدريس والإفتاء والقضاء والإمامة[4]، ومن أشهر هذه الأسر أسرة المشرفي، المعروفة بأسرة المشارفة، التي حازت الرياسة على سائر شرفاء الراشدية، ولم تكن نقابة الأشراف تخرج عنهم ولا تتعداهم، كما أكّد على ذلك العربي المشرفي.[5]

وقد عرفت ركودا كبيرا في هذا الميدان، خاصة الفترة التي سبقت حكم الباي محمد بن عثمان الكبير[6]، حيث أكد ذلك أبو راس الناصر بقوله: " إذ في زمن عطّلت فيه مشاهد العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده، وخلت دياره ومواسمه، وعفت أطلاله ومعالمه، لا سيما فن التاريخ، والأدب، وأخبار الأوائل، والنسب، قد أطرحت في زوايا الهجران، ونسجت عليها عناكب النسيان، وأشرفت شمسها على الأفول، واستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون عن انداس العلم والفضائل، ويتأسفون من أنكاس أحوال الأذكياء والأفاضل، إلى الله المشتكى من الدهر، إذا أساء صبر على إساءته".[7]

وقد شهدت معسكر بعد ذلك، نهضة علمية كبيرة، لتوفّر مراكز العلم ومعاهده، والمتمثلة

---

(1) الهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص: 35.

(2) **أسد بن الفرات**: هو أبو عبد الله أسد بن الفرات المولود سنة 145هـ، أصله من نيسابور. قدم به أبوه إلى تونس مع محمد بن الأشعث الحافظ الفقيه، وتفقه على يدي أبي الحسن بن زياد، ثم رحل للمشرق وسمع من مالك موطأه وغيره، ثم سافر للعراق أين أخذ عنه ابو يوسف الموطا. وقد تولى بعدها قضاء القيروان سنة 204هـ. توفي سنة 213هـ وهو أمير للجيش في حصار سرقوسطة في غزو صقلية. ينظر: مخلوف: المصدر السابق، ص: 62.

(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص:36.

(4) لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518- 1830م، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2006، ص: 72.

(5) العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، ص ص: 25 ـ 26.

(6) *Tédenat* **:** ***Mémoires de Tédenat***, *R.A, 1948, p : 181.*

(7) أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1632، ص: 03.

أساسا فيما يلي:

1. المساجد:

كثيرا ما يختلط على الباحث، اسم الجامع بالمسجد والزاوية. ذلك أن بعض الجوامع كانت تابعة لزوايا معينة، وربما أن الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة، فالتداخل ليس في الاسم فحسب، بل في الوظيفة. فالجوامع والمساجد، كانت للعبادة والتعليم، كما كانت الزوايا كذلك أحيانا، ولكن في الغالب كانت رباطا أو ملجأ أو مسكنا للطلبة والغرباء، ومركزا لتلقين الأذكار واستقبال المريدين.[1]

ولقد كانت المساجد، ملتقى العباد ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهي قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة، إذ حولها كانت تنتشر المساكن والأسواق، والكتاتيب. كما كانت يجمع بين أهل القرية والمدينة أو الحي، خاصة في بنائه وأدائه للوظائف الدينية.[2]

2. الزوايا:

وكان من أهم أهدافها، نشر الثقافة والعلم داخل المجتمع المعسكري، وكانت في الغالب تتألّف من ثلاثة أقسام، الأول منها يقوم بوظيفة تحفيظ واستظهار القرآن الكريم، والثاني يقصده غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلّموا الحروف الهجائية، واستظهروا بعض السور من القرآن، وقسم ثالث يقوم بتدريس بعض العلوم المعروفة وقتها، مثل الفقهيات والعقائد، والنحو، والمنطق، والفلك.[3]

ومن أهم الزوايا التي اشتهرت، بمدينة معسكر خلال هذه الفترة، الزاوية الراشدية، والزاوية القادرية بالقيطنة ضواحي بوحنيفية، وزوايا أخرى مثل زاوية الشيخ سيدي محمد سليمان، وزاوية الشيخ سيدي عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي، وزاوية محمد الإدريسي شيخ مصطفى الرماصي[4]، زاوية الشيخ عبد القادر المشرفي التي تخّرج منها العربي المشرفي.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 243.

(2) المرجع نفسه.

(3) حمدادو، المرجع السابق، ص ص: 39 – 40.

(4) المرجع نفسه، ص: 40.

3. المدرسة:

وهي المكان المخصص لإلقاء الدروس، وهي مدرسة مستقلة، متخصصة في التعليم وحده[1]، حيث كانت تؤدي في المدينة، الدور الذي كانت تؤديه الزوايا في الريف.[2]

ومن أهم المدارس بمدينة معسكر:

1.3- المدرسة المحمدية: وهي من أهم المدارس بمدينة معسكر، بناها محمد بن عثمان الكبير. وتعتبر كذلك من أبرز المدارس في المنطقة وقتها، حيث "كاد العلم أن يتفجر من جوانبها"[3]. ومن أهم العلوم التي كانت تدرس بها، كتب الفقه مثل حواشي الشيخين الزرقاني والخرشي، وكتب النحو مثل شرح المكودي ومقامات الحريري، وفي الأصول شرح المحلّي، وعدة علوم أخرى كالتصوف، والفلك، والبيان.[4]

2.3- مدرسة القيطنة: وقد تأسست بالقرب من منطقة بوحنيفية، حوالي سنة 1200هـ/ 1787م، على يد مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر. وقد جمعت هذه المدرسة كل مراحل التعليم، فضمت مجموعة كبيرة من الطلبة (700 و1800) دائمي الدراسة.[5]

وقد تطورت هذه المدرسة فيما بعد، وأصبحت تسمى معهد القيطنة، لتوافد طلاب العلم والمعرفة عليها، ويؤكد ذلك قول أبي راس الناصر التالي: "فذهبت لمعهد القيطنة، وقد اجتمعت جموع من الطلبة".[6]

كما شهدت مدينة معسكر، ظهور عدة مدارس أخرى منها، مدرسة زاوية سيدي علي شريف بسيق، مدرسة زاوية سيدي محمد بن قادة الحسني بالكرط، ومدرسة زاوية مصطفى بن الطيب بعقّاز، ومدرسة زاوية سيدي بلحاج ببني شقران، ومدرسة زاوية سيدي قادة.[7]

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 281.

(2) Turin.Y, Affrontement culturelles dans l'Afrique colonièle, Paris, 1971, p : 126.

(3) ابن سحنون، المصدر السابق، ص: 127.

(4) حمدادو، المرجع السابق، ص: 43.

(5) المرجع نفسه، ص: 44.

(6) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق وضبط محمد بن عبد الكريم الجزائري، م.و.ك، 1990، ص: 24.

(7) حمدادو، المرجع السابق، ص: 45.

3.3ـ المكتبات: لقد ساهمت المكتبات برصيد كبير في إثراء الحياة العلمية بمدينة معسكر، ولا زالت شهادات الفرنسيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية إلى المدينة أمثال "أدريان بيربرجد" *Adrien Piero Bèrged*، دليلا قويا على ذلك[1]، وتعتبر مكتبة مدرسة المشارفة، من بين أهم المكتبات بها، حيث يعد شيخها عبد القادر المشرفي الملقب بإمام الراشدية، من أبرز العلماء الذين ذاع صيتهم في هذه الفترة، لتضلعه في علمي الأصول والفروع، ومواظبته على بث العلوم بزاويته في الكرط[2]، وتوارث أبناؤه العلم من بعده، خاصة حفيده العلاّمة محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي، شيخ العربي المشرفي، الذي أوفده الأمير عبد القادر لعلمه وسمعته، إلى سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام، فأنشده قائلا:[3]

إن المليحة فاس لا يقاس بها * إيوان كسرى ولا صرح لذي شرج

وبعد الاحتلال الفرنسي للمدينة، عرفت الحياة العلمية نوعا من الفتور، لكنها لم تعمر طويلا[4]، حيث دعا علماء ووجهاء المنطقة إلى التكثيف من إنشاء الزوايا لبث العلوم، بالاعتماد على ما كانت تدره الأوقاف من أموال[5]، في حين كانت السياسة الاستعمارية تهدف إلى حراسة المساجد والزوايا، التي كانت تعتبرها مراكز تخرج منها العناصر المتعصبة المعادية للسلطة الفرنسية"[6]، حيث لم يخف ضباط الاحتلال موقفهم تجاه الطلبة ومدرسي القرآن في الكتاتيب، فهم في نظرهم أعداؤهم الحقيقيون.[7]

وقد كانت الزوايا كذلك، مركز توجيه علمي وديني وحربي، وبذلك فإن التعليم كان محفوظا ومضمونا في المدينة، من طرف رجال الزوايا[8]، واستمر الأمر على هذا الحال إلى نهاية

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 287. وج2، ص: 317.

(2) العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، ص:21

(3) المصدر نفسه، ص: 20.

(4) عبد الله شريط ومحمد الميلي، المرجع السابق، ص: 191.

(5) ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م، ص ص: 245 – 247.

(6) فركوس، تاريخ الجزائر، ص: 382.

(7) محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ش.و.ن.ت، 1983، ص: 261.

(8) فركوس، تاريخ الجزائر، ص:383.

مقاومة الأمير عبد القادر.

ويصف لنا المشرفي هذه الحالة، في جوابه على سؤال موجه من طرف علماء فاس، عن حال العلم والعلماء بالجزائر، في النص التالي: " سألني علماء فاس عن طلبة الجزائر، فأخبرتهم أنهم على هدى من ربهم، وأنهم يدرسون المعقول والمنقول، ومساجدهم عامرة في أوقات الصلوات".[1]

ولقد مكنت هذه الميزات كلها المشرفي، من أن ينضح العلم من المعين الصافي، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، أنه من عائلة علمية عريقة، والتي تتلمذ على ثلة من خيرة علمائها، حتى أصبح متمكنا من العلوم.

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص:35.

الفصل الثاني: المشرفي من المولد إلى المشْيخة

1805 ـ 1895م

المبحث الأول: المشرفي من المولد إلى الهجرة 1805 -1844

1.1: **اسمه ومولده**

2.1: **نسبه وعائلته**

3.1: **دراسته وتكوينه**

المبحث الثانى: **هجرة** المشرفي إلى المغرب 1844م

1.2 : **ظروف الهجرة.**

2.2: **اعتقاله وسجنه**

المبحث الثالث: حياة المشرفي بالمغرب 1844 – 1895م

1.3: **استقراره بفاس**

2.3: **علاقاته بعلماء فاس**

3.3: **تلاميذه وإجازاته**

يعتبر العربي المشرفي من أبرز الشخصيات المشرفية التي ذاع صيتها في جهات عديدة، حيث ولد وتربى وترعرع بقرية الكرط التي عرفت ظهور عدة زوايا ورباطات، أخذت على عواتقها نشر العلوم، وتلقينها لأبناء المنطقة.

وبين أحضان هذه الزوايا والرباطات، درس المشرفي وتعلّم، ونهل من المعين الصافي أصول التربية الإسلامية المتجذرة، لينتقل إلى مدينة معسكر لإتمام مسيرته العلم، ثم إلى مستغانم فتلمسان، وأخيرا إلى وهران.

وقد عمر المشرفي كثيرا، وعرف حياة حافلة بالأحداث، فانتقل مهاجرا من الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي، إلى المغرب بحثا عن حياة كريمة، لكن الحظ كان يجانبه في الكثير من الأحيان، لكنه ظل يناضل ويبحث عن موطئ قدم له هناك، فلم يتم له المراد من ذلك.

وفي المقابل من ذلك، فقد خاض المشرفي عدة جدالات فكرية، مع جملة من علماء عصره، جعلته في مصاف الشيوخ الكبار، وتخرج عليه مجموعة من التلاميذ النجباء.

المبحث الأول: المشرفي من المولد إلى الهجرة (1805- 1844م).

1.1 اسمه ومولده:

هو العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، بناء على ما قيده في كثير من مؤلفاته، أثناء تعريفه بها أو حينما يحيل إلى بعضها.[1]

وقد وجد التباس كبير حول اسمه الكامل وكنيته، حينما يرد بصيغ متعددة، منها العربي بن عبد القادر بن علي[2] والعربي بن علي[3]، وأبو محمد العربي بن علي المشرفي[4]، والعربي المشرفي[5]، إلا أن كل هذه الأسماء هي لشخص واحد، هو العربي المشرفي بناء على ما ذكر سابقا.

وبالنسبة لتاريخ ولادته، فالمشكل نفسه يطرح هاهنا، شأنه في ذلك شأن جل أعلام هاته الفترة، وبالتالي يصعب تحديده وضبطه بدقة، حيث وجد في نهاية كتابه "الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي"، أنه بلغ سن الخمسين عند تـأليفه[6]، وبالاعتماد على ما جاء في "إتحاف المطالع" من أنه توفي سنة 1313هـ/ 1895م عن عمر يناهز التسعين[7]، فإننا نستطيع أن نضع احتمال ولادته مع نهاية سنة 1804 وبداية سنة 1805م، بخلاف من رأى أنه ولد نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر (19)[8]، وهو أمر مستبعد.

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، دراسة وتحقيق لحسن فرقان، دكتوراه، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003، ص: 11. ياقوتة النسب الوهاجة: ص، 19.

(2) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27. عبد السلام بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج8، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ص: 2805.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

(3) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ص: 27.

Henri Pérès : l'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877 – 1878, R.A, N76, 1935, p : 261.

(4) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص:1.

(5) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 3.

(6) المصدر نفسه، ص: 11.

(7) ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

(8) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 11.

وتدل العبارات التي أوردها المشرفي في الكثير من مؤلفاته، أن بلغ سن الرشد وقتها، خاصة تلك التي ذكرها في "طرس الأخبار"، ومفادها أنه شارك مع الأمير عبد القادر في المعارك الأولى ضد الاستعمار الفرنسي[1]، وحضوره أولى التجمعات لمبايعة الأمير عبد القادر[2]، ثم إشارته إلى أنه كان يدرس في وهران عام 1240هـ/ 1824م[3]، وأنه غادرها إلى معسكر عام 1245هـ/ 1830م، بعد دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر، ليتولى تدريس الصبيان[4].

كما جاء في "طرس الأخبار" كذلك، أنه ساعد ثلاثة تجار مغاربة سنة 1252هـ/ 1836م، في الانفلات من كمين لبعض قطاع الطرق، وهو خارج من مدينة معسكر، ولخصها كما يلي: "ويومئذ كنت خارجا من معسكر ببعض قرابتي، فرقبت ثلاثة رجال من تجار المغاربة يسوقون لأمتين من الجواري، وأصحاب المزاري يريدون نهبهم، فسعيت في إنقاذهم منهم، فوفقني الله ومن معي".[5]

وبالرغم من أن تاريخ ولادته قد طرح إشكالا كبيرا، فإن مكانه لا يطرح نفس الإشكال، حيث من المؤكد أن ولادته كانت بقرية الكرط ضواحي مدينة معسكر[6]، ولم يشذ عن ذلك سوى صاحب "إتحاف المطالع"، الذي أورد أنه ولد وتعلم بتلمسان.[7] بينما ذهب يحي بوعزيز إلى أنه ولد بغريس[8]، التي ربما يقصد بها سهل غريس الواسع، وقرية الكرط جزء منه، ولذلك

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 12.

(2) العربي المشرفي، المصدر نفسه، ص: 12.

(3) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 04.

(4) العربي المشرفي، ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 5310، ص: و111.

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 12.

(6) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1983، ص: 303. عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(03 – 14 هـ)، د.م.ج، 1995، ص: 177. عمار هلال، "**العلماء الجزائريون** في **فاس**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع09، مجلة علمية تصدر عن معهد التاريخ بالجزائر، ص: 41. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص: 175.

(7) ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

(8) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 77. بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص: 232. بوعزيز، تاريخ مدينة معسكر، ص: 66. كما نجد بوعزيز في مكان آخر، يذكر أن ولادته كانت بغريس في قرية الكرط. ينظر: المزاري، المصدر السابق، ج1، ص: 100.

يمكن الجمع بين الروايتين، إذ لا تعارض.

2.1 النسب والعائلة:

ينتسب العربي المشرفي إلى أسرة المشارف[1] ذات الأصول الوثيقة بالعرهوبيين[2]، أبناء مشرِف (بكسر الراء وفتحها) بن عبد الرحمن بن مسعود[3]. وأسرة المشارف، إدريسية النسب من الفرع الحسني[4]، وقد حصلوا على ظهائر[5] تعترف وتثبت صحة نسبها الشريف، حيث يقول صاحب "الدرر البهية": "وبأيدي هؤلاء المشرفيين رسوم عديدة، وفتاوى مفيدة، اشتملت على عشرين ظهيرا، عضدتها ظهائر ملوك الترك المستولين على النواحي وقتئذ. وظهائر الشرفاء الملوك العلويين، أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن بن هشام، وابنه سيدي محمد، وحفيده السلطان مولانا الحسن، إلى غير ذلك"[6]، ويعود أقدم هذه الظهائر إلى القرن الحادي عشر الهجري.[7]

وسلسلة نسبه كاملة رسمها في "ياقوتة النسب"، حيث يقول: "ولابد من ذكر نسبنا المتصل بنسب العرهوبيين[8]، فنقول: نسب جامعه ومقيده محمد العربي بن عبد القادر بن علي،

---

(1) Henri Péres, op. cit, p : 261.

(2) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 19. العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 14. أحمد الشباني الإدريسي، مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، المغرب: ط1، 1987، ص: 214.

(3) المزاري، المصدر السابق، ج1، ص: 99، هامش: 06.

(4) هناك من ينفي نسبتهم للجناب النبوي، ومنهم الشيخ أبو راس الناصر المعسكري في مؤلّفه "نبذة من النسب". وتفصيل ذلك في الفصل الثالث من هذه المذكرة.

(5) **الظهير**: يطلق عند المغاربة على رسم السلطان، الذي يصدر من الملك، وعليه طابعه، أو توقيعه، ولعل وجه التسمية بذلك، هو أن صاحبه الذي يدلي به يكون له الظهير ناصرا ومعينا. ينظر: ابن سودة، الدليل، ص: 320.

(6) إدريس بن أحمد الفضيلي، الحلل البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، فاس: طبعة حجرية، ب ت، ج2، ص: 155.

(7) *Michaux Béllere, les Musulmans d'Algérie au Maroc, A.M, vol11, 1907, p : 65.*

(8) **العرهوبيون**: هم حفدة العربي المدعو عرهب، دفين تادلة من شرفاء فجيج، بن محمد يعقوب الجد الجامع للشرفاء العرهبيين والعفيفيين واليعقوبيين والمغراويين، دفين جبل الدبس قرب مدينة معسكر، بن عبد الله، بن أبي عمران موسى بن صفوان، بن ميمون، بن موسى، بن سليمان، بن يحي، بن موسى، بن عيسى، بن إدريس الأكبر. وهم شعبتان: آل عبد الحق العرهبيون، والمشرفيون. ينظر: محمد المخلوفي الودغيري، الدر النثير، ص: 166. أحمد الشباني، مصابيح البشرية، ص ص: 214 – 215. محمد بوزيان، فجيج، ص: 09.

بن محمد، بن مسعود، بن عبد الله، بن يوسف، بن عيسى البوخليلي، بن صالح، بن الحسن، بن أبي القاسم، بن أبي عبد الله، بن محمد، بن الشيخ مولانا يعقوب، بن أبي إسحاق، بن عبد الله، بن أبي عمر، بن موسى، بن الشيخ مولانا صفوان الملقب بلسان القبط عند العجم، بشار بن موسى، بن سليمان، بن يحي، بن موسى، بن عيسى، بن إدريس، بن إدريس، بن عبد الله الكامل، بن الحسن السبط المثنى، بن الحسن السبط، بن مولانا علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم".[1]

ويعود أصل المشرفيين[2] إلى قرية بوصمغون بالجنوب الغربي للجزائر[3]، التي نزحوا إليها على عهد الزيانيين إلى منطقة غريس[4].

وتشير بعض المصادر التاريخية[5] أن سلفهم مشرف بن عبد الرحمن بن مسعود، قدم من بوصمغون إلى غريس، حيث عينه أحد ملوك تلمسان قاضيا. وفي رواية أخرى[6] أن يوسف بن عيسى هو الذي قدم من بوصمغون إلى غريس وعين قاضيا بها.

وتجمع هذه المصادر، أن المشرفيين اضطلعوا بالأدوار الريادية، العلمية والدينية والجهادية بغريس. ويعد يوسف بن عيسى المشرفي[7]، الجد الأوسط للمشارف ومؤسس زاوية الكرط، من أبرز الشخصيات المشرفية التي برزت في الوطن الراشدي.[8]

وقد حمل لواء العلم في هذه الأسرة فيما بعد، عدة شخصيات كبيرة لا تقل قدرا عن

---

(1) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 19.

(2) وقد أثبت هذه الأصل صاحب "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس". ينظر: عبد الرحمن التوجيني، عقـد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3323، ص: 05.

(3) الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم ضمن مجموع النسب، ص: 335. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 407.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 13.

(5) السليماني، تسهيل المطالب، ص: 02. الطيب بن المختار، القول الأعم، ص: 385.

(6) الطيب بن المختار، المصدر نفسه، ص ص: 385 – 387.

(7) **يوسف بن عيسى المشرفي** (عاش في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي): الراشدي الغريسي الحسني، الولي الصالح، دفين زاوية الكرط، أحواز مدينة معسكر بالجزائر، ويعتبر الجد الذي يجتمع فيه شرفاء أسرة المشارف. ينظـر: ابـن عـسكر، المصدر السابق، ص ص: 12 – 14. الطيب بن المختار، القول الأعم، ص: 387.

(8) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 56.

سابقتها، مثل الشيخ عبد القادر المشرفي وابنه الشيخ الطاهر، وحفيده محمد بن عبد الله سقاط.[1]

وتتفرع الأسرة المشرفية إلى عدة فروع، أهمها:[2]

- **بيت الشيخ عبد القادر المشرفي:** وفيه، عبد القادر بن عبد الله، ابنه الطاهر، وابنه محمد، وحفيد الأول محمد بن عبد الله سقاط المشرفي.

- **بيت الحمر:** ومنهم، عبد القادر بن مصطفى الأحمر[3].

- **بيت أولاد سيدي بوجلال**: ومنه والد العربي المشرفي، حيث جاء في "ياقوتة النسب" ما يلي: "ومن بيوت العلم والمشارف أيضا، بيت أولاد سيدي بوجلال... ومن هذا البيت أيضا والدنا رحمه الله".[4]

وقد تمكن المشارف من حيازة الرياسة على سائر شرفاء الراشدية، ولذلك كانت النقابة فيهم لا تتعداهم ولا تخرج منهم، وحصرها فيهم ملوك الأتراك[5].كما تعززت هذه الحظوة، بما عرف عنهم من تعاطي العلوم وتحصيلها وتدريسها، وهو ما مكّنهم من تولي مناصب القضاء والفتيا على عهد الأتراك، حيث ولي منهم الشيخ الطاهر بن الشيخ عبد القادر المشرفي، خطة القضاء للأتراك بوهران، وتصدر للتدريس بها.[6]

وقد حافظ علماء المشارف على هذه الحظوة خلال المقاومة الشعبية للأمير عبد القادر، وكانت لهم ولاية خطط الشريعة أيامه[7]، حيث كان الجهاز الشوري للأمير عبد القادر، لا يستغني عن الشيخ عبد الله سقاط في كل نازلة. ومما ينم عن الأهمية الكبرى لهذه العائلة خلال

(1) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ص ص: 56 – 57.

(2) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص ص: 19 – 26.

(3) **مصطفى بن الأحمر**: العلاّمة الفقيه، أخذ العلم بجامع الزيتونة، ثم عاد إلى غريس ودرس الفقه، والنحو واللغة. هاجر بأهله إلى مصر بعد الاحتلال، ودرس بالجامع الأزهر. توفي بمصر عام 1269هـ/ 1852. ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس، ج1، ص: 355.

(4) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21.

(5) الهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص ص: 334 – 335.

(6) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 04. الزياني، المصدر السابق، ص: 49.

(7) الطيب بن المختار، القول الأعم، ص ص: 334 – 335.

هذا العهد، أن الأمير عبد القادر أوفد الشيخ سقاط، مبعوثا إلى السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام.[1]

وبناء على ما سبق، يتضح أن المشرفي نشأ في بيئة عائلية مجبولة على ترسيخ مبادئ التربية المتأصلة في أوساط الزوايا والشرفاء، وتلقين أبنائها علوم عصرها، خصوصا وأنها كانت تمتلك مكتبة خاصة.[2]

3.1 دراسته وتكوينه:

من خلال تتبع ما خلّفه المشرفي من آثار تاريخية وأدبية وغيرها، يتضح جليا أنه تلقى تعليما وتكوينا فقهيا وأدبيا، تماشيا وشروط الفقيه العالم، حيث نجده كثير التنقل بين أهم المراكز العلمية في القطر الجزائري. فمن معسكر إلى مستغانم فتلمسان ثم وهران، ارتحل رغبة في طلب العلم وتحصيله.

ويبدو أنه تلقى تعليمه الأولي ببيت عائلته، فوالده عبد القادر بن علي المشرفي، الذي اشتهر بين جماعته بغزارة العلم الشرعي وسمعته الطيبة، فضلا عن تدينه وعدله، وهو ما جعله قبلة لاحتكام الخصوم إليه، حيث جاء على لسان ابنه العربي ما نصه: "فقد كان في علم الفقه إليه المرجع والمفزع، لا يعجز فيه عن جواب وإن أُعضل، لا يغيب عنه النص في عين النازلة. وكان مصدرا للأحكام الشرعية في وقته، بإذن من ولاة الأمر وقضاة الأمصار...وكانت أحكامه الفاصلة بين الخصوم، وغالبها أن يقضي بينهم بالصلح...ولذلك كانت الخصوم لا تقوم من بين يديه، راضية بفصله، مذعنة لحكمه".[3]

وعلى غرار أبناء بلدته، اقتضت العادة أو التربية الدينية لأبناء المنطقة كما كانت العادة السائدة وقتها بشمال إفريقيا عموما[4]، أن يلتحق المشرفي بكتاب بلدته الكرط، كما أورده في إحدى كتاباته التي جاء فيها: "قرأت القرآن قبل أن أبلغ الحَنب*".[1]

---

(1) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 310. الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص ص: 577 – 579.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص: 391.

(3) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21.

(4) أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان 1830 – 1912م، الرباط: منشورات كلية الآداب، ط2، 1983، ص: 455.

*- **الحنب**: قبل أن يشتد عوده. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 335.

أما شيوخه الذين تتلمذ لهم في هذه المرحلة فهم:[2]

- **سيدي عبد الله بن ديدة**: قرأ عليه أحكام القراءة في الرسم والضبط، والدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع[3] ، **وسيدي محمد بن عبد الرحمن، والعربي بوروبة، ومحمد بن عدلة[4].**

وبعد أن تلقى المشرفي تعليمه الأولي بمسقط رأسه الكرط، انتقل إلى مدينة معسكر ليتم مرحلة الجمع والتحصيل.

وتعتبر هذه المرحلة هي المحطة الأساسية في مسار تكوين شخصيته، باعتبار دور مدينة معسكر التاريخي في غرب البلاد، لما كانت تتوفر عليه من مراكز تعليمية هامة، مثل المدرسة المحمدية[5]، والجامع الأعظم.[6]

وفي هذه المدينة، تلقى تعليما على مستوى عال، لتتلمذه على ثلة من شيوخها الأجلاء، ذكرهم في مجموعة من كتاباته وعرف بهم وبما أخذ عنهم، وهم كالتالي:

- **محمد بن عبد الله سقاط المشرفي:**[7] ذكره المشرفي في كتابه "الذخيرة" قائلا: "شيخنا

---

(1) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

(2) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

(3) هو عبارة عن مؤلّف في القرءات، لمؤلّفه أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن، التازي الرباطي، الشهير بابن بري، والرباطي نسبة إلى رباط تازة. ولد رحمه الله في حدود سنة 660هـ/ 1261م. كان والده من أهل العلم والفضل، أخذ عن والده كثيرا في مراحله الأولى، ثم استوطن مدينة تازة، وأخذ عن بعض علمائها. وقد كان إلى جانب تبحره في القراءات، نحويا، وأديبا لغويا، وفقيها مرضيا، له إلمام بالحديث، وتبصر في صناعة الوثائق.توفي بتازة سنة 730هـ/ 1330م. من آثاره: اختصار شرح الإيضاح لابن أبي الربيع الإشبيلي السبتي. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص: 05.

(4) هؤلاء الأعلام، تمت محاولة البحث عن تراجم لهم في جملة من المظان، لكن لم نجد لهم أثرا.

(5) **المدرسة المحمدية**: كانت تعتبر أكبر معهد علمي، يضم أساتذة أكفاء، متفرغين لمهنة التعليم لا غير، إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ، الذين سارعوا إلى الإقبال على العلم بلهف شديد. ينظر: بلبراوات بن عتو، الباي محمد بن عثمان الكبير ومشرعه الحضاري 1779- 1797م، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2002، ص ص: 221 – 222.

(6) **الجامع الأعظم**: وهو المعروف بجامع العين البيضاء، او جامع محمد الكبير. شيده الباي محمد بن عثمان الكبير، في الفاتح من ذي القعدة 1195هـ/ نوفمبر 1781 من ماله الخاص. وقد كان هذا الجامع قاعدة كبيرة لنشر التعلين في المنطقة، وأصبح فيما بعد من المباني الهامة، أو من العجائب، يقصده الناس للتنزه. ينظر: بلبراوات بن عتو، المرجع نفسه، ص ص: 215 – 216.

(7) **محمد بن عبد الله سقاط**: من كبار المحدثين والمسندين، زين العابدين المشرفي المعروف بسقاط، حفيد الشيخ عبد القادر المشرفي. تعلم على يد شيوخ الناحية الغربية، أمثال الشيخ أبي راس أحمد الناصري المعسكري، ثم رحل إلى المشرق، وأخذ العلم

الحافظ، التابع لجادة الحجة شمس الدين، العلاّمة سيدي محمد بن عبد الله سقاط"[1]، "كان عالما مشاركا في جميع الفنون"[2]، وهو من أبرز شيوخه، وأشدهم تعلقا به، والبيت التالي يؤكد ذلك:[3]

وشيخنا عبد الله هو ابن عمنا * قرطاس العلوم الماهر المتفننا

وقد أخذ عنه المشرفي النحو والفقه، وعلم العروض، وكان يحضر مجالسه الحافلة في سرد جامع البخاري والصحيح. كما قرأ عليه في التفسير أحزابا قراءة تحقيق وتدقيق.[4]

ويؤكد المشرفي على أهمية شيخه وأفضليته عليه على غيره، وباعه الطويل في العلوم وفنونها، حين يقول: "قرأنا عليه الفقه وعلى غيره ممن عاصره، فلم نجد له بديلا في التحقيق، وقرأنا عليه علم العروض، فلم نجد فيها عند غيره تحقيقه وتدقيقه، وما قرأناه عليه إلا مرة واحدة قراءة تحقيق، وأشرفنا على معانيه ودوائر أبحره".[5]

- **الطيب بن عبد الرحمن:** مدحه العربي المشرفي بالعبارات التالية: "شيخنا العلاّمة الخير، وقمر الدين النير"[6]، ثم نوه بفضله عليه في علم النحو قائلا: "ثم شرعت في قراءة الألفية بعد حفظ متنها بمدينة أم العساكر، فشيخي فيها ولي الله العلاّمة الطيب بن عبد الرحمن".[7]

كما نجده ينوه في موضع آخر ويؤكد على أهمية شيخه الطيب بن عبد الرحمن وتضلعه في علم النحو، قائلا: "شيخنا سيدي الطيب بن عبد الرحمن، أخذنا عنه الألفية درسا قراءة تحقيق وتدقيق، يقرب بعباراته ما شرد من معانيها، فلا يقوم من مجلسه طالب علم، إلا وقد

به عن جملة من المشايخ. كان يحفظ صحيح البخاري، وصحيح مسلم بالإضافة إلى حفظ السير والتواريخ وشيوخ المذاهب، وفهرسته تشهد له بذلك. توفي رحمه الله بمكناس، وقيل مات مسموما. ينظر: الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 578.

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 8 – 9.

(2) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 20.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 34.

(4) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 20.

(5) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 10.

(6) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 8 – 9.

(7) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111.

حصل له النفع التام".[1]

- **أحمد بن التهامي[2]:** ثناه تلميذه المشرفي بما يلي: "شيخ شيوخنا، العلاّمة الخير، وقمر الدين النير، الذي إليه المفزع في المشكلات، وحل العويصة والمعضلات، ذو الفضل السامي، السيد أحمد بن التهامي".[3]

وقد أخذ عنه المشرفي الفقه، وكان كثير التردد إلى مجلسه في وهران، حيث كان غاصا بالطلبة وأهل العلم.[4]

- **مصطفى بن أحمد التهامي[5]**: أورد المشرفي أن شيخه الحاج مصطفى بن التهامي "كان شبيها بسيبويه في النحويات، وإليه المرجع في المشكلات، وله القصائد الموزونة الطنانة"[6]، وقد كان المشرفي يحضر مجالسه في رسالة الوضع.[7]

- **محمد بوسيف العامري التراري**: وقرأ عليه مختصر خليل.[8]

- **بن عب بن المصطفى**: [9]وهو من شيوخه كذلك، حيث "درس علم الفروع، وتولّى

(1) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 25.

(2) **أحمد بن التهامي**: من كبار علماء منطقة معسكر، وهو والد مصطفى بن التهامي، الذي تزوج عمة الأمير عبد القادر. كان عالما فقيها، وذا جاه عريض، وقد عينه الأمير رئيسا لمجلسه الشوري العالي الأميري، وحسب رواية ابنه مصطفى، فإنه توفي بمصر خلال ذهابه للحج، خلال ثورة الامير. ينظر: ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص: 247.

(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 8- 9.

(4) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 25. ديوان نظم، و111و.

(5) **مصطفى بن التهامي**: ولد بمعسكر سنة1205هـ/ 1788م من أسرة متدينة وثرية. وقد تولى الفتوى في وهران على عهـد الأتراك، وكان مع الأمير عبد القادر من بداية المقاومة إلى آخرها، حيث كان ضمن أعضاء قيادة الجيش الذين استشارهم في آخر اجتماع له في 22ديسمبر 1847م. توفي بدمشق سنة 1238هـ/ 1866م. من آثاره: غوثية مصطفى بن التـهامي وتتكون من 520 بيتا، كتبها بقصر أمبواز بفرنسا. إبراهيم لونيسي: "**مصطفى بن التهامي 1788- 1866 العالم ورجل الدولة**"، عصور، ع3، 2003، تصدر عن مخبر مصادر وتراجم، قسم التاريخ جامعة وهران، ص ص: 95 – 103.

(6) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 25.

(7) المصدر نفسه، ص: 25.

(8) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111و.

(9) **السيد بن عب بن المصطفى**: فقيه المشرفيين بمعسكر، وهو ابن مصطفى بن أبي محمد عبد القادر عبد الله سقاط دفين مكناس. هاجر بعد نهاية مقاومة الأمير إلى فاس وتوفي بها. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 08.

القضاء بمحلة الأمير عبد القادر، إلى أن استولى الإفرنج على المغرب الأوسط[1]. كان يحفظ الخرشي[2]على مختصر خليل[3]، يمليه على الطلبة في حضرة التدريس، من دون مطالعة فيه ولا مراجعة، كما يحفظ أحدنا القرآن".[4]

- **الطاهر المشرفي:** [5]وصفه المشرفي بالعلامة الماهر.[6]

- **عبد القادر بن مصطفى بن الأحمر:** [7]ذكر المشرفي قائلا: "العلاّمة مأوى الصادر والوارد، كان في علم المعقول عريض الحافظ ممتد الباع".[8]

- **السنوسي بن عبد القادر:** وصفه المشرفي بنحرير الأدباء، وأمين النجباء، كان له الباع الطويل في المعقولات، جمع فيها أشتات الفضائل.[9]

وقد ختم المشرفي حديثه، بعد تناوله لمشايخه الأربع الذين ذكروا أخيرا، إذ يقول:

---

(1) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 22.

(2) **الخرشي**: هو محمد بن عبد الله الخرشي أو الخراشي، أبو عبد الله (1010 – 1102هـ/ 1601 – 1690م)، فقيه مالكي، استقر بالقاهرة وتوفي بها، واشتهر بالفضل والورع، من آثاره مختصر في الفقه المالكي على خليل. ينظر: محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص: 317.

(3) **خليل**: ضياء الدين أبو المودة خليل بن إسحاق الجندي، من كبار شيوخ المالكية، أخذ عن ثلّة من العلماء منهم: أبو عبد الله بن الحاج صاحب المدخل، وأبو عبد الله المنوفي. من آثاره شرح على مختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي المسمى بالتوضيح، وشرح المدونة ولم يكمله، وتأليف في مناقب شيخه المنوفي. وقد وقع التباس كبير حول تاريخ حول وفاته، حيث ورد بصيغ متعددة وهي: 767هـ - 769هـ - 776هـ. ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص ص: 183 – 188. كفاية المحتاج، ج1، ص ص: 129 – 132. القرافي، توشيح الديباج، ص ص: 70 – 80. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص: 186.

(4) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 8 – 9.

(5) **الطاهر المشرفي**: هو ابن الشيخ عبد القادر، بن عبد الله، بن محمد المدعو بن دح المشرفي المعسكري. أخذ العلم عن والده، بمعسكر ثم انتقل إلى فاس للدراسة. تولى قضاء الأتراك، بوهران، وله ثبت يرويه العلماء ويتداولونه. ينظر: عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات والمشيخات، ج2، ص: 466. الطاهر المشرفي، رد على عتاب، مخطوطة بمكتبة الشيخ بلقرد بمعسكر، ص: 01.

(6) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 8 – 9.

(7) **الحاج عبد القادر الأحمر**: ابن عم محمد بن عبد الله سقط، توفي مهاجرا بأهله في مصر عام 1263هـ/ 1853م، بعد أن جاور في الحجاز سنين عديدة وحج واعتمر، وتردد إليه وتكرر. وقد ضرب له الملك الأعظم مثلما ضرب لعلماء الحرم. وقد رثاه علماء مصر يوم وفاته بقصائد كثيرة. ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص: 232.

(8) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21.

(9) المصدر نفسه، ص: 24.

"وهؤلاء العلماء الذين ذكرناهم هم شيوخنا، نلنا منهم فصاحة العبارة، وبركاتهم لا زالت تجري علينا والحمد لله".[1]

وبعد أن أتم مسيرته الدراسية بمدينة معسكر، انتقل المشرفي إلى مدينة مستغانم ليتتلمذ على مشايخها وعلمائها، يستشف ذلك من قوله:"كما قرأنا على غيرهم من علماء مستغانم"[2]، حيث تتلمذ لجملة من الشيوخ وهم:

- **محمد بن صابر:** وصفه "بالعلاّمة الداهية، من تفتح له عن تدريس العلوم الشاهية، وصاغ في التصوير والسبك والصوغ الغساني جابر".[3]

- **محمد بن عامر البرجي:** العلامة الزاهد، الورع العابد، نديم الدفاتر، لا يرى إلا ساهرا وسامرا، وقد قرأ عليه مختصر خليل.[4]

- **محمد بن عاشر**: دوحة الناشر، الجامع لنظائر العلوم، وبقلمه كاتب وحاشر.[5]

- **عبد القادر بن القندوز**:[6]ذو الذهن الثاقب، وشريف الأفعال والمناقب، المتورع عن المباح، ويستعمل لأهله ما يجوز[7]، وقد قرأ عليه المشرفي علم الكلام ومختصر الأخضري[8] في المنطق، ومختصر السنوسي[9].

---

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 09.

(2) المصدر نفسه، ص: .09

(3) المصدر نفسه، ص:8.

(4) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

(5) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 9.

(6) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

(7) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 9.

(8) **عبد الرحمن الأخضري**: بن محمد الصغير، بن عامر المشهور بالأخضري، من علماء المالكية بالجزائر. ولد عام 920هـ، ضواحي مدينة بسكرة. من آثاره الجوهر المكنون في الثلاثة فنون، السلم المرونق، منظومة في قواعد الإعراب على كتاب مغني اللبيب، القدسية، ومؤلفات أخرى. ينظر: مخلوف، المصدر السابق، ص: 285. الحفناوي، تعريف الخلف، ص: 67.

(9) **السنوسي**: هو محمد بن يوسف السنوسي (832- 895هـ/ 1428- 1490م)، من علماء تلمسان، تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن الثعاليبي وغيره. من آثاره: العقيدة الصغرى والكبرى، وشرح صحيح البخاري، ونظم العقائد، وغيرها من التآليف. ينظر: ابن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مراجعة عبد المجيد خيالي، الرباط: مطبعة الكرامة، ط3، 2003، ص ص: 109 – 111. ابن مريم، البستان في ذكر علماء تلمسان، ص: 237.

- **خليل الفرندي:** المعتكف على تدريس مختصر خليل الفقيه النبيل.[1]

ثم انتقل المشرفي بعد ذلك إلى تلمسان، بغية الاستزادة والتتلمذ على علمائها، وقد أشار عرضا إلى مقامه بها، وقراءته على يدي الشيخ الفقيه الحاج الداودي التلمساني[2]، والشيخ محمد بن سعد التلمساني[3]، وسيدي محمد الفخار.[4]

وفي نهاية المطاف، انتقل المشرفي إلى وهران سنة 1240هـ/ ماي 1824م[5]، ليواصل تعليمه بها، نظرا للمكانة المرموقة التي كانت تتمتع بها.

ولعل الأجواء العامة التي وجدها المشرفي بمدينة وهران، قد بعث في نفسه حماسا كبيرا للجمع والتحصيل، خصوصا وأنه وجد نفسه بين أشياخه الأوائل، الذين تتلمذ عليهم في مدينة معسكر، مثل مصطفى بن التهامي وأحمد بن التهامي والشيخ سقاط المشرفي.[6]

وشيوخه بوهران هم كالآتي: [7]

- أحمد بن التهامي، عبد الله سقاط، خليل الفرندي، وقد بدأ قراءة مختصر خليل على هؤلاء الثلاثة.

- **عبدالقادر المستغانمي:** قرأ عليه علم الكلام، ومختصر الأخضري في المنطق، ومختصر السنوسي.

- **محمد بن يوسف العامري الترازي:** قرأ عليه المختصر.

---

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 9.

(2) **الحاج الداودي التلمساني**: هو أبو محمد الحاج الداودي التلمساني، الفقيه النحوي المحدث، تولى قضاء تلمسان، قبل الاحتلال، ثم هاجر إلى فاس وتوفي بها بعد ذلك، سنة 1854م، ودفن بالزاوية أحمد الناصرية. ينظر: مخلوف، المصدر السابق، ص: 400.

(3) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

(4) المصدر نفسه، و111ظ.

(5) Henri Pérès : op. cit. p : 261.

(6) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

(7) المصدر نفسه، و111ظ.

- **محمد بن سعد التلمساني**: [1]قرأ عليه شرح البخاري سنة 1245هـ/ 1829 – 1830م، وتفسير البيضاوي[2]، وحاشية الخفاجي[3].

- **ابن صابر المستغانمي، محمد بن عامر البرجي.**

وقد كان للمستجد التاريخي الطارئ والمهول، المتمثل في الاستعمار الفرنسي، الأثر السيء على حياة المشرفي العلمية، وهو ما ترك في نفسه تذمرا كبيرا حيال مسيرته العلمية. ذلك أنه وبعد الاحتلال قفل راجعا إلى معسكر، بعد أن أمضى ست سنوات من التحصيل بوهران، ليتولى تدريس الصبيان، حيث عبر المشرفي عن هذه المرحلة بقوله: "ففاجأنا خروج الإفرنس دمره الله للثغر الجزائري، فلم يتم لنا المراد في قراءة التفسير ومتون الصحاح، فرجعت لغريس ظافرا بالنحويات والفقيهات والحمد لله، وانتصبت في حياة والدي للتدريس وقرت بي عينه".[4]

وبعد رجوعه لمعسكر، والتخلي الاضطراري عن مزاولة الدروس، لم يضق المشرفي ذرعا بذلك، بل نجده ينطلق في رحلة جديدة، بحثا عن العلم والتحصيل، لينزل هذه المرة ضيفا على منطقة مجاجة سنة 1249هـ/1833م، لكن خيبة أمله كانت كبيرة لما وجد بها سوى عالمين اثنين.[5]

---

(1) **محمد بن سعد التلمساني**: هو العلامة، محمد بن سعد بن الحاج الحسني البيدري التلمساني، من أعلام الفقه والحديث، والبلاغة بالجزائر، قبل الاحتلال. تولى القضاء بتلمسان على عهد الأتراك. هاجر إلى فاس سنة 1836م، والتي توفي بها في 17 محرم 1264هـ/ 25 ديسمبر 1847م. من آثاره: شرح على الهمزية، وشرح على الرسالة. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2581.

(2) **البيضاوي**: هو عبد الله عمر بن محمد بن علي المعروف بالبيضاوي، المتوفي عام 685هـ او 691هـ. من تآليفه: مختصر الكشاف، والمنهاج في الأصول وشرحه، وشرح المطالع في المنطق. ينظر: جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق أبو الفضل محمدّ إبراهيم، ج2، ، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1964،ص: 51.

(3) **الخفاجي:** شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر أحد شيوخ الحنفية، ولد عام 979هـ/ 1571م، سمي بالخفاجي نسبة إلى قبيلة خفاجة. كان لغويا وأديبا مشاركا، توفي بمصر سنة1069هـ/1659م. ينظر: كحالة، المرجع السابق، ج1، ص: 238.

(4) العربي المشرفي، ديوان نظم، و111ظ.

(5) لم يذكر المشرفي اسمي هذين العالمين، واكتفى بالقول أنهما كان من العلماء المعاريف المتضلعين بعلم المعقول والمنقول. كما أشار إلى وجود عالم جزائري، هاجر إليهما، ويدعى بأبي القاسم البزاغني. ينظر: ياقوتة النسب، ص: 35.

كما نجده يستغل فرصة مروره بمصر خلال رحلته للحجاز سنة 1265هـ/1848م، ليلتقي بعالمها الإمام البجوري، حيث جاء في "الذخيرة" ما نصه: "اجتمعت بشيخ الإسلام فيها وهو الإمام البجوري سنة خمس وستين ومائتين وألف، وحضرت مجلس الدرس في إقراء التفسير وتبركت به، وحضرت مجالس فقهية لغيره".[1]

وهكذا تنتهي المرحلة الأولى من حياة المشرفي، التي عاش خلالها متنقلا بين معسكر ومستغانم وتلمسان ووهران، إلى غاية انهزام الأمير عبد القادر في معركة عين طاقين[2] سنة 1843م، حيث لم يقم بها طويلا، ويشد الرحال نحو المغرب.

المبحث الثاني: هجرته إلى المغرب 1260هـ/1844م.

1.2 ظروف الهجرة:

قبل الحديث عن ظروف هجرة المشرفي، لابد من الإشارة إلى الأحداث التي طبعت الحياة العامة بالجزائر عموما، والقطاع الغربي خصوصا، ونخص بالذكر مقاومة الأمير عبد القادر التي كان للمشرفي صلة وثيقة بها.

لقد كان لاحتلال الجزائر سنة 1830م، وقع كبير في نفسيته، خاصة الضغط الكبير الذي مارسته قوات الاحتلال الفرنسي، من تشريد وتنكيل بالشعب الجزائري، الذي لم يقف مكتوف الأيدي، بل رأى في المقاومة والجهاد الأسلوب الأنجع لمواجهة الاستعمار.

ولقد كانت مقاومة الأمير عبد القادر من أعنفها وأشرسها، لما تركته من آثار سلبية في صفوف الجيش الفرنسي، وما كبدته من خسائر فادحة، في العدة والعتاد والأرواح[3]. فبعد بيعته، وشروعه في العمليات الجهادية، استطاع أن يجبر الفرنسيين على المهادنة، إلى أن بدأن أحواله العسكرية تسوء شيئا فشيئا، خاصة مع بداية الأربعينيات، وتحديدا عند اكتشاف

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 09.

(2) **معركة عين طافين**: وهي المعركة التي جرت بنواحي تيارت يوم 16 ربيع الثاني 1259هـ/ 15 ماي 1843م، بعد اكتشاف عاصمة الأمير عبد القادر المتنقلة " الزمالة"، من طرف المتنصر عمر العيادي، أحد عملاء الفرنسيين، وقد اكتسحها الجنرال بيجو وخربها. ينظر: محمد بن الأمير، تحفة الزائر، ص: 428.

(3) عن هذه الأحداث بالتفصيل ينظر: الفصل الأول من هذه الدراسة، ص ص: 32 – 37.

عاصمته المتنقلة الزمالة، وانهزامه في معركة عين طاقين سنة 1843م. فكيف كان موقف العربي المشرفي في ظل كل هذه الأحداث؟.

لم يكن المشرفي ليقف موقف المتفرج فيها، بل إنه أرخ لأحداثها بإسهاب كبير، في عدد من مؤلفاته كشاهد عيان على أحداث عصره. كما شارك إلى جانب إخوانه المجاهدين في المقاومة مدة تربو عن العقد من الزمن، ولذلك نجده كثيرا ما يذكّر بانتصارات المقاومة على الفرنسيين، خاصة منها تلك التي لها صلة بالأمير عبد القادر.

وقد جاء ذكره لبعض هذه الانتصارات في "الذخيرة" إذ يقول: "وكنا نحضر معه في الجهاد، وما فارقه مؤلفه في ثمانين وقعة وتقهقر العدو، ومهما فارق البحر بمائة خطوة أو بأكثر، إلا وتخطفته الناس وغنمت سلاحه ورجاله، من سنة خمسة وأربعين في القرن الماضي إلى سنة تسعة وخمسين"[1]، كما عبر عنها في موضع آخر بما يلي:[2]

من ثامن عام الأربعين في قرننا * إلى تاسع الخمسين والحرب دولُ

وديننا في نصر وعز وهمّة * ودين الأتراك مخذول ومذلّل

وقد نظم المشرفي سنة 1844م أرجوزة أخرى في حوالي ثلاثمائة (300) بيت، سرد فيها أطوار المقاومة ومراحلها، وكذا تحركات الأمير عبد القادر، راصدا فيها عوامل فشل المقاومة،ابتدأها قائلا:[3] (من الطويل)

سلام على الأحباب أين تحولوا * وباشرهم ريب الزمان تجولوا

ودارت عليهم دائرات تغربوا * فخربت دار الملك منها تبدلوا

وغُير صرح القصر فانقلبت * على أناسنا دنيا أرملٌ ومبتلُ

وصالت علينا صولة الظلم * فامحت رسوم غريس من كفّار تطولوا

(1) العربي المشرفي، ديوان نظم، و112ظ.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 26.

(3) العربي المشرفي، ديوان نظم، و3ظ – و4و.

إلى أن يقول: (من الرجز) ...

دهتنا صولة الغرور والكسا * وضلة الجهل وشيعة الفساد

ارتكبوا وانتشـ ـ ـبوا[1] ونهبوا * وحاربوا وضاربوا ونكبـ ـ ـوا[2]

وختمها قائلا:[3] (من الرجز)

وهل فارقوا حزب الشيطان ووليا * تولى سعى في الأرض أفسد جيل

والآل وتابعيه من قرنه إلى * انقطاع القرون دول بعد دول

ثم كتب في آخرها يقول: "تمت وبالخير عمت، وقت ترادف الأهوال، وشغل البدن والبال".

ويبدو من خلال تتبع الأحداث التاريخية، ومن خلال ما كتبه المشرفي، أن هزيمة عين طاقين التي نكب فيها الأمير عبد القادر، كانت هي السبب المباشر لهجرته إلى المغرب، خاصة بعد نفاذ طاقة التحمل والصبر، واشتداد خناق القوات الفرنسية على المقاومة[4]، حيث ذكر في عدة مناسبات، سبب وتاريخ هجرته، مؤكدا على أن دافع الهجرة، هو الغيرة على الدين، ورفض الرضوخ للمستعمر، حيث جاء في إحدى كناشاته تبرير هجرته كما يلي: "والسبب الحامل لنا على ذلك، وإن كنا لسنا أهلا لذلك، الغيرة على الدين، والكف لجزية المشركين".[5]

وعن اختياره المغرب كدار للهجرة، نجده يقول: "فولاية أهل النبوة أمان لهذه الأمة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا هو أحد الأسباب التي جاءت بنا للمغرب، واخترنا الهجرة

---

(1) انتشبوا: من أنشب البازي مخالبه في الأخيذة، ونشب فلان منشب، سواء إذا وقع فيما لا مخلص منه. بنظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج8، ص: 548.

(2) **نكبوا:** نكب عن الشيء، أي عدل عنه. ومنه نكب فلان عن الصواب إذا عدل عنه. ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج8، ص: 689.

(3) القصيدة بتمامها، بحوزة الأستاذ زاوي جيلالي المشرفي عضو مجلس الأمة، وقد أطلعنا عليها مشكورا.

(4) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية، ج3، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ط1، 1985م، ص: 216.

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 29.

إليه، دون الهجرة لأرض تونس وما وراءها من الأمصار...ألا ترى إلى فاس وأحوازها، بل وجميع الإيالة المغربية، حاضرة وبادية، كيف نجّاها الله مما أصاب غيرهم من واسطة المغرب وتونس المجاورة، فقد تغيرت أحوالهم بظهور كلمة الكفر في تلك النواحي، أعادها الله دار إيمان".[1]

ويفهم مما أورده المشرفي في الفقرة السابقة، أنه كان يؤكّد على ضرورة الهجرة من الجزائر، التي أضحت بيد النصارى، إلى دار الإسلام المتمثلة في المغرب. وقد هاجر في هذا الإطار إلى كل من مدينتي تطوان وطنجة سنة 1830م ما يقارب 600 شخص[2]، وهو الأمر الذي جعل "جاك بيرك" *Jacks Berque* يؤكد على أن الهجرة الجزائرية إلى المغرب، كانت خوفا من مغبة حدوث مشاكل عويصة، من جراء الاضطرابات الاقتصادية، والقوانين الفرنسية الجديدة المجحفة، فضلا عن الوازع الديني[3]، هذه المسألة الأخيرة كانت محل بحث ونقاش في الأوساط الجزائرية، حيث أوفد بموجبها الأمير عبد القادر الشيخ بن عبد الله سقاط المشرفي إلى الإمام التسولي.[4]

ومع ذلك فإن المشرفي قد ظل يدافع عن موقفه الداعي إلى الهجرة في الكثير من المناسبات، ومنها القصيدة التي يقول في مطلعها:[5] (من الطويل)

وصرنا كأولاد السودان طوائفا * بذا عمرت أسواقهم وقبيل

وفي موقف آخر، نجده يؤكد على أن الإقامة بالبلاد والاحتماء بالفرنسيين، خير من البقاء تحت حكم الأمير عبد القادر، ونتركه ليوضح لنا هدفه من ذلك بقوله: "...وطال عليهم الهم وتردد الجفلات[6] بالغم، فرت منه للنصارى واستحلّت الجلوس تحت رايتهم، ليتوارى فلم

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 29.

(2) G.L. Miége, le Maroc et l'Europe 1830 – 1894, édition la port, Rabat, 1996, tome2, p: 129.

(3) J.Berque : L'intérieure du Maghreb 18- 19 siècle, édite galimard, Paris, 1978, p: 415.

(4) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 318. ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج5، ص ص: 50 – 74.

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 29.

(6) الجفلات: والجافل المنزعج. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص: 155.

يبق معه إلا الحزب الملعون، يدور معه للنهب ويكون له عون، فأقام معه على قتل العباد وسبي النساء والأولاد، وأباح الفروج لجيش العباد...فبذلك وقعت المعايرة بالتنصر لمن لم يهجر نحوه، ولمن لم يعمل مثل عمله حذوه".[1]

وعلى أية حال، فإن المشرفي كان قد هاجر على وقع المحن والشدائد [2] ، حيث وصف لنا مشاهد هجرته وآلامه الكبيرة حينها، في نص طويل ضمن "طرس الأخبار"، مما جاء فيه: "اعلم أن النصارى لما اشتدت صولتهم[3]، وكثرت إذايتهم، وهالتنا غزواتهم، وفجعتنا روعاتهم، فررنا بالحريم للجبال، وتركنا وراءنا قوت العيال، وتحصنا بالأعراب المسلمين، وقلنا في زعمنا: أسندنا ظهورنا لإخواننا المؤمنين، فإذا بهم قاموا لأخذ مالنا، وغاروا عليه أخذا بثأر نهب عمالنا، فوقفنا حائرين، حيث أخذنا بجريرة[4] أهل الأمير الجائرين، ولا ألقينا للعدو السلاح، إلا باجتماع الأعراب مع النصارى في الاصطلاح، إذ الأعراب تغير علينا من أمام ومن خلف تغير الكفرة اللئام، فالنهار حرب معهم ورحيل وعسات، تحرس من الجميع الليل، فإن مروا بموتانا مثّلوا بهم وتبعوا جرحانا فأدففوا[5] عليهم، وهتكوا حرمة الحريم، من أجل ذلك ماتت الأحرار بالتخميم، فلا يشد المسلم عضد أخاه، ولا يسد خلّة جوعه بجوعه وسخاه. لذلك رجع المستضعف للبلاد، بعد أن مرت عليه المشاق وتكررت عليه الأنكاد، ووقع الجلّ منا أسيرا، وصار الكافر على من رجع للبلاد أميرا، فافترقت جموعنا أيادي سبا، وتشتتنا جوفا وقبلة وشرقا وغربا، ولما فُقد عنا القمح والشعير، ورجعنا لأكل لحم الغنم والبقر والبعير، معشر الكبير والصغير، وبلغنا حد الجهد في الجوع، لا سيما من ترضع الرضيع، فيطبخ بلا ملح الطبيخ، حتى مات بأكل المسوس الكهل والشيخ، وترادف الرحيل في الفرار بلا إقامة بأرض هناك ولا قرار، وطال بنا الرجا وأعيانا مشي الوجا[6]، فلا محتطب في طريقنا، ولا مرعى

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 30.

(2) أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، م.و.ك، 1983، ص: 204.

(3) **الصولة:** السطوة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص: 433.

(4) جريرة: الجناية والذنب. ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه، 2، ص: 91.

(5) أدففوا: أجهزوا عليهم. ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج3، ص: 379.

(6) الوجا: الحفا، وقيل شدة الحفا. ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج9، ص: 231.

لسائمة[1] ماشية ترعى، إلا الشيح في بعض الأودية والحلفا، فلا تراها إلا يابسين من جايحة الحر والقر والأصفا، نيرانها باردة لا تنضِج نيا، فلم تحصل لنا به فائدة، فترى الناس يتداولون طول الليل على إيقادها، فلم ينتج لهم الأمر إلى أن رجعوا لغلي القديد، فلم يكملها في إيرادها. عند ذلك هاجت بطون القوم، ومات الجلّ بها في النوم، وما سلكنا فجا من فجاج تلك الأرض، إلا امتلأت أفواهنا بالتراب طولا وعرضا، والعدو في أثرنا طالبا من حرب الكفاح، فَنصرته علينا والله عواصف الرياح، وضاقت علينا الأرض بما رحبت، ومن قلّة الماء والعيش فما وسعت. وكنا رحلنا في هروبنا السنة الأولى رحلة بعد رحلة، حتى كملت لنا ستين جفلة، وفي السنة الثانية ثمانين رحلة قاصية، إلى أن أتت على آخرنا السنة الثالثة، فاحترق ريشنا في المائة الرحلة الكارثة، ولولا موافقتنا لمن يدعي الإمارة، وجلوسنا معه يمينه وشماله، لما صرنا إلى ما ترى، ولسلك الله بنا طريقا يسرى، وتردده في السحاري بالأعراش في تلك البراري، مراده به الدنيا ويغنم برجوعها قتيل".[2]

وقد أحسن المشرفي صنيعا بأن حدد لنا تاريخ هجرته بدقة، وجعله في جمادى الثانية 1260هـ/ جويلية 1844م[3]، واعتبره حدا فاصلا بين مرحلتين مهمتين في حياته، ولخّص ذلك في البيتين التاليين:[4]

وفي الستين من هذا القرن نظمتها * وفي حلل الأهوال كنت أرفل[5]

وفي ثالث عشر القرون أسيدي * وفي شهر جمادى الثاني كان التحول

(1) **سائمة:** من السائم، الذاهب على وجه حيث شاء. ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج4، ص: 758.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 31 – 32.

(3) بخلاف صاحب إتحاف المطالع، الذي جعله في حدود سنة أواسط العشرة السادسة(1848 و 1849م). ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2058.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 32.

(5) **أرفل**: رفَلَ، يرفُل، رفْلا ورفلانا، وأرفلَ، جرذيله وتبختر، وقيل خطى. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص: 205.

وقد بدأ المشرفي رحلة الهجرة المتعبة إلى المغرب، واضطر إلى تطليق زوجته واصطحب معه أبناءه فقط، حيث يقول: "وهاج شوقي لحليلة[1] فارقتها بالطلاق، حيث لم يساعدني أبوها على الهجرة"[2]، ثم ترجم أحداث هذه الرحلة، في الأبيات التالية:[3] (من الطويل)

ومنا بين **البرابر العجم لسنها * تحوم صفر الكف لا يتمول**[4]

ومنا طريح في **الفيافي** لحومه *** تمزقها النسور والقوم هزل**

ومنا الضمآن مات وسط برية * ولا يضطرب يمينه وشميل

ومنا كل الصبيان ماتت جوعة * لما فطمت عما تمص تنزل

كأنك رائٍ للعفيفات فروجها * تريد الزنى بكسرة لتعول

وبعد هذه الرحلة الشاقة، حطّ المشرفي وأعضاء فرقته الدرقاويون الرحال بمنطقة بوسغون، التي كان أهلها حينها من أتباع التيجانية، لكن مدة إقامتهم لم تطل، بسب اختلاف الفريقين في الانتماء الطرقي، وهو ما عبر عنه المشرفي بما يلي: "إن علماء غريس والمعسكر هاجروا للمغرب، فمنهم من استوطن جبال ازناتة بني يزناسن[5]، ومن استوطن الريف، ونحن معاشر المشارف استوطنا مدينة بوسغون، لأن ديارنا بها، فألفينا طريقة أهلها غير لائقة، والسنة

(1) كما أن العربي المشرفي، تزوج حفيدة ابن عمه وشيخه سقاط، بعد أن بلغ من الكبر عتيا، حيث جاء في ديوانه ما يلي: "تزوجتها بعد التفات الفتن عني والسيئات...الهرم معي في الثياب، عالجته بقرص من خالص اللباب، نفعت به الذات، فتمتعت باللذات...الحوراء الأنسية، التي قضيت الآن بها بعض ما فاتني من زمن الصبا...الحرة الحليلة، والدرة الأصيلة، حفيدة ابن عمنا وشيخنا عالم الدنيا، سيدي عبد الله سقاط". ينظر: العربي المشرفي، ديوان نظم، و60و.

(2) العربي المشرفي، ديوان نظم، و4ظ.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 33.

(4) يتمول: أي لا مال له. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص: 403.

(5) **جبال بني يزناسن**: يقع على بعد حوالي خمسين ميلا غربي تلمسان، ويتاخم من جهة قفر كرط، وقفر أنكاد من جهة أخرى، ممتدا على طول خمسة وعشرين ميلا، وعلى عرض نحو خمسة عشرة ميلا. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 43.

المحمدية غريبة بها، فمن لا يتمسك بطريقة التيجاني فيها، ينفضوه قرميطا من القرامطة[1]، هاجرنا للغرب بسياسة وكياسة".[2]

ولم تتوقف رحلة التعب التي بدأها المشرفي رفقة عائلته وبني عشيرته عند هذا الحد، حيث أنه وبعد التجائهم عند زعيم قبيلة أولاد سيدي الشيخ غرابة[3]، الشيخ بن الطيب، حسب رواية ميشو بلير *Micheaux Béllere*، كادت أن تطالهم عملية نهب وسلب كبيرة من طرفه، لولا أنهم دفعوا له قسطا من المال، مقابل السماح لهم بالمرور، وحراستهم إلى أن بلغوا وجدة.[4]

وقد رسم المشرفي أحداث ووقائع هذه الرحلة المتعبة، في البيتين التاليين:[5]

توجهت لابن الطيب الشيخ عصبة * جهابذة فروا بدينهم أول

فمنهم أديب القوم وابن رئيسهم * مولاي السعيد الأسعد المتأصل

وعند وصول الوفد إلى وجدة، راسل الشيخ سقاط السلطان عبد الرحمن، لطلب يد العون والمساعدة، فأرسل إليهم مجموعة من الفرسان لحمايتهم حتى دخولهم إلى فاس.[6]

ويذكر ابن زيدان، أن عبد الرحمن بن هشام أرسل ظهيرا إلى ابنه الخليفة، يأمره بإسكان الشيخ سقاط دارا تناسبه بفاس، وكذا إعانته على مؤونته.[7]

وإذا كان هذا هو المآل الذي انتهت إليه رحلة سقاط المشرفي، فإن رواية العربي المشرفي في مسيرة الرحلة اختلفت تفاصيلها، عما ورد في الرواية السابقة. فهل هذا يعني أن بوابة المغرب

---

(1) **القرامطة**: فرقة من الزنادقة الملاحدة، ومن أتباع الفلاسفة من الفرس، الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحـان المحرمات. وقد ظهروا سنة 278هـ، وسميوا بالقرامطة نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار. ينظر: ابن كثير، المصدر الـسابق، ج7، ص ص: 438 – 439.

(2) العربي المشرفي، ديوان نظم، و113و.

(3) **الغرابة**: قبيلة تقع بحاذاة وادي فاس، على الطريق الرابط بين فاس والرباط. ينظر:

Notes Sur Les Villes Et Tribus Du Maroc En 1890, Angers : impremrie A. burdin ; 1902, pp : 54 – 55.

(4) *Michaux Béllere, les Musulmans d'Algérie au Maroc, A.M, p : 46.*

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 33.

(6) المصدر نفسه، ص: 34.

(7) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، ص: 124.

الشرقي، شكلت مصفاة لجموع المهاجرين، وفرز ذوي الحظوة لدى السلطان عبد الرحمن بن هشام؟.[1]

أورد العربي المشرفي، أنه التقى بالأمير عبد القادر أواخر سنة 1260هـ/ 1844م عند جبال بني يزناسن قبل الدخول إلى وجدة[2]، أين حاول الأمير إقناعه بالرجوع إلى الجزائر، لكنه استطاع الانفلات منه، ولحق بالسلطان المغربي في رباط الفتح[3]. وملخص الرواية كاملا كما أورده المشرفي في إحدى دواوينه كالآتي: "فوجدت الحاج عبد القادر بن محي الدين، أمام جبل بني يزناسن بدائرته، ومعه الرحلى الذي ينزل به ويرحل، دخلت وجدة، بعث لي ننزل معه في دائرته فقلت له: لم يبق لي نزول معك. فقال لي: ولم؟. قلت له: الشريعة المطهرة تأبى ذلك، لأن من دخل في رعية ملك ونوى استيطانها، دخل فيما دخل فيه المسلمون من البيعة، فأخر بغضي. ولما سمع بي خرجت بنفسي قاصدا الانتقال لفاس، بعث خيلا في طلبي، فلم يسلكوا طريقا سلكتها إلى أن دخلت حاضرة فاس، ولحقت السلطان المقدس برباط الفتح...ففرح بي غاية، وفوق النهاية كنت أدمجتها في مؤلف سميته طرس الأخبار لما جرى للمسلمين آخر القرن الثالث عشر مع الكفار، أدخله[4] لسيدنا فأخرج لي فرسا أنثى من الإصطبل الشريف، بسرجها ذات سلاح جيد جديد، وكتب لي للقائد علي بن العربي المراكشي قائد وجدة يكري الحمار، ويبلغ أولادي لمدينة فاس، ففعل رحمه الله".[5]

وجدير بالذكر، أن المشرفي عند نزوحه لفاس، لقي عطفا كبيرا من بعض العائلات الفاسية الثرية، كعائلة بني الغسال التي آوته وأكرمت نزله حيث مدحها بقوله: [6] (من الطويل)

وإن بني غسال عرشي وجبيرتي * تألّفت فيهم ألفة لا تبدل

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 34.

(2) تشرشل، المصدر السابق، ص: 290.

(3) **رباط الفتح**: مدينة كبيرة أسسها في الأزمنة الحديثة المنصور ملك مراكش وخليفتها، ومر على طولها من جهة الشرق نهر أبي رقراق، حيث يصب في البحر، وقد بنيت القصبة عند مصبه، فهي على النهر من جهة، وعلى البحر من جهة أخرى. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص: 201 – 203.

(4) يقصد الوزير العلاّمة ابن إدريس. ينظر: العربي المشرفي، ديوان نظم، و113و.

(5) المصدر نفسه، و113و – و114و.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 51.

ودخري وكنزي للشدائد كلها * هو الشيخ وابن الشيخ حبر فضل

وكانت عدة عائلات جزائرية أخرى، من تلمسان ومعسكر ومستغانم، قد وصلت إلى حاضرة فاس، ومنها:

أ- **من معسكر وضواحيها**: عائلة المشارف، والمهاجيون، ، والمراحيون، والدحاويون الأدارسة، والمختاريون الأدارسة، والنميشيون، والخالديون، والشبانيون الغريسيون.[1]

ب- **من تلمسان**: عائلات ابن منصور، والمقريين، والبيدريين، والبوسعيديين الودغيريين، وبنور غبريط، والقيسيون. [2]

ج- **من مستغانم**: أسر من سويد، وصنهاجة، وهبرة، ومنهم أولاد بن معزوز، وابن صابر، وأولاد معمر، وأولاد الجندوز. [3]

وهكذا، شكّلت مدينة فاس خاتمة المطاف[4] لرحلة شاقّة ومتعبة بالنسبة للمشرفي وعائلته[5]، إلا أن نزوله على فاس وأهلها، لم يكن ليجبر الكسر الكبير في خاطره، خاصة بعد تذبذب العلاقة من جديد بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام، حيث انتهى الأمر باعتقال المشرفي وسجنه.

2.2 اعتقاله وسجنه:

إن الحديث عن اعتقال المشرفي، يجرنا إلى الحديث عن طبيعة العلاقة بين الأمير عبد القادر والسلطة المغربية، وعبد الرحمن بن هشام على وجه التحديد، خاصة بعد المرحلة التي تلت هزيمة إيسلي سنة 1844م.

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج3، ص: 217.

(2) المرجع نفسه، ص: 217.

(3) المرجع نفسه، ص: 217.

(4) Henri Pires, op. cite, p : 261.

(5) لم نستطع تحديد مدة هذه الرحلة، لأن المصادر التي بين أيدينا لا تسعفنا بذلك.

ذلك أنه، وبعد هذه الهزيمة هاجرت أعداد كبيرة من القبائل الجزائرية، وعلى رأسها قبيلتي بني عامر والحشم أقوى حلفاء الأمير عبد القادر، واستقرت ضواحي مدينة فاس مع بداية سنة 1846م[1]، حيث أكرمهم عبد الرحمن بن هشام، وأقطعهم أراضي فلاحية خصبة.[2]

وبعد هذا التاريخ، التجأ الأمير إلى جبال الريف- كما مر بنا في الفصل الأول- وهي المرة الثانية التي يدخل فيها الأراضي المغربية، أين شكّل قاعدة خلفية قوية توجه منها الغارات تجاه الجزائر، وهو الأمر الذي أقلق عبد الرحمن بن هشام كثيرا، وأصبح مجبرا على تنفيذ اتفاقيات الصلح (طنجة 1844م) [3] و(لالا مغنية 1845)[4]، بضغط من السلطات الفرنسية.[5]

وما زاد الطين بلّة في هذه القضية، هو انهزام السلطان المغربي أمام الأمير عبد القادر يوم 07 جويلية 1847م[6]، حيث اتهم الأمير بمحاولته الاستيلاء على الحكم بالمغرب، بل إن الناصري اعتبر لجوء قبائل الحشم وبني عامر إلى فاس قبل هذا التاريخ، جزءا من هذه الخطة.[7]

وفي خضم هذه الأحداث والأجواء المشحونة، صدرت أوامر السلطان لقبائل الحشم وبني عامر بالتحرك إلى الجنوب، لكنهم رفضوا الامتثال لهذا القرار، وظلت الأمور تسير في هذا الفلك، ولم يستطع الجيش المغربي إجبارهم على ذلك[8]، حتى جاءت الفرصة السانحة، وحوصرت هاته القبائل، وأجبرت على الاستسلام.[9]

---

(1) يذكر إبراهيم حركات، أن مجموعة من قبائل الغرب الجزائري، هاجرت بعد ذلك خاصة سنة 1266هـ/1849م، ومنها عناصر من بني عودة المجاورين لتاهرت. ينظر: المغرب عبر التاريخ، ج3، ص: 468.

(2) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص: 491. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، ص: 72.

(3) عبد الكريم غلاب، قصة المواجهة بين المغرب والغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003، ص: 73. يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832 – 1847م، م.وك، 1990، ص ص: 43 – 44.

(4) أحمد مزيان، المرجع السابق، ص: 421.

(5) المرجع نفسه، ص ص: 123 – 124.

(6) تشرشل، المصدر السابق، ص ص: 306 – 307.

(7) أحمد الناصري، المصدر السابق، ج9، ص: 56.

(8) المصدر نفسه، ج9، ص: 56

(9) المصدر نفسه، ص: 56.

وخلال هذه الأحداث المأساوية، كان الأمير عبد القادر قد أعطى تعليماته لأتباعه من الحشم وبني عامر، بعدم مبارحة أماكنهم إلى حين التحاقه بهم[1]، لكنه وفي الطريق بلغت أنباء نكستهم، وما أحدثه فيهم محمد بن عبد الرحمن بن هشام من سبي في النساء.[2]

ومما ينبغي الإشارة إليه أن العربي المشرفي كان ضمن شرفاء الحشم المقيمين بفاس، والذين تحركوا إلى مكان اللقاء مع الأمير، لكن أعدادا كبيرة منهم رجعت إلى فاس بعد فشل اللقاء.[3]

وعقب هذه الأحداث، أصدر عبد الرحمن بن هشام أمرا يقضي بإلقاء القبض على كل المنتمين للحشم وبني عامر المقيمين بفاس، والذين كان العربي المشرفي من بينهم، وقد تم إطلاق سراح بعضهم في الأخير، واستثني المشرفي من هذا القرار، بسب اتهامه بتحرير رسالة للأمير عبد القادر[4]، اعتبرت مساسا بأمن المغرب الداخلي.[5]

ومن هذا الحدث بالضبط، يبدأ العربي المشرفي رحلة المعاناة، رحلة الهم والحزن الذي كان يخبئه له القدر. وبالرغم من كل ما لحقه جراء هذا الاعتقال وسجنه أخيرا، فإنه لم يقف مكتوف الأيدي، بل إنه كان كثير الكتابة للسلطان، لاستعطافه وإثبات براءته من هذه الرسالة التي عكّرت عليه صفو العيش. ومن بين القصائد التي أرسلها للسلطان، القصيدة التالية التي يشرح فيها سبب سجنه، حيث يقول فيها:[6] (من البسيط)

سجنت بظلم وهو مطّلع على * سريرة عبد فيما يأتي وما مضى

---

(1) *Michaux Béllaire, les Algériennes au Maroc, A.M, p: 56.*

(2) تشرشل، المصدر السابق، ص: 307.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 39.

(4) يذكر الأمير عبد القادر، فيما يرويه عنه تشرشل، رواية أخرى تجعلنا نشك في صح هذا الاتهام، ذلك أن الأمير نفسه، ذكر أنه اتصل بعدة رسائل من أعلى المستويات في المخزن المغربي، ومن الموظفين العسكريين، والمدنيين المغاربة، ترجوه أن يأتي لإنقاذ المغرب من انهيار وخراب محقق، وتدعوه إلى تولي العرش. ينظر: تشرشل، المصدر السابق، ص: 290. ثم إن هذا الاتهام يمكن نفيه عن المشرفي لسببين، أولهما اعتراف الأمير عبدالقادر نفسه، بأن الرسالة كانت من طرف كبار رجال الدولة في المغرب، وثانيهما أن علاقة المشرفي مع الأمير كانت متوترة في هذه الفترة، فكيف به أن يحرر له رسالة تزج به في سجون فاس.

(5) PH.de Cossé Brissac, la France et le Maroc Pendant la conquête d'Algérie, Herspérise,Tom 13, 1931, p : 209.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 40.

رماني عدوي بالذي فيه عيرة * وحق بأن يرمى به فتغلّظا

فإني سني الشريعة تهْدني * وضدي ابن ماحي الدين[1] مبتدع محضا

وشيمتي أبغض البدائع جملة * وأبغض أهلها ومن يتفضضا[2]

أربني متى أزال العداوة بيننا * أنوذى بمكتوب الفُساق ونبغضا

ومع أن دعوته لم تلق الآذان الصاغية، إلا أنه ألحّ في طلب البراءة، مصرا على أنه كان ضحية وشاية من المولود بن عراش[3]، والذي تحسر المشرفي كثيرا على حفاوة استقباله حين دخوله للمغرب، لذلك نظم أبياتا يقول فيها:[4] (من الوافر)

وصاحب الزور في الدنيا مزار * ويكرم لا يضام ولا يهان

وتقتفه الوفود وتشتهيه * وصاحب الحق مقوت جبان

ولم تقف حسرة المشرفي من حفاوة استقبال بن عراش[5] عند هذا الحد، بل إنه هجاه وبأسلوب جارح في قصيدة من ثلاثة وعشرين بيتا(23)، خرج فيها عن الحد الشرعي، ونعته فيها بأسوأ النعوت، مما جاء فيها:[6] (من البسيط)

لكن أصلك إسرائيلي تبغضنا * يا ملعون الأصل من أفّاك غشاش

يكفيك سجننا فأكثر شرب ماحية * ويوم سبتكم فأحسن الفراش

فلا أساقفة الملاّح تبغضنا * كبغض هذا الذي يدعى ابن عراش

---

(1) ربما يقصد الأمير عبد القادر.

(2) **النفضض**: التفرق. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص: 117.

(3) ليس لدى الباحث ما يؤكد صحة هذا الاتهام، غير ما كتبه المشرفي هنا، لذلك يبقى هذا الحدث محلّ بحث وتنقيب، لأن المصادر التي بين يدينا لا تعطينا تفاصيل كافية عن ذلك.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 40.

(5) كان المولود بن عراش قد وصل إلى المغرب صحبة عائلته يوم 06 مارس 1846م. ينظر:

Aouli Smail, Abdelkader, paris, 1994, p :90.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 41.

وما ولاّك ابن ماحي الدين[1] في **ثغر * حتى جفا ربه جفاء نباش**

فكنت سيئة من سيئاته لم *** تقل ملئت صحيفتي وكناش**

وهذه شرفاء لا تِقسها على * برابر العرب أو على ابن جيّاش[2]

إن هذا الاتهام الذي وجهه العربي المشرفي للميلود بن عراش، أحد أبرز وزراء الأمير عبد القادر، يجعلنا نشكك في صحته، ذلك أن الأمير عبد القادر نفسه، قد اعترف أن هذه الرسالة، إنما وصلته من موظفين ساميين في المخزن الرحماني، عسكريين ومدنيين، حيث جاء أورد تشرشل، أن دعوة أخرى، تختلف في طبيعتها تمام الاختلاف عن الأولى[3]، وصلت عبد القادر من العاصمة المغربية، بأن السكان المغاربة تذمروا كثيرا من سلطانهم ويطالبونه بالمجيء سلطانا عليهم، لكنه رفض.[4]

ولكن المشرفي لم يقف مكتوف الأيدي، حيث أرسل في المقابل من ذلك، قصيدة استعطافية للسلطان جاء فيها:[5] (من الطويل)

تثبت أمير المؤمنين فإنني * صدوق لكم وفي شهود تيقّضا

تذكّر لما جرى لأجل محبتي *** في حضرتك العليا ولست** بمبغضا

ولولاها لم **يأخذ على قتلي * أزاعرُ** بمراكش[6] **ملا** والله **حفظا**

أنلبث في **سجن المزابل شهوة؟ * وقد بغضتني ناسٌ من أجلكم بغضا**

---

(1) ربما يقصد الأمير عبد القادر.

(2) **ابن جياش**: هو إبراهيم ابن جياش بن نجاح، أمير محارب، أمير من أمراء نجاح بتهامة. عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر. الميلادي، وتوفي بعد سنة 503 هـ/ 1110م. ينظر: المقريزي، الخطط، ج3، ص ص: 128- 167.

(3) كان الأمير عبد القادر قد تلقى دعوة أولى من عبد الرحمن بن هشام، للمجيء إلى فاس لكن الأمير رفضها. ينظر: تشرشل، المصدر السابق، ص: 290.

(4) تشرشل، المصدر السابق، ص: 290.

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 40 – 41.

(6) **مراكش**: أعظم مدينة بالمغرب وأجلّها، وهي في البر الأعظم في وسط بلاد البربر، أول من اختطّها يوسف بن تاشـفين مـن الملثمين، في حدود سنة 470هـ. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص: 94.

وتشمت بي **الأعادي يا خير سيد * إمام الهدى بحر الندى[1] يتفيضا[2]**

كما أن أفراد عائلته، ساندوه كثيرا في محنته هذه، بل إنهم أصروا على أن هذه الرسالة، إنما كانت تهمة ملفقة ألصقت به، وأن نسبتها إليه غير أكيدة.[3]

وقد أحدثت الفترة التي قضاها المشرفي بالسجن، شرخا عميقا في فؤاده، وهو ما انعكس سلبا على نفسيته التي اتسمت في غالب الأحيان بالمزاج الحاد، حيث أتت العديد من كتاباته مؤكدة على ذلك، فأثبت لنا في إحدى قصائده الحالة الصعبة التي كانت يواجهها بالسجن، وهذا بعض ما جاء فيها:[4] (من الطويل)

فساقية تجري من البول وحده * وسائلة بين المساجين في الفضا

ورائحة الأقذار منها نشمها * وقد أحرقت منا الخياشيم تمْرضا

وزد هيج الأمراض ووطأ مزابل * ومنها تولّد الوباء وتفرضا

فهذا مطعون في الفؤاد وخصره * بسيف القضا ومقدور الله ما مضا

وذاك يهذو[5] وليس يعقل قوله * ولا فعله وللممات تعرضا

وقد حمقت أناس من ضيق خاطر * مجاورة الأقذار للحمق تقتضا

ولم يكتف المشرفي بالكتابة للسلطان، بل كتب كذلك إلى ابنه محمد قصيدة أخرى يقول فيها:[6] (من الوافر)

أيسجن من يضادد من عداكم * ويهجره وقد ظهر الفِتانُ

---

(1) **الندى**: البلل. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص: 508.

(2) **يتفيضا**: الكثرة إلى حد السيلان. ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص: 206.

(3)*Michaux Béllaire,les Algériennes au Maroc, A.M, p: 58.*

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 42.

(5) **يهذو**: يقول كلاما غير معقول. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص: 68.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 42 – 43.

أيسجن من يباهي بكم عدوا * يفاخِره ويمدحكم لسان

أيسجن من يعظّم القدر منكم * وأطلق في عداتكم اللسان

أيسجن من عادته القوم عنكم * وقد بغضوه نسوهم الهجانُ

أيسجن من يقيم شهود حق * على مقاله وجب البيان

وقابل بيننا سيدي جميعا * فليس في الصدق كالخبر العيان

فزدقة الدجاجل ليس تخفا * على عادل تستبان

وبعد هذا الأمد، تم إطلاق سراحه، لكن يبقى من العسير جدا تحديد تاريخه، والذي يمكن جعله احتمالا في سنة 1848م، لأن المصادر التاريخية لا تمدنا بذلك، بما فيها مؤلفات المشرفي نفسه[1]، لكنه يبقى من الآكد أنه خرج من السجن بفعل التأثير الكبير الذي أحدثته قصائده الاستعطافية، في نفسية عبد الرحمن بن هشام الذي عجل بإطلاق سراحه، ناهيك عن انفراج الوضع المسدود بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان بن هشام، والذي انتهى باستسلام الأمير عبد القادر، وهو ما كان له أثر إيجابي على قبائل الحشم وبني عامر، الذين أحسن إليهم عبد الرحمن بن هشام وأكرم نزلهم.[2]

ويستفاد مما كتبه المشرفي في إحدى مؤلفاته، أن محمد بن عبد الرحمن بن هشام كان وراء إطلاق سراحه، حيث يقول: "وخليفته، النجل السعيد أرق منه فؤادا، وأرحم من جدوده أما وأبا، فَعمنا في ساعة والده إحسانه"[3]، وقوله: "ووفّى رضي الله عنه بغربتي، في نجعتي وأوبتي".[4]

وبعد هذا التاريخ، سمح السلطان عبد الرحمن بن هشام للمشرفي بالإبحار إلى الحجاز سنة

(1) يذكر ميشو بلير في هذا الصدد، أن المشرفي ظل قابعا في السجن حتى عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام (1859 – 1873م)، وهو أمر مستبعد جدا، لأن المشرفي كان قد رحل إلى الحجاز قبل هذا العهد. ينظر:

Michaux Béllaire, les Algériennes au Maroc, A.M, p:59.

(2) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، ص: 61.

(3) العربي المشرفي، ديوان نظم، و4ظ.

(4) المصدر نفسه، و2و.

1849م، مجانا لأداء فريضة الحج، ومنحه قدرا ماليا.[1]

المبحث الثالث: الإقامة بفاس وصعوبة الاندماج 1848– 1895م.

بعد مخلّفات وقعة إيسلي، وما تبعها من حملة اعتقالات واسعة النطاق، طالت قبائل الحشم وبني عامر، كانت كل المؤشرات تدل على أن العربي المشرفي، سيكون أحد أبرز من طالتهم أيادي السلطات المغربية وقتها، كيف لا وقد اتهم بتحرير رسالة للأمير عبد القادر اعتبرت مساسا بأمن المغرب الداخلي، أدخلته غياهب سجون فاس، ليطلق سراحه أخيرا وتمنح له رحلة مدفوعة التكاليف من طرف السلطان، للسفر إلى الحجاز وأداء فريضة الحج.

وبعد عودته من هذه الرحلة، وتدوينه لبعض الملاحظات حول ما شاهده في طريقه، بدأ المشرفي يبحث عن موطأ قدم له بمدينة فاس، التي ما فتئت تزوده بالمحن والشدائد من أول دخول له إليها، فكيف سيكون حاله بها؟.

1.3 استقراره بفاس:

توافدت على المغرب عدة قبائل وأسر جزائرية، من بداية الاحتلال الفرنسي، إلى فترات لاحقة، وقد لقيت استقبالا وترحيبا كبيرا من طرف السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام. [2]

كما لهذه القبائل، بحرية ممارستها لجميع أنشطتها، ومن أبرز القبائل والأسر التي شملها هذا القرار، قبائل الحشم وبني عامر، وأسرة المشارف، حيث قدم لهم عبد الرحمن بن هشام مساعدات عينية[3] بعد وصولهم فاس، خاصة منهم المشارف القادمين من غريس وتلمسان.[4]

وقد تجلّت مظاهر التسامح وإطلاق حرية هذه القبائل، بأن سمح لذوي الحرف والأنشطة منهم بممارستها على أكمل وجه، وهو ما سهل لهم عملية الانصهار في بوتقة هذا

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 44.

(2) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، ص ص: 123 – 124.

(3) وقد اشتملت هذه المساعدات العينية على 500 مد من القمح، و500 مثقال. ينظر: ابن زيدان، المصدر نفسه، ص ص: 123 – 124. وحسب ميشو بلير: 800 مد من القمح و800 مثقال (2500 بسيطاس)، وأصبح سنة 1894م حوالي 6000 بسيطاس. ينظر:

Michaux Béllaire,les Algériennes au Maroc et en Dyrie, Revue de monde Musulmain, tom dexieume, 1907, p:503.

(4) ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج5، ص: 123 – 124.

المجتمع الجديد، يستشف ذلك من قول المشرفي في إحدى قصائده:[1] (من الرجز)

فعاش ذو الحرفة منا وافتخر * واقتنى مالا ساد فيه وادخر

وصار يفتخر كل يوم * حالة يقظة وحال نوم

كما استعان الجيش المغربي بجنود قبائل الحشم وبني عامر، الذين كانت لهم خبرة بالأسلحة الثقيلة، لدعم فرقه العسكرية.[2]

وقد تم تعيين العلماء والفقهاء كل حسب درجته العلمية، بين مدرس بجامع القرويين ومدرس للصبيان، وهذه المهنة الأخيرة، كان المشرفي ممن أدمج ضمنها[3]، وهو ما تحسر له كثيرا، ويتضح ذلك جليا مما ذكره في "الذخيرة" حيث يقول: "وكل هذا، إني معدود من حزب الغرباء، وإن كنت عندهم من جملة الأدباء، وفي الطبقة الثانية من طبقات المدرسين، ومحروم من أحباس المحبسين".[4]

ولعل تعيينه في الطبقة الثانية من المدرسين، وقف حجر عثرة أمام تحقيق طموحاته الكبيرة، خاصة إذا وضعنا في الحسبان نسبه الشريفي، ونشأته وتربيته في عائلة ميسورة الحال، وكانت نقابة الأشراف لا تتعداها إلى غيرها، فكيف به يصير إلى ما صار إليه؟.

لقد قابل المشرفي كل هذه الأجواء الجديدة، بشديد التذمر والامتعاض، وعبر عنه في إحدى قصائده قائلا:[5]

وكنا أهل ثروة في القوم * ولنا شأنا عاليا في السوم

لنا أصول وعقار * ولنا جمال زانه وقار

وهجرنا العقار والوفارا * وتركنا الحائط والجدارا

(1) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، خ.ع رقم ك1264، ص: 316.

(2) ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1997، ص: 242.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 49.

(4) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(5) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 317.

وفررنا بالدين نحو المسلمين * ونبذنا السكن من بر المجرمين

وجئنا واستوطنا أرض فاس * حمدنا الله بلا قياس

إلى أن يقول: (من الرجز)

فمرحبا بالفقر فخر الأنبيا * ولكن ضرنا لسان الأغبيا

نهضنا نسعوا في جماع القوت * وربما نكسوا أهل البيت

فبرز الأمر الذي أقول * بعد التجريب يحس المقول

وقد لازمت المشرفي هذه المعاناة، أينما توجه وحلّ، حيث نجده في إحدى رحلاته إلى نواحي فاس لطلب الرزق قاصدا قبائل اشراكة وسلاس[1] وأولاد جامع[2]، يصف ما لاقاه من عوز وتهميش كبير، في قصيدة مما جاء فيها:[3] (من الرجز)

فقلت إني محتاج لزرع * وأهل خبر هم وأهل ضرع

فسرت نحوهم وخفّفت الخطا * مسترزقا أبواب العطا

فبت أولى ليلة في قوم * مبيت ماسك بدون صوم

ما بين رائح منهم وغادي * فقلت تلك حالة البوادي

تمر دوني هي ولا تبالي * وأمواج الهموم كالجبال

إلى أن يقول:

---

(1) **سلاس**: قبيلة مغربية تقع بين وادي هوارة ووادي سبو في المنطقة العليا. وقد هاجرت إلى المنطقة على عهد المرينيين والوطّاسيين. وتعتبر هذه القبيلة من القبائل المسالمة، وهم من أتباع الولي الصالح عبد السلام بن مشيش. ينظر:

A. le Chatelier,Op. Cite, p :104.

(2) **أولاد جامع**: قبيلة عربية الأصل، تنتمي إلى عرب معقل. كانت مواطنهم قبل وصولهم المغرب، في جنوب تونس، ولعلهم دخلوا المغرب وسكنوا بناحية فاس في ق11هـ/ 17 م، ويستقرون حاليا شمال غرب مدينة فاس، شمال لمطة وجنوب شراكة. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 218.

(3) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص ص: 317 – 321.

فقلت لا حول ولا قوة لي * **قد خاب ظني وخسرت عملي**

نظرت حولهم قريبا لاح لي * **مدشر خيم فسرت قلبي**

لعلّ آتي من يسد جوعي * وخيرا منهم نجد لبغيتي

فما لقيت إلا من هو أشر * منهم ولا وجدت من هو أبر

فألفيت الطباع كالطباع * والجار مثل الجار في **السماع**

لكنهم في **البخل هم أصناف * فمنهم من له** في **إشراف**

ونتيجة لتذمره الشديد من هاتين القبيلتين، هجاهما بقصيدة أفصح فيها إفصاحا عن مدى امتعاضه الشديد منهما، إذ يقول:[1] (من الرجز)

فلا يرى الخير فيهم زارع * لا خير في **الرؤوس والأكارع**

ودون هاتين بني **سنوس * أهل جفا ومنهل نحس**

إذا توجهت إلى **سلاس * فقد توجهت** إلى **الفلاّس**

وبعد خيبة الأمل هذه، عاد المشرفي إلى مدينة فاس صفر اليدين، وكان قد ترك عائلته في ضيق عيش تنتظر رجوعه، فوجدها مثقلة بالديون نتيجة لرهنها مجموعة من كتبه مقابل الحصول على بعض الطعام[2]، حيث عبر عن هذا الحدث الذي ألقى في نفسه غربة ووحشة كبيرة، بأبيات مؤثرة جدا من بين ما جاء فيها:[3] (من الرجز)

رجعت خائبا صفر اليدين * لأهلي صرت ملوءا بالدين

(1) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص ص: ص ص: 317 – 321.

(2) ذكر صاحب الإعلام أن العربي المشرفي، كان مقترا عليه في الرزق. ينظر: عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

(3) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 319.

ألفيتهم قد رهنوا التصريحا * وديوان الصفر والتوضيحا[1]

وفي الدقيق رهنوا الموطّى[2] * لما رأوا نجلي قد توطّى

بالجوع لأنه صغير السن * وجاع كل قوي مسن

وأم عيالي تقول للجميع * سيأتي رب البيت بالقوت السريع

ويتضح مما أورده المشرفي، أنه لم يلق الجو المناسب الذي كان يحلم به، فنجده يهجو وبأسلوب جارح سكان مدينة فاس، نتيجة لجفائهم وتنكرهم للعلماء، حيث قال في مقدمة كتابه "الفتح والتيسير": "ولما رمتنا الأقدار إلى الديار الفاسية، ألفينا أهلها ذوي ثروة ولهم قلوب قاسية...ولا ملّة لهم في أولي العلم، ولا يراعون إلا أهل النفاق في الحرب والسلم، هم في إعراضهم عن صلحائهم، وفي غفلة عن مساكينهم وعلمائهم، أعاننا الله على سكناها يوم إذ رخص الأسعار، فانتفى به عن المهاجر شوم النفقة والعار، وسكناها في أيام الدولة الرحمانية والمحمدية في أمن وأمان، ورفاهية عيش بين ذوي الثروة ومن يتقي الكذب والبهتان".[3]

ولعل المشرفي لم يشف غليله بهذا المقال، وذهب على أبعد من ذلك، فهجا وبتأثير الحسرة والألم والوحشة، مجموعة من القبائل الفاسية(بنيس، بن حيون، بن كيران، بن شقرون[4]، برادة)، هجاء خرج به عن الحد الشرعي، إذ يقول:[5] (من الرجز)

فرخ في ديارها إبليس * ومن كبار نسله بنيس

---

(1) **كتاب التوضيح على خليل**: للشيخ بهرام الدميري المصري، المولود سنة 724هـ، من تلامذة الشيخ خليل بن إسحاق صاحب المختصر المشهور في الفقه المالكي. توفي سنة 805هـ. ينظر: مخلوف، المصدر السابق، ص ص: 239 – 240. الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج2، اعتنى به صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص: 294.

(2) **الموطأ**: للشيخ مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، المولود على الأشهر سنة 93هـ. انتصب لتدريس العلم، وهو ابن سبع عشرة سنة. توفي سنة 179هـ. ينظر: مخلوف، المصدر السابق، ص ص: 52 – 55.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 51 – 52.

(4) **بنو شقرون**: قبيلة بربرية بالأطلس المتوسط بالمغرب الأقصى، تحدها شمالا قبيلة زيان، وغربا تادلة، وجنوبا آيت سيري. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 167.

(5) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 313.

ومن إخوانه حيون وكيران * مقراض عيشها جماعة الفئران

عشبها جردوا كالجرادة * بنو شقرون وبنو برادة

عدوا من الدولة بالبنان * وشاركوهم أولاد البنان

أموالهم قد كثرت من الربى * ومن مكوس[1] صعدت على الربى

ثم هجا قبائل اشراكة وأولاد جامع وسلاس والجاية[2] وأولاد عيسى[3] وسفيان[4] وبني مالك[5]، في قصيدة عنيفة، مماجاء فيها:[6] (من الرجز)

وعلماؤهم لا يعلمونا * وبالحرام الصرف يكرمونا

قد جمع الكاتب جملة الشرور * وحاز بالرذم جهالة الغرور

لا يكتب الخير ولا ينويه * ولا يصلّي في مثوى يؤويه

يسود القرطاس بالفجور * ويسعى في الإثم وفي المعكور

يقترف الذنب بأذن وقدم * وبجوارح كفرج وقلم

---

(1) **مكوس**: من المكس، وهو الجباية. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص: 339. والمكس المراد به الضرائب الجائرة، التي كانت تسود العالم يوم ظهور الإسلام، تؤخذ بغير حق، وتنفق في غير حق، ولا توزع أعباؤها بالعدل، ولم تكن هذه الضرائب تنفق في صالح الشعوب، بل في صالح الملوك والحكّام، فهذا النوع من الضرائب هو أول ما يطلق عليه اسم المكس، الذي جـاء فيه الوعيد الشديد. ينظر: يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ج2، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط24، 2000م، ص: 1095.

(2) **الجاية**: قبيلة مغربية تقع بين قبيلة سلاس وبني زروال. من أهم فروعها: أولاد بوزولة، أولاد قروم، بني محمد، صنوبر. ينظر: *A. le Chatelier,Ibid , pp :102-103.*

(3) **أولاد عيسى**: قبيلة عربية، قدمت من الحجاز، بعد وفاة إدريس الأكبر، واستقرت في أحواز مدينة فاس. من أشهر بطونها بني بورزالة. ينظر: *Chatelier,Ibid , pp :38-39.*

(4) **سفيان**: قبيلة عربية، استقرت ضواحي فاس ومكناس. وقد سكنت المنطقة مباشرة بعد دخولهم إليها. وأشهر فروعها: أولاد ربيعة وأولاد مصباح. ينظر:*A. le Chatelier,Ibid , pp : 27-28.*

(5) **بني مالك**: قبيلة عربية أصلا، استقرت ضواحي فاس ومكناس كقبيلة بني سفيان السابقة الذكر. وقد تمردت على قائد الناحية الغربية المدعو العباسي. وأشهر فروعها: الدرارنة وشهرانة. ينظر:*Chatelier,Op.Cite , p : 28.*

(6) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص ص: 313 – 314.

جرده المولى من ثوب الحسنات * كما كساه بثوب السيئات

ولم يتوقف به الأمر عند هذا الحد فحسب، بل تعداه إلى ما هو أسوأ منه، حيث نجده في مكان آخر يذم تجّار فاس بقوله: "يجمعون الطريف والتلاد، ولا ينفقونها إلا في شهوات الفروج والأولاد، وانقطع ما كنا نسمعه من معاملة الفقير، واليتيم والضعيف".[1]

ولعلّ هذه الصورة القاتمة التي قدمها العربي المشرفي، عن سكان فاس، بناء على احتكاكه المباشر بفئاتها البدوية والحضرية، يطرح عدة تساؤلات، عن حقيقة الوضع الاجتماعي والاقتصادي وقتها، وهل فعلا صدق المشرفي فيما ذهب إليه أم لا؟، وكيف اتسم الاستقبال المغربي في هذا الصدد؟.

بعد الهجرات الجماعية للعديد من الأسر من مدينة معسكر، خاصة منها أسرة المشارف، في حدود سنة 1260هـ/ 1844م، إلى الأراضي المغربية، بعد صدور فتوى الأمير عبد القادر التي تبيح لهم الهجرة[2]، خصص السلطان عبد الرحمن بن هشام لهذه الأسر استقبالا حسنا، ومنحهم استقلالا شبه ذاتي، استمر حتى سنة 1324هـ/ 1906م.[3]

ويذكر مصطفى المشرفي، أن هذا السلطان سن للمهاجرين الجزائريين، كل سنة 500 مد بالمد الفاسي[4] قمحا لخصوص الأشراف منهم، مع 500 مثقال كذلك[5]، وهؤلاء المهاجرون اندمجوا مع سكان فاس في فترات لاحقة(إلى غاية سنة 1906م)، وأصبحوا يكونون مجتمعا واحدا على حد تعبير لوتورنو *R.Lotorno* إذ يقول: "وقد انصهروا شيئا فشيئا في سكان فاس، وهم الآن جزء منهم لا يتجزأ".[6]

وبالرغم من هذا الاستقبال الحسن من طرف السلطان عبد الرحمن بن هشام، فكيف كان موقف أهل فاس؟، وهل كان هجاء العربي المشرفي لبعض الأسر والقبائل الفاسية، انطلاقا

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 51.

(2) محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص ص: 411 – 422.

(3) روجي لوتورنو، المصدر السابق، ج1، ص: 293.

(4) حوالي 15.62 كيلوغرام. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 44.

(5) المصدر نفسه، ص: 79.

(6) روجي لوتورنو، المصدر السابق ، ج1، ص: 295.

من وضع خاص؟، أم هو حال عام اتسمت به المنطقة ككل؟.

وللإجابة عن هذا السؤال، نجد لوتورنو *R.Lotorno* يؤكد، على أن الفاسيين كانوا على الأقل غير مكترثين، إن لم يكونوا معادين لهم، لاختلاف اللهجة والعادات، فلذلك لم يزل الجزائريون يكونون حتى بداية القرن العشرين – وهي الفترة التي عاش فيها المشرفي- جماعة متميزة تماما، فكانوا يتزوجون فيما بينهم محتفظين بلهجتهم، وأسلوب معيشتهم [1] ، خاصة مع اتصف به الفاسيون من كرههم لكل ما هو أجنبي، والجزائريون بصفتهم أجانب عنهم، فقد شملهم هذا السلوك. [2]

كما أن الوضعية الحسنة التي قوبلت بها الأسر الجزائرية من طرف السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام، ووضعيتهم المتميزة بفاس، المتمثلة في حصولهم على ظهير ملكي يعفى بمقتضاه الأسر المنحدرة من الشيخ عبد القادر المشرفي من أداء الضرائب[3]، لا تنفي بأي حال من الأحوال، الوضعية الصعبة التي كانوا يعيشونها في مناطق متفرقة من فاس[4]، خاصة أنهم عانوا من ضيق الحال وضنك العيش.[5]

كما أن أبا القاسم الزياني، حكم على أهل فاس بقوله: "أقسى الناس قلوبا، وأكثرهم كبرا وعجبا... ولا ينزجرون بما يقع لهم من المصائب، وما يلحقهم من الفضائح والنوائب، وذلك لخبث طباعهم...".[6]

وقد سعى العربي المشرفي جاهدا، للانتقال كمدرس من الدرجة الثانية، إلى مرتبة أعلى. وبالفعل فقد لاحت في الأفق تباشير وبوادر الانفراج والحسم في هذه القضية، وتجلى ذلك في

(1) روجي لوتورنو، المصدر السابق ، ج1، ص ص: 293 – 294.

(2) المصدر نفسه، ص: 304.

(3) Michaux Béllaire,les Algérienne au Maroc, A.M, p : 65.

(4) خاصة في الحياينة، وخريبكة، ووجدة، ونواحي مراكش. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 59.

(5) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 59.

(6) أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة أولاد علي الشريف، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، 1992، ص: 50. نقلا عن العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 52.

حصوله على أمر من عبد الرحمن بن هشام للتدريس في مدينة القصر الكبير[1]، الذي مكث فيه مدة عامين[2]، باحثا عن حل للارتقاء إلى منصب مدرس في مدرسة مكناس، لكن مساعيه خابت في الأخير.[3]

ويفهم مما أورده صاحب "الإعلام"، أن المشرفي قد امتهن حرفة نسخ الكتب، وأنه كان سريع الكتابة لدرجة أنه كان يكتب الكراسة بين العشائين[4]، حيث قام بنسخ مكتبة كاملة لأحد أعيان المخزن، وهو عبد العزيز الغرديسي، الذي قال المشرفي في حقه: "فمنذ قدمت مهاجرا لمدينة فاس أغناني عن عطاء الناس، وقد كتبت له خزانة بخط يدي، ما تركت فنا إلا وكتبت له أمهاته بوافر أجرة، دون العطايا التي يخصني بها، ولم أنس خيره".[5]

ولقد عاش المشرفي حياة الكدح والتكسب بفاس، فترة ليست بالقصيرة(1848-1873م)، لكنه في نفس الوقت وبالموازاة مع ذلك فإنه لم يحد يوما عن الكتابة والتأليف، ولم يكن ليغيب عن الساحة السياسية وكل ما يستجد فيها، فنجده إثر هزيمة تطوان سنة 1860م أمام الإسبان[6]، يخلّد هذا الحدث في مرثية حزينة، أنزلها في واحد وأربعين (41) بيتا، مما جاء فيها:[7] (من المجتثّ)

يا دهر قل لي على من * كشرت جمع السلامه

نصبـ ـ ـ ـ ـت للرواهي * ولم تخف من ملامه

---

(1) **القصر الكبير:** مدينة كبير أسست في عهد المنصور ملك مراكش وخليفتها، بأمره، وتدل الكتابات والآثار العتيقة، على أن مدينة القصر الكبير عتيقة جدا، لكنها قد تكون خربت، وبنا يعقوب المنصور الموحدي مدينة على أنقاضها. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 303.

(2) العربي المشرفي، ديوان نظم، و60ظ.

(3) المصدر نفسه، و60ظ – و61و.

(4) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27.

(5) العربي المشرفي، ديوان نظم، و69ظ.

(6) **هزيمة تطوان**: وقعت هذه الحرب، إثر تجدد النزاع حول منطقتي مليلية وسبتة عام 1859م، وبدأت حوادثها قرب سبتة ثم تطورت إلى حرب، فشلت بريطانيا في الحيلولة دون اندلاعها، وقد خسر المغاربة فيها مدينة تطوان، ولم تتوقف الحرب إلا بدخول بريطانيا إلى جانب المغرب. ينظر: خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر (1856 – 1886م)، المحمدية: مطبعة فضالة، 1990، ب ط، ص ص: 140 – 164 و ص ص: 167 – 176.

(7) العربي المشرفي، ديوان نظم، و18ظ- و19و.

...

ملّكنـــــه للّأعادي * لست تســـاوي قُلامه

فالـــدين يبكي بدمع * يحكيـــه صوب الغمامه

وختمها قائلا: (من المضارع)

ولم يزل ذا انتظار * في **كل وقت** حمامه

يراقب الله ســـــرا * وجهرة فاستيداميـــه

يطلب حسن ختـــام * وسكنى دار السلامه

ويعتبر هذا الحدث بداية دخوله المعترك السياسي بالمغرب، خاصة بعد أن خلّده في المرثية السالفة الذكر، كما كان قد نظم عدة قصائد أخرى مماثلة، وقدمها للسلطان في مناسبات مختلفة، قصد التقرب من السلطان، وطمعا في الحصول على بعض المكافآت، يستعين بها على قوت عياله، ومنها القصيدة التي يقول فيها:[1]

أمالكنا برق الدين شرعا * حماه الله من ملك وليّ

وناصب راية الإسلام تهلّ * بها من صلّى في **أرض الروي**

وختمها قائلا:

بجاه **أسنى خلق الله طرأ * وكل صالح حبر تقي**

عليه ربي في **القرآن صلّى * وسلّم قبل كل أمر حسي**

وفي ذات السياق نجده يرافق المحلة السلطانية سنة 1289هـ/ 1873م في الحركة التأديبية لقبائل بني مطير وبني موسى المتمردة[2] بإقليم تادلا[3]، ويرسم لنا أحداث هذه الرحلة في

(1) العربي المشرفي، ديوان نظم، و35و- و38ظ.

(2) عن هذه القبائل المتمردة ينظر: أحمد الناصري، المصدر السابق، ج9، ص: 123.

(3) **تادلا**: مدينة بجبال البربر بالمغرب الأقصى، قريبة من تلمسان وفاس. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر الـسابق، ج2، ص: 05. الحميري، المصدر السابق، ص: 127.

قصيدة مطولة.[1]

وفي يوم الخميس 18 رجب 1290هـ/ 11 سبتمبر 1873م، توفي السلطان المغربي محمد الرابع، وخلفه الحسن الأول[2]، بموجب البيعة التي تمت يوم الإثنين 27 رجب 1290هـ/ 20 سبتمبر 1874هـ بمكناس[3]، لم يتوانى المشرفي لحظة واحدة في تقديم التهاني للسلطان الجديد، حيث أتحفه بقصيدة نونية في ست عشرة (16) بيتا، يعزيه بوفاة السلطان ويهنئه باعتلائه للعرش، وقد ذكرها ابن زيدان كاملة، وجاء في مطلعها:[4] (من الطويل)

ضحكنا سرورا بعدما عمنا الحزن * وخفنا وعن قرب تداركنا أمن

سرور وحزن دفعة قد تواردا * كصيحة رعد بعدها قد هما[5] مزن[6]

وختمها قائلا: (من الطويل)

ولا زلت في **نصر وعز عناية * تصوغ مزايا ما وعت مثلها أذن**

وخذ من نفيس الدر عِقدا منضدا * على شعراء الوقت يبقى به دين

ولم يكن الإقبال على مبايعة الحسن الأول، في الأوساط القبلية والرسمية والأشراف، ليمنع حدوث عدة تمردات في نواحي البلاد[7]، لذلك نجده يتوجه للقضاء على بعض هذه التمردات، واصطحب معه العربي المشرفي في جولته للقضاء على التمرد الذي ظهر بوجدة

(1) العربي المشرفي، ديوان نظم، و42ظ – و43أ.

(2) **الحسن الأول**: هو الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، ولد عام1247هـ/ 1832م، وتوفي عام 1311هـ/ 1894م. ينظر: ابن زيدان: الإتحاف، ج2، ص: 115. العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873 – 1894م/ 1290- 1311هـ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1989م، المرجع السابق، ص: 61.

(3) العربي معريش، المرجع السابق، 65.

(4) ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص: 127.

(5) **هما**: سال وانصب. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص: 142.

(6) **مزن**: المطر. ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص: 275.

(7) العربي معريش، المرجع السابق، ص ص: 66 – 67. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، ص ص: 258 – 270.

بقيادة محمد بن البشير اليزناسني[1] سنة 1874م، وقد دون المشرفي أطوار هذه الرحلة في دالية رائعة، مما جاء فيها:[2] (من البسيط)

أتت بشائر بالتهاني كالعيد * والسعد لباك زال كل تنكيد

واستحكمت من سماء الملك ثابتة * طوالع السعد في **أبراج تسديد**

ثم ختمها قائلا: (من البسيط)

لك الهناء بفك كل معضلة * وفتح مغلقها بإذن مودود

ما قال منشده في **رسم دالية * أتت بشائر بالتهاني كالعيد**

ويبدو أن فترة حكم الحسن الأول كانت بادرة خير بالنسبة للمشرفي، الذي بدأ حينها يسترجع أنفاسه، ويعيد بناء نفسه من جديد، حيث جاء على لسانه في إحدى مؤلفاته، أنه تلقى ظهيرا ملكيا يقضي بتكليفه لشرح رسالة السلطان إلى أعيان وشرفاء زرهون، الذين تمردوا عن طاعة حاكم فاس[3]، فكان من حسن صنيع السلطان أن تكفل بتزويج ابنه الأوسط، وكسوة عياله، فجاء رد المشرفي شكرا على هذا الصنيع قصيدة مدحية من مائة وخمس وعشرين (125) بيتا[4].

وهناك قصيدة أخرى يقول فيها:[5](من الوافر)

فحزمك سيدي فاق كل حزم * وعزمك لم **يكن من أدمي**

---

(1) محمد بن البشير اليزناسني: عينه السلطان خليفة على قبيلة بني يزناسن بين سنتي 1864 – 1874م، إلا أن سلطته طغت على سلطة عامل وجدة، حيث كان يطمح إلى منصب والي جدة، واستطاع بعد عدة مناوشات بلوغ الهدف بمساعدة من بعض أعضاء المخزن، وبعض الفرنسيين، فلم يكن من السلطان إلا أن أقره على ذلك في نوفمبر سنة 1874م، لكنه أعاد= =القبض عليه وأعفاه من مهامه بسبب معارضة القبائل الشرقية لتنصيبه واليا على وجدة. توفي بمراكش سنة 1883م. ينظر: العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 57.

(2) ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص ص: 165 – 166.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 57.

(4) العربي المشرفي، ديوان نظم، و35و – و38ظ.

(5) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 138.

تشير على الأمير وكل خادم * بما ليس عندهم من الخفي

فمقلتهم جفانا النوم رعيا * لما ترد من فعل ردي

وكم غيرت للوزراء أمرا * عقيما عندهم لرأي عيي

وبعد شفاء الحسن الأول من المرض الذي ألمّ به عام 1887م، نظم المشرفي خلال نزهة أقامها المهاجرون بفاس لتهنئة السلطان بشفائه من مرضه، قصيدة من ثمانية عشر(18) بيتا بهذه المناسبة، جاء فيها:[1] (من البسيط)

لله من نزهة سر الفؤاد بها * وكادت أنفسنا بها تطير فرحا

وقد شفى الله سلطان الورى فلقا * كل الهنا وكمال الرأي قد صلحا

علينا قد وجب الشكر الجزيل فلقد * أولانا والده وجده المنحا

بنا تكفّلوا في أيام هجرتنا * وواسوا أسرتنا مواساة السمحا

وعلى أية حال، فإن الحظوة التي نالها المشرفي في البلاط الحسني، لم تأت وليدة الصدفة، وإنما كانت بوساطة من رجال المخزن، خاصة منهم الوزير عبد الله بن أحمد[2]، الذي نوه به المشرفي وبفضله، في مؤلّف خاص وسمه"إثمد الجفون فيمن بعهد الله يوفون".[3]

كما حظي المشرفي بكرم الحاجب أحمد بن موسى[4]، حين التحاقه بالمحلة السلطانية شمال المغرب سنة 1889م[5]، فكيف كان ذلك؟.

إن الوثائق المتوفرة، تتيح استنتاج ما يفيد بأن المتولّين لمناصب في دوائر المخزن في القرن

(1) العربي المشرفي، ديوان نظم، و59و.

(2) **عبد الله بن أحمد**: هو الوزير عبد الله بن أحمد، كان مشرفا على تزويد الجيش بالعدة والؤونة، واحتيار المجندين، خاصة بعد ان أحداث السلطان محمد بن عبد الرحمن وزارة الحرب. وقد ولي عبد الله بن أحمد هذه الوزارة زمن السلطان الحسن الأول، منذ سنة 1873م، واستمر فيها إلى غاية سنة 1899. ينظر: مصطفى الشابي، النخبة المخزنية، ص: 36 وص: 116.

(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(4) العربي المشرفي، ديوان نظم، و12أ.

(5) المصدر نفسه، و11ظ.

التاسع عشر، كانوا يميلون إلى اصطناع زبناء يساعدون على خدمة مصالحهم، وقد يكون هؤلاء المصطنعون من أوساط العلماء أو من أعيان الشرفاء، فهم يشكلون دعائم أقطاب السلطة بالمغرب الأقصى، علما بأن فوائد هذا الدعم، تعود على الطرفين في غالب الأحيان[1]، وخير مثال على ذلك الوزير عبد الله بن أحمد، والوزير محمد الجامعي، اللذين كان للعربي المشرفي صلة وثيقة بهما، هذا الأخير، نجده يمدحه، ويدعو له فيها بالشفاء بعد المرض الذي ألمّ به، في قصيدة من سبع وسبعين (77) بيتا، سماها "غوثية البدر المنير السيد محمد بن العربي الوزير".[2] وتجدر الإشارة إلى أن هذا الوزير قد كلف من طرف السلطان، بمنح العربي المشرفي قطعة أرض ليبني بها مسكنا يأويه وعائلته، ولأسباب تبقى مجهولة لم يتم تنفيذ هذا القرار، الذي جاء بعد القصيدة التي بعث بها المشرفي إليه، يشكوه فيها مشقة الكراء، مما جاء فيها:[3] (من الطويل)

نويت وفي **نظم القصيدة مطالبي * أفوه بها لراحم وابن راحم**

وأعظمها فقْد المساكن جملة * **وشمل البنين** في **خلال التهادم**

وإني أبوهم شبت في **الخدمة التي * تنبه منعما لإنعام خادم**

ثلاثة أولاد[4] **كبـ ـار تأهلـ ـوا * وكل له احتياج مسكن ناعم**

وبذل الكراء في **كل شهر نوده * وكلّيت منه بالعطاء المداوم**

قد احتجت للعيال دارا تكنه * بإقطاع يا نعم الملك المقاوم

وقد كتب المشرفي بخصوص عدم حصوله على مسكن يأويه هو وعائلته ما يلي: "من أجل الاحتياج للسكنى، فإنها والله هي الركن الأسنى، أعظم من قوت النفوس، ومن ستر العورة

(1) مصطفى الشابي، النخبة المخزنية، ص: 81.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 60.

(3) العربي المشرفي، ديوان نظم، و47ظ.

(4) أولاده هم: مصطفى، وقد توفي في حياة والده. ينظر: العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 23. ثم محمد، وهو ابنه الأوسط الذي تكفل السلطان الحسن الأول بتزويجه. ينظر: العربي المشرفي، ديوان نظم، و35و. وابنه الثالث اسمه أحمد، كان حيا سنة 1907م، وامتهن حرفة تصليح أحذية النساء (إسكافي). ينظر:

Michaux Béllere, les Musulmans d'Algérie au Maroc, A.M, p : 92.

بالملبوس، وألذّ من شرب الراح في الكؤوس، إلى أن رفعت الشكوى طالبا من الجناب العالي دار معينة بالكراء صراحة لا نجوى، بواسطة إخواننا الوزراء، والفقهاء النبهاء السفراء، فخرج الأمر السعيد النافع بتنفيذها كما طلبنا، وما وجدنا لإخراج من هو بها، وآثروا علينا عاميا هو ساكن فيها بالكراء، ونبذوا الأمر وجعلوه من وراء ظهرهم".[1]

وقد امتعض المشرفي لهذا الأمر وتألم له ألما شديدا، حيث كان ذلك سببا في زيادة شدة الشوق والغربة لديه، إذ نجده يقول: "ولا سيما من لا ثروة له في هذه المواطن، والعيال والأولاد في كل يوم تطلب منا الزاد"[2]، و"إن من أعظم ما أنا فيه بعدِي عن الوطن والأحبة، وفقد الأنس بعد هذه الغربة التي طال ليلها، واشتد ألمها، وعز علاجها"[3] "إذ لا غرابة بأرض الإسلام وتقلب أحوال الإنسان، وافتقاره، وذلّه، واحتقاره، فهو بهذه بمثابة غريب حتى في أرضه، وبلده لمعني بتحرجه، ولا يتحرج الإنسان من ضيم لحقه من غير أبناء جنسه، وإنما الضيم الذي يلحقه من أبناء جنسه هو الذي له ضرر أعظم من ضرره، والذي به يعد غريبا".[4]

وبالجملة، فإن المشرفي وبالنظر لما لاقاه بالمغرب أرض المهجر، فقد ظلت علاقاته مع النخبة العالمة سؤالا مطروحا وقتها، يردد بين الفينة والأخرى.

3.3 علاقاته بعلماء فاس:

قبل الحديث عن علاقات العربي المشرفي بعلماء عصره، لابد من التطرق إلى الحياة العلمية بفاس على هذا العهد، وأهم ما اتسمت به.

ولمعالجة هذا الموضوع، عمدت الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم التيارات الفكرية، التي راجت كثيرا في الساحة الفاسية، واسقطبت عددا هائلا من الجماهير الشعبية، ورجال الفكر والثقافة، حتى إن المشرفي نفسه أصبح أحد أقطابها، فما هي أهم هذه التيارات؟.

1.3.3 التيار الصوفي: نشط هذا التيار خلال عصر المشرفي بفاس، نشاطا كبيرا، وكان ممثلا أساسا في الطرق التالية:

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 60.
(2) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 38.
(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.
(4) المصدر نفسه، ص: 57.

أ- الطريقة التيجانية:

وتنتسب إلى أحمد بن محمد التيجاني، الذي اكتسب عددا كبيرا من الأنصار، الذين عملوا على مواجهة الاستعمار، ونشر تعاليم الدين الإسلامي[1]، وقد ظلّت هذه الطريقة إلى غاية بداية القرن العشرين، قبلة للكثير من الأتباع.[2]

ب- الطريقة الدرقاوية:[3]

ومن أبرز شيوخها خلال هذا العهد، مولاي العربي الدرقاوي وتلميذه مولاي العربي الطويل الواسطي، الذي أخذ العربي المشرفي عنه أصول هذه الطريقة.[4] وقد كان أتباع هذه الطريقة، يحجون إلى ضريح مؤسسها كل عام، يذهبون راجلين، وبيدهم عصي، وعلى رأسهم قبعة خضراء تميزهم.[5]

ج- الطريقة الوزانية:

أسسها الشريف عبد الله الوزاني[6] حوالي سنة 1071هـ/ 1660م، وصار لها زاوية بوزان عرفت بدار الضمانة، انتشرت فروعها في بعض أنحاء المغرب، ومنها مدينة فاس[7]. وقد كان الوزانيون موزعين إلى ثلاثة زوايا محلية، حسب أصلهم العرقي: أهل توات، والفيلاليون، والتلمسانيون[8].

د- الطريقة الكتانية:

أسسها محمد بن عبد الكبير الكتاني بفاس، حوال سنة 1267هـ/ 1850م، ونظّمها

(1) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 49. روجي لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص: 868.

(2) روجي لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص: 869.

(3) عن تأسيسها ينظر: الفصل الأول من هذه الدراسة، ص: 12.

(4) عباس بن إبراهيم، الإعلام، ج9، ص: 27.

(5) روجي لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص ص: 870 – 871.

(6) **الشريف الوزاني**: هو عبد الله الشريف المستاري أصلا، الفاسي مولدا ووقرارا ووفاة، ولد سنة 1006هـ/ 1557م. درس بتطوان وفاس، ثم انتقل إلى ناحية وزان، حيث صار له أتباع كثيرون، حينها أنشا زاويته المعروفة. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 50.

(7) ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص: 50.

(8) روجي لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص: 871.

حفيده الذي كان يحمل نفس الاسم، محمد بن عبد الكبير الكتاني[1] حوالي سنة 1890م.[2]

2.3.3 **التيار السلفي**: وقد ظهر نتيجة لانتشار مظاهر الفساد والانحلال الخلقي، والجمود الفكري، والتقليد الأعمى، في ظل سيادة الفكر الصوفي[3]، وقد قاد هذا التيار المؤرخ محمد أكنسوس[4]، والفقيه محمد بن المدني جنون[5]. وقد عمل كل منهما، على محاربة الطرق الصوفية بالرغم من كونهما ينتميان للتيجانية[6]، وكذا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

لكن السؤال المطروح: كيف كان حال العربي المشرفي في ظل هذه الظروف؟.

لقد عرف عن العلماء الجزائريين المهاجرين إلى فاس، قوة علمهم بالفقه الحنفي وأصول الفقه، ودراية عدد كبير منهم بالتنظيم العسكري المتطور عما كان بالمغرب. ولذلك لا غرابة في وجود الحاسدين لهم على مكانتهم العلمية، حيث لاقوا جراء هذا الأمر مضايقات كبيرة، مثلما حدث مع الفقيه محمد بن سعد التلمساني شيخ العربي المشرفي الذي أثارت طريقته في إلقاء الدروس بالقرويين غيرة علماء فاس.[7]

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الكلام نفسه يمكن أن يقال عن العربي المشرفي، الذي عرف تهميشا كبيرا وجفاء لا يطاق من لدن علماء عصره، خاصة مع المؤرخ أكنسوس والفقيه محمد

---

(1) **محمد بن عبد الكبير الكناني الحفيد**: المربي الكبير، والحافظ الشهير، كانت ولادته عام 1290هـ. له تآليف عدة أغلبها في التصوف منها: روح النصوص، اللمحات القدسية والمواقف الإلهية في التصرفات المحمدية، وأوراد الطريقة الكتانية. توفي مقتولا يوم الثلاثاء 23 ربيع الثاني 1327هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص ص: 2856 – 2857.

(2) روجي لوتورنو، المصدر السابق ، ص: 871.

(3) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 50.

(4) **محمد أكنسوس**: هو محمد بن أحمد الكنسوسي أو أكنسوس، السوسي المراكشي، المتوفى عام 1293هـ الموافق 1877م، مؤرخ أديب، لغوي، وفلكي. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص: 19. ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، ص ص: 136- 145.

(5) **الشيخ محمد بن المدني جنون**: ولد ونشأ بفاس، حوالي 1239هـ الموافق 1824م، تولى قضاء مدينة مراكش، سنة 1857م. كما زاول التدريس بجامع القرويين. توفي يوم الفاتح ذي الحجة 1302هـ الموافق 11 سبتمبر 1885م. ينظر: مخلوف، المصدر السابق، ص: 469. الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص: 94.

(6) روجي لوتورنو، المصدر السابق، ج2، ص: 869.

(7) Abdellah Laroui, Les Origines sociales et Culturèlles du Nationalisme Marocaine (1830 - 1912) , paris, 1977, p : 206.

جنون بالأخص، لذلك سيكون الجدال الفكري، على أشده بينهما وبين العربي المشرفي، الذي ألّف ردين على كل منهما، وكان عنيفا عليهما فيه.[1]

كما نجد تعبيرا أحسن في هذا المقام مما أورده صاحب "رياض الجنة" في معرض حديثه عن ابن عمه وتلميذه مصطفى المشرفي، إذ يقول: "العالم الشاعر الهجاء الكبير، أبي حامد العربي المشرفي الشهير، فقد مزقا أعراض الناس، مما كان سببا لنفرة الناس منهما".[2]

كما أورد صاحب "إتحاف المطالع" كلاما يصب في نفس المصب، ونصه: "وفي مثله قيل: كم تقع في أعراض الناس؟ فقال: هم حفروا للأعمى، ولابد للأعمى من الوقوع في الحفر"[3]، وذكر ابن سودة أن تلك عادته رحمه الله.[4]

ورغم ما عرف عن المشرفي من كثرة التآليف والارتحال، فإنه لم يستطع أن يجد لنفسه موطئ قدم في أوساط النخبة العالمة، وهو ما عبر عنه بنفسه قائلا: "وكل هذا، أنني معدود من حزب الغرباء، وإن كنت عندهم من جملة الأدباء، وفي الطبقة الثانية من طبقات المدرسين، ومحروم من أحباس المحبسين، وهذا شأن من لفظته الأقدار من أوطانه، وانقلبت محاسني مساوئا، وأصدقائي أعاديا".[5]

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت له علاقات طيبة مع بعض علماء عصره بحاضرة فاس، ونخص بالذكر علاقته بمحمد الفاطمي بن الحسين الحسيني الصقلي[6] والمهدي بن سودة،

(1) ينظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص ص: 144- 149.

(2) عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 2003، ص ص: 146- 147.

(3) ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

(4) ابن سودة، الدليل، ص: 313.

(5) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(6) **محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي**: أبو الفضل، عالم، أديب، شاعر فاضل، له النفحات الشمالية العطرة الأنفاس في الرحلة الخمالية لزيارة فاس، تكلم فيها عن رحلة أبي عبد الله محمد العمراني المعروف بالخمال، إلى فاس سنة 1828م. رحل إلى الحج سنة1310هـ/ 1892م، وتوفي سنة 1311هـ بالوباء الذي ضرب المدينة المنورة . ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2795. فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية بفاس فهرس مع مقدمة تاريخية، الرباط: دار نشر المعرفة، 1989، ص ص: 155 – 156.

والحاج إدريس بن علي القرباوي[1] المالكي السناني[2]، والعباس بن أحمد الأبار.

وتدل مجموعة التقاريظ لعدد من مؤلفات المشرفي، عن مدى الحظوة والاحترام الذي حازه من لدن هؤلاء العلماء، حيث جاء في تقريظ الصقلي لكتاب "الذخيرة" ما يلي: "العالم الفذّ الأديب النادر، أسد العلوم الخادر، المؤرخ النسابة، الناشر الشاعر... الحاج الأبر، المجاهد المهاجر، أدامه الله إماما يقتدى به، وسراجا يهتدى بأدبه"[3]، ثم تقريظ الحاج إدريس بن علي القرباوي لنفس الكتاب: "قد ورث العلم والسر السني، ومنه لشهرته عن التعرف الغني".[4]

كما جاء في تقريظ كتاب "ياقوتة النسب" لمحمد الفاطمي الصقلي، ما يلي: "العالم العلامة، الحبر الفهامة، الجهبذ النقاد، ذي الذهن الوقاد، سنان لسان الدين المشرفي"[5]، ثم تقريظ العباس بن أحمد الأبار[6] لنفس الكتاب، بما يلي: "التأليف الصغير الحجم، الكثير القدر، المنسوب للشريف العلامة".[7]

وحلاّه أحمد بن الحاج السلمي[8] بالعبارة التالية: "الفقيه العالم الأديب، الحائز في كل

---

(1) **الحاج إدريس بن علي القرباوي**: لم نعثر على ترجمة كافية، سوى أن ابنه العلامة محمد الراضي بن الحاج إدريس السناني المالكي، شيخ عبد السلام بن سودة. من تآليفه المقامة الملزومية في الرحلة إلى تلمسان وندرومة. ينظر، ابن سودة، الدليل، ص: 250.

(2) **المالكي السناني**: إدريس بن علي بن المهدي السناني الملكي البكري، كان أديبا ناظما ناثرا مستحضرا، له مشاركة واطلاع. من آثاره: ديوان شعر سماه الروض الفاتح بأزهار النسيب والمدائح، وله ديوان في الملحون، ورسالة التذكير في بعض ما يجب على الفقير، نزهة الأعيان وتبصرة الإخوان في تبيين ما بني عليه مقام الإحسان. توفي سنة 1319هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2826.

(3) مصطفى المشرفي، السهام الصائبة، طبعة حجرية، ب ت، ص ص: 227 -228.

(4) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 01.

(5) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 01.

(6) **العباس بن أحمد الأبار**: من أولاد الأبار المعروفين بفاس، كان فقيها مشاركا، خيرا دينا، متواضعا. توفي يوم 23 رجب سنة 1304هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2770.

(7) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 01.

(8) **أحمد بن الحاج السلمي**: محمد الطالب بن الشيخ حمدون ابن الحاج السلمي المرادسي. الشيخ الإمام، علم الأعلام، الدراكة المحقق، المؤرخ النسابة، ولي قضاء مراكش مدة، ثم بمقصورة السماط بفاس. من آثاره: الأزهار الطيبة النشر في المبادئ العشر، والإشراف على من حلّ بفاس من مشاهير الأشراف. توفي بعد عصر يوم الجمعة 09 ذي الحجة سنة 1273هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2608. بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص ص: 246ـ 262.

فن أوفر نصيب، سيدي العربي بن علي المشرفي".[1] كما نجد عبد السلام بن محمد العمراني اللجائي[2]، يصفه بالأديب النحوي الفاضل.

وكما ألّف المشرفي وقدح، مدح جملة من علماء فاس، وأثنى عليهم أمثال محمد الصنهاجي[3]، وأحمد البلغيثي[4]، عبد الواحد بن المواز[5]، وأحمد بن الحاج السلمي.[6]

وفي إطار انخراطه في الجدالات الفكرية والأدبية بين أعلام عصره، ساهم المشرفي بحظ وافر في إغناء رصيد هذا الحقل من الثقافة المغربية، في القرن التاسع عشر[7]، حيث كان لانتمائه الطرقي الدرقاوي[8]، ومذهبه الأشعري[9]، المنطلق المحدد لجل كتاباته[10].

وقد تتلمذ علي يدي العربي المشرفي، مجموعة من الطلبة. كما أنه منح عدة إجازات

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 63 – 64.

(2) **عبد السلام بن عمران اللجائي الحسني**: كان علامة، مشاركا، مطلعا، له عدة تآليف منها: الدرر السنية والمفاخر العالية في الدولة العلية في مجلد. توفي يوم 07 ربيع الثاني سنة 1332هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2879.

(3) **محمد بن أحمد الصنهاجي**: بن عيسى الوزير الشهير، العالم العلامة، المشارك الكاتب، الشاعر المقتدر. وبعد أن مرض الوزير الوزير العربي الجامعي، خلفه الصنهاجي بأمر مولوي. كما كان يدرس في جامع القرويين علم الأصول وغيره، حيث كسب بذلك أصولا وأموالا كثيرة بعد أن كان ذا فاقة في أول أمره. توفي يوم الخميس 06 جمادى الثانية سنة 1309هـ، ودفن بزاوية الشيخ قاسم بن رحمون. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2787.

(4) **البلغيثي**: أحمد بن العربي الحسني العلوي، كان عالما مشاركا، ناظما، ناثرا، مطّلعا. تولى الكتابة في فاس مع القائد عبد الله بن أحماد السوسي، وبقيا على ذلك إلى أن صارا كاتبا للوزير العربي الجامعي. أخذ البلغيثي العلم عن مجموعة من الأشياخ، وتصوف على يدي الشيخ محمد الحراق بتطوان. من آثاره: شفاء الصدور في نسب العلوي الواضح المشهور، ورحلة من مكناس إلى مراكش مع الحسن الأول. توفي ليلة الأربعاء 23 ربيع الثاني سنة 1307هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2781.

(5) **عبد الواحد بن المواز**: الحسني السليماني، العلامة، المطلع، الكاتب المقتدر. من آثاره: تأليف في مناقب سبعة رجال مراكش، وتأليف في رحلة السلطان المولى الحسن إلى الصحراء. توفي في صبيحة يوم الجمعة 15 ربيع الأول سنة 1318هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص ص: 2822 – 2823. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 177.

(6) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 50 – 52.

(7) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 64.

(8) المصدر نفسه، ص: 64.

(9) عباس بن إبراهيم، المصدرالسابق، ج9، ص: 27.

(10) وما يؤكد أشعريته، هو ما ذكره في مقدمة كتابه مشموم عرار النجد: "أفقر العباد إلى مولاه، العلي أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسني نسبا، الغريسي وطنا، المالكي مذهبا، الأشعري اعتقادا، الفاسي هجرة وقرارا". العربي المشرفي، مشموم عرار النجد، ص: 02.

علمية، لعدد منهم، وتفصيل ذلك فيما يلي.

4.3 تلاميذه وإجازاته العلمية:

ترك المشرفي بعد وفاته سنة 1313هـ/ 1895م، وقيل سنة 1311هـ/1893م[1]، ثلة من التلاميذ النجباء خلّدوا ذكراه، وقد كان معظمهم من عائلته، وأبرزهم:

1.5.1 **محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي:**[2] وهو ابن عمه، تولى قضاء الحياينة، وكان أحد العدلين اللذين ذيلا بختمهما على وثيقة المهاجرين بفاس سنة 1313هـ/ 1894م، تجديدا لبيعتهم للسلطان الحسن الأول، أمام إغراءات الفرنسيين لهم بالحصول على الحماية والدخول تحت سلطة الاحتلال الفرنسي بالجزائر.[3]

وقد حلاّه شيخه المشرفي بالعبارات التالية: "لا زال صغير السن، وهو يغوص على درر المعاني، أنجب أهل وقته في علم الأدب نظما ونثرا، قبولا وردا، لكن لمن يسالمه الدهر، بل هو في محاربة الوقت إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا"[4]، ومدحه في موضع آخر قائلا: "حصل الملكة في العلوم، وقضيته منتجة في المنطوق والمفهوم، له الباع في النظم والنثر، والتراكيب الجميلة في القلّ والكثر، فاق أقرانه في فصاحة اللسان وبلاغة حسان، حفظه الله من عين الزمان".[5]

كما مدحه عند قدومه إلى فاس بقصيدة طنانة، مما جاء فيها:[6] (من الكامل)

---

(1) ابن سودة، إتحاف المطالع، ص 2805. الدليل: 80. محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج2، الفترة المعاصرة 1730 – 1930، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدراسات البيبليوغرافية رقم 01، 1989م، ص: 91. ب.س. علوش الرجراجي، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط، القسم2، ج2، ص ص: 159 – 160. عبد الرحمن بن العربي الحرشي، الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي، ج1، الدار البيضاء: مطبعة الدار، 1991، ص: 102.

(2) عن مصادر ترجمته ينظر: العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21. ابن سودة، الدليل: ص: 140. عبد الحفيظ الفاسي، المصدر السابق، ص ص: 146 – 147. الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص: 76. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 152 وص: 198.

(3) محمد المنوني: "**وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس**"، دعوة الحق المغربية، ع2، السنة العاشرة، ديسمبر 1966، ص ص: 104 – 106.

(4) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 21.

(5) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 08.

(6) مصطفى المشرفي، السهام الصائبة، ص: 121.

قدمت سالما للزمان الكاسد * دهر اللئام ودهر كل فاسد

امحمد بن محمد بن المصطفى * يا ابن الكرام ونخبة الأماجد

المشرفي الصلت كنت مهندا * تجزم كل مكابر ومعاند

لا زلت نسرا للبغات تحطهم * عن رتبة الطيران باز الصائد

وختمها قائلا: (من الكامل)

وعليك مني تحية **ميمونة * تحيي أهلك واحدا** في **واحد**

كما مدحه القاشي السيد أحمد بن محمد الصادق الحميسي قائلا:[1] (من الطويل)

محمد نجل المصطفى فخر أرضنا * وإن عدت الأقران كان له الفضل

إذا جئته تبغي التعلّم سائلا * شفّاك بشيء لا يكفيه العقل

وإن جئت تبغي تعارض فهمه * رأيت سهاما بالعيان لها القتل

فحاذر على إنسان عينك أنه * مصيب السهام لا يروغ له النبل

وقد أجازه العربي المشرفي بسنده عن الشيخ بن عبد الله سقاط المشرفي، عن مشايخه.[2]

من آثاره: إيقاظ أهل الغفلة والمنام، والنيابة عمن استيقظ ولم يقدر على الكلام، والحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية[3]، والدر المكنون في التعريف بشيخنا سيدي محمد كنون[4]، والعمدة في ذكر من اشتهر نسبه الشريف بعمالة وجدة ونصيحة.

2.5.1 **علي بن الحاج بن موسى الجزائري:** (1244 – 1330هـ/ 1829 – 1910م)، عالم محدث وقاضي. ولد بالجزائر، وبها أخذ العلم، ثم تولى القضاء وهو ابن الخامسة والعشرين

(1) مصطفى المشرفي، السهام الصائبة، ص: 359.

(2) وسلسلة السند مذكورة بتمامها عند صاحب رياض الجنة عند ترجمته لأبي علي الحسن الشدادي. ينظر: عبد الحفيظ الفاسي، المصدر السابق، ص ص: 148 – 150.

(3) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 198

(4) المصدر نفسه، ص ص: 220 – 221.

(25) من العمر في مليانة، ثم في تنس وأخيرا بتلمسان. من آثاره: ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة. توفي مع بداية القرن العشرين ولم يخلّف بعده القطر الجزائري مثله في ثلوج الصدر، والهمة البعيدة في جمع الكتب ونسخها، والبذل والمعروف [1] وقد أجازه العربي المشرفي سنة 1294هـ / 1878م. [2]

3.5.1 **عبد القادر بن البشير**: ذكره شيخه المشرفي قائلا: "ومثله في النجابة والشهرة، ولولا لان له الدهر لامتطى ظهره، أنس المؤانس، وسفير العلماء وقت الأقراء في المجالس، تلميذنا الصدر المشير، السيد عبد القادر بن البشير". [3]

4.5.1 **أبو العباس السيد أحمد**: كان من أمهر القضاة وأحسنهم كفاءة. مدحه العربي المشرفي بالعبارات التالية: "ابن عمنا الفقيه، التلميذ النبيه، ابن العلامة البركة، الموفق في السكون والحركة، من ناجته خطة القضاء فأجابها، وبالكفاءة خاطبته فأحسن خطابها". [4]

كما أورد المشرفي في إحدى كناشاته، ثلاثة إجازات بخطه، لتلامذة لم يذكر أسماءهم، وكتب في آخر الإجازة ما يلي: "لكاتبه ومسند العلم، إلى مولاي العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي الحسني كان الله له آمين" [5]. كما كان من العلماء الجزائريين الذين منحوا الإجازات العلمية لعلماء من المشرق والمغرب. [6]

(1) الكتاني، فهرس الفهارس، ج2، ص: 176.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص: 788. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 72.

(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 09.

(4) المصدر نفسه، ص: 09.

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 96.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 68.

الفصل الثالث:

آثار المشرفي

1- آثاره التاريخية.

2- آثاره في الردود، الطب والفقه.

يعد المشرفي من أبرز علماء الجزائر إنتاجا في القرن التاسع عشر(19)، حيث كان له قلم لا يكاد يفتر وذهن لا يكلّ، والقائمة الطويلة لتآليفه التي تربو عن الثلاثين، تؤكد ذلك.

وقد ألّف المشرفي في التاريخ وبرع فيه، وتعد كتاباته بمختلف أنواعها في هذا الباب، من نودار ما ألّف، حيث تعتبر ذخيرة الأواخر في التاريخ العام وطرس الأخبار في تاريخ الجزائر، شاهد حي على ذلك.

كما ألّف في تاريخ المغرب الأقصى، وأتحفه بأربع مؤلفات منها: الرسالة في أهل البصبور الحثالة والتي نوه فيها بخطر الحماية القنصلية، ثم كتاب مشموم عرار النجد والغيطان، وكذا كتابي تاريخ الدولة العلوية والآيات والحوادث.

وبالإضافة إلى اشتغاله بالكتابة التاريخية، ألف المشرفي في المناقب والتراجم والأنساب، ثم الرحلات. وقد جاء كتابه ياقوتة النسب الوهاجة نجما في سماء مؤلفات الأنساب، وثناه بمؤلف آخر لا يقل قدرا عنه وسمه بإثمد الجفون، وأردف المؤلفين معا بمؤلف آخر في تاريخ علماء فاس.

ولما كان الحس التاريخي للعربي المشرفي قويا جدا، فإنه دون معظم رحلاته داخل المغرب وخارجه، وجاء عمله ممثلا في خمس (05) رحلات أهمها نزهة الأبصار المعروفة بالرحلة السوسية التي جاءت ثرية جدا بالتراجم الغزيرة لبعض علماء وصلحاء مغرب القرن التاسع عشر(19)، ثم الرحلة الحجازية المعروفة بالرحلة العريضة في أداء الفريضة التي دون فيها مسار رحلته إلى الحج، كما نجده يدون أحداث رحلته في طلب الرزق إلى نواحي فاس، وكذا الرحلة الحسنية إلى شمال المغرب والمعروفة بتمهيد الجبال، وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، فقد ألّف المشرفي في السيرة.

ومع أنه كان كثير الاشتغال بالتاريخ، فإن سجلّه جاء حافلا كذلك، في باب الردود والسجالات والاعتراضات، حيث ألّف في هذا الصدد عدة طروس، لعل أهمها وأبرزها الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي، الذي أظهر فيه المشرفي قوة عارضته الأدبية، وجرأته الكبيرة على هجاء المخالفين والمنتطعين لمذهبه، وكذا عناوين أخرى تجلّ عن العد.

ومع أن اسمه تردد كثيرا في سماء الردود، فإن نجمه لمع في ميادين أخرى كذلك، ويتعلق الأمر بتآليفه في اللغة والآداب وكذا الطب. وقد جاءت دواوينه الشعرية والأدبية، شاهد حي على قوة أسلوبه الأدبي، وملكته الشعرية الزاخرة والثرية.

المبحث الأول: آثار المشرفي التاريخية

ألف المشرفي في أغراض متعددة، وكان ذا حاسة تاريخية قوية. حيث كان من المكثرين في الكتابة التاريخية، وجاءت الأغلبية الساحقة لمجموع مؤلفاته تاريخية إلى حد كبير، وصف وعرف فيها بأحوال عصره، وما شاهده بأم عينيه من موقع الشاهد على العصر، وجاءت أهم موضوعاته في التاريخ العام، وتاريخ الجزائر والمغرب الأقصى، لكن السؤال المطروح: ما هي الفائدة التي يمكن الوقوف عليها، من هذا الإنتاج تاريخيا؟.

1- **التاريخ العام:**

- ذخيرة الأواخر والأولْ فيما يتضمن من أخبار الدول:[1]

ويعتبر من أهم مؤلفات العربي المشرفي وأجلّها قدرا. وهو تأليف يجمع بين التاريخ والرحلة[2]، ويقع هذا الكتاب في سفرين، من 333ورقة[3]، ويوجد بعضه بخط المؤلف بالخزانة الفاسية[4]، بينما توجد النسخة الثانية منه بخزان الكتاني بفاس، ونقلت إلى الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2659[5]، وهي النسخة التي اعتمدها الباحث.

وقد أشار أبو القاسم سعد الله، إلى وجود نسخة أخرى بالمكتبة الوطنية الجزائرية[6] لكن لم نعثر لها على أثر. كما ذكر في ذات السياق أن هناك نسخة أخرى نقل عنها المستعرب الفرنسي هنري بيريز "*Henri péres*"، لكنه لم يذكر مكان تواجدها ولا ما آلت إليه.[7]

(1) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 134. محمد فؤاد خليل القاسمي الحسني، فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية بالجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2006، ص: 355. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 314 و ص ص: 403 – 407.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 71.

(3) خليل القاسمي، المرجع السابق، ص: 355.

(4) ابن سودة، الدليل، ص: 100.

(5) المصدر نفسه، ص: 100.

(6) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 184. مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير، ص: 81.

(7) المرجع نفسه، ص: 81.

وقد ذكر المنوني، الخبير بالمخطوطات المغربية، أن هناك نسخة أخرى مبتورة الآخر بخزانة خاصة بمراكش، لكن دون أن يحدد اسم الخزانة.[1]

ألف المشرفي هذا الكتاب، تلبية لطلب أحد أقاربه وهو تلميذه مصطفى المشرفي، حيث ورد في فاتحة الكتاب ما نصه: "فقد ورد علي مكتوب من لا تسعني مخالفته، وتتأكد علي بالقرابة إجابته، أن أضع تقييدا قاصرا على سيرة ملوك الأتراك...كما طلب مني ما نعلمه من سيرة ملوك الدولة العلوية، ونسبتهم الشريفة النبوية...فلبيته لما دعاه، وأجبته لمسعاه، وإن كنت لست أهلا لذلك، ولا ممن يسلك أوعر المسالك، والله الموفق لرقم الجواب، والهادي إلى أقوم طريق الصواب بمنه وفضله، وبمنه وعدله" [2] "وسميته ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول، وبادرت لامتثال ما به المكتوب ورد، لينجز حر ما وعد، وهذا الباعث على تسطير هذه الرسالة، ولم أماطل في تسويد أوراق العجالة".[3]

وصنف العربي المشرفي كتابه هذا على عادة المؤرخين القدامى، في مقدمة، ستة أبواب وخاتمة[4]، وقد أوجز في الأبواب الأربعة الأولى منه، تاريخ ما قبل الإسلام، بداية من آدم عليه السلام[5]، وتناول في الباب الخامس أطوار المرحلة الممتدة من ظهور الإسلام إلى عصره، بشيء من التوسع في ذكر تاريخ الأتراك، ثم الاحتلال.[6]

أما الباب السادس، فقد أرخ فيه للدولة العلوية بالمغرب، إلى أيام الحسن الأول، مع ذكر لتراجم متنوعة لعلماء جزائريين ومغاربة.[7]

وفيما يلي، ملخص جامع لأهم مواضيع المخطوط:

"فقلت مستعينا بالله ومتكلا عليه، إن هذا الجواب يتضمن مقدمة وستة أبواب".[8]

---

(1) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 91.

(2) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 01. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 91.

(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 03.

(4) مصطفى المشرفي، الحلل، ج1، ص: 134. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 91.

(5) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 91.

(6) المرجع نفسه، ص: 91.

(7) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 91.

(8) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 04.

أ- **المقدمة** في **علم التاريخ**: عرف فيها التاريخ لغة واصطلاحا ناقلا بعض هذه التعاريف عن الطبري[1] والسخاوي[2]، ونوه بأهميته الكبيرة، وناقش مجموعة من التساؤلات المرطوحة وقتها[3]، إذ يقول: "إن هذا العلم، يقال لأهله مؤرخون، مشتق من الأرخ، وهو الفتي من البقر. وإخباريون جمع خبر، وهو عام خصص بهذه الطائفة، نسب للجمع لمشابهته للعلم، كأنصار وأنصاري، ولولا هذا رد في النسب لمفرده كسائر الجموع المنسوبة إليه".[4]

وقد أشار المشرفي في هذه المقدمة، إلى ضعف شأن هذا العلم على عهده، حيث يقول: "النسب والتاريخ، ضعفا في هذا الزمان واندرسا، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع اختلاف كثير في الأمة الواحدة، لاختلاط الأنساب، واختلاف المذاهب، وتباين الدعاوى".[5]

وفي الوقت نفسه، نجده يؤكد على أهمية هذا العلم بقوله: "ولو لم يكن من شرف علم التاريخ، إلا قوله تعالى: يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ [6]، لكفى"[7]، ثم يختم قائلا: "إن أخبار الأوائل، ومعرفة أجناس والقبائل، من أهم ما يعتنى به ويدخر. ولا يقال: الأصل في الأخبار، أن تؤخر لأن في القرآن من القصص ما يذهب الألباب، ويخجل منه البحر العباب...فها أنا بحول الله أؤلّف تاريخا، يصلح في سماء الأخبار عطاردا ومريخا".[8]

---

(1) **ابن جرير الطبري:** هو محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، إمام عالم حاذق مفسر. ولد بآمن من إقليم طبرستان في أوائل 225هـ/ 839م، طلب العلم ببلده، ثم رحل إلى العراق ومصر لنفس الغرض. اشتهر بتفسيره جماع البيان، وكتابه في التاريخ الموسوم بتاريخ الأمم والملوك. توفي سنة 310هـ/ 923م. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 44.

(2) **السخاوي**: محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، نسبة إلى بلده سخا بمصر، أبو عبد الله، عالم محدث، حافظ مؤرخ. ولد سنة 831هـ، ولزم ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه، وتنقل بين الشام والحجاز. من آثاره: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الإعلان بالتوبيخ لم ذم التأريخ. ينظر: كحالة، المرجع السابق، ج3، ص: 399.

(3) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 03.

(4) المصدر نفسه، ص: 03.

(5) المصدر نفسه، ص: 03.

(6) آل عمران، الآية 65.

(7) المصدر نفسه، ص:04.

(8) المصدر نفسه، ص: 04.

ب- **الأبواب الأربعة الأولى**: وعلى عادة المؤرخين القدامى، أمثال الطبري وابن الأثير[1]، خصص المشرفي هذه الأبواب للحديث عن تاريخ البشرية من لدن آدم عليه السلام، إلى ظهور الإسلام.[2]

ج- **الباب الخامس**: أرخ فيه للفترة الممتدة من ظهور الإسلام إلى عصره، متسائلا عن أسباب تراجع المسلمين، رغم ما يتمتع به الدين الإسلامي من غنى وتميز، مقارنة مع النصرانية، مستشهدا بتعدد الزوايا والطرق، وبأدبيات التصوف، وكتب الطبقات والمناقب[3]، كما أفرد حيزا هاما لتاريخ الجزائر وأحوالها، خلال الحكم التركي، وإبان الفترة الاستعمارية.

أما في حديثه عن الأتراك، فقد تعرض لأصلهم، حيث يقول: "دولة الأتراك المضادين لدين الإشراك، فالخبر عنهم وعن شعوبهم، فالحكم أنهم من الأمم القديمة، وهم من نسل ترك بن كومر بن يافث، بن نوح عليه السلام".[4]

كما نقل إلينا بعض مشاهداته في وهران، عن تعسفهم وظلمهم وجورهم، إذ يقول: "إلا أنهم، أبادهم الله من المغرب، لما طغوا وبغوا طغيان الجور والفساد، حيث عتوا عتوا كبيرا، وعاثوا في الأرض وأفسدوا، ومدوا أيديهم بنهب الأموال، وسفك الدماء بغير حق، وهتك المحارم، وأحيوا ظلمهم القديم، ورجعوا لوصف آبائهم الذميم"[5]، "ما أظنهم إلا من تلك الفئة الطاغية، والشرذمة الباغية".[6]

وفي المقابل نوه بحبهم للعلماء، خاصة علماء المشارفة، ثم تكلّم بشيء من التفصيل عن ثورة درقاوة، وما آلت إليه البلاد من ترد في الأوضاع السياسية جراءها، مشيرا إلى بعض من سبقه في الكلام عن هذه الثورة مثل الشيخ أبي راس.[7]

---

(1) **ابن الأثير:** علي بن محمد بن محمد الموصلي (555- 630هـ/ 1160- 1233م)، مؤرخ، نسابة، وأديب. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج3، بيروت: دار صادر، ب ط، ص ص: 348 – 350.

(2) مصطفى المشرفي، الحلل، ج1، ص: 134. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 91.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 404.

(4) العربي المشرفي، الذخيرة، ص:04.

(5) المصدر نفسه، ص:06.

(6) المصدر نفسه، ص:07.

(7) المصدر نفسه، ص ص: 04- 08 و ص ص: 08-09.

وقد تعرض بعد الحديث عن هذه الثورة، إلى انتقام الأتراك منهم، على أنه لم يطل الحديث فيها[1]، لينتقل إلى الكلام عن ثورة التيجاني، الذي اعتبره إحدى مظاهر عدم رضا الشعب الجزائري بالحكم التركي[2]، ثم تكلم عن مدينة الجزائر وتاريخ بنائها[3]، وعن وليها عبد الرحمن الثعاليبي[4]، وتلميذه أحمد بن عبد الله[5]، ثم عرج على ذكر دخول الفرنسيين إليها[6]، ومشيرا إلى مقاومتي الأمير عبد القادر[7] وأولاد سيدي الشيخ.[8]

وفي حديثه عن مقاومة الأمير عبد القادر، نجد موقفه منه ينقلب رأسا على عقب مما ورد في "طرس الأخبار". فقد أشاد كثيرا به وبأعماله، ليعدل عن موقفه العدائي منه، والنص التالي يعبر بصدق عن ذلك: "ولما كانت نية الحاج عبد القادر خالصة في دينه، وملّة نبيه صلة الله عليه وسلم، لم يعاقبه الله في الدنيا. فكانت معيشته، ومعيشة أهله، على يد عدوه وصديقه، وأسكنه الله الأرض المقدسة، فصار يمشي بأرض تردد فيها جبريله على كل نبي ورسول، فيالها من مشية بين قبور الأنبياء، وأهل الصلاح والأولياء، بعد أن جرد سيفه على الأعداء، وناضلهم مناضلة الصحابة والأشداء...سل عن تردده في الميدان بيجو وأحبار الرهبان، وسل عن تردده

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 09.

(2) المصدر نفسه، ص: 11.

(3) المصدر نفسه، ص:12.

(4) **عبد الرحمن الثعالبي**: هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد، الشهير بالثعالبي، مفسر/ محدث، فقيه، وصوفي من كبار علماء الجزائر. ولد عام 786هـ/ 1384م شرقي مدينة الجزائر، وسافر إلى بجاية وتونس والقاهرة طلبا للعلم. ولي قضاء الجزائر ثم عزل نفسه. من آثاره: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة. توفي سنة 875هـ/ 1471م بالجزائر. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة، مج2، ج4، ص: 152. التنبكتي، المصدر السابق، ج1، ص ص: 282 - 286.

(5) **أحمد بن عبد الله**: الزواوي العلوي المغربي المالكي، نزيل الجزائر، فقيه متكلم صوفي، صاحب القصيدة المشهورة في التوحيد الموسومة بالمنظومة الجزائرية، التي كان الشيخ السنوسي أحد شراحها. اشتهر بزاويته التي صارت مدفنا لجملة من علماء الجزائر. توفي سنة 884هـ/ 1479. ينظر: السخاوي، المصدر السابق، مج1، ج1، ص: 374.

(6) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 19 – 21.

(7) المصدر نفسه، ص ص: 39 -45.

(8) المصدر نفسه، ص ص: 46-48.

في الصفوف أودية سيك وشعاب خروف...فبسبب سنة الجهاد التي أحياها في آخر الزمان، أحيا الله ذكره، وبتقديم والده المذكور، وحاز حمد الله وشكره".[1]

ثم انتقل إلى الحديث عن الإفرنج، وبعضا من تاريخهم وأعمالهم بالجزائر، كإنشاء المدن وتوسيعها، وبناء الموانئ، وإنشاء الطرقات، واستصلاح الأراضي، وإنجازاتهم في قطاع التعليم.[2]

كما نجده في السياق ذاته، ينوه ببعض علماء الجزائر، ويقدم تراجم وافية لبعضهم، فقد ترجم لكل من الحسن بريهمات[3]، وأحمد قدورة[4]، وعلي العمالي[5]، ووالده أحميدة العمالي[6]، وحمودة القاضي[7]، وجملة أخرى من العلماء، خاصة منهم علماء الأسرة المشرفية، وعلماء مستغانم وتلمسان.[8]

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 20.

(2) المصدر نفسه، ص ص: 24– 26 و ص ص: 26- 27.

(3) **الحسن بريهمات**: فقيه عالم مشارك، برع في العلوم الدينية واللغة العربية. ولد حوالي عام 1821م. ويعد من أوائل الجزائريين الذين دخلوا المدرسة العربية الفرنسية المنشأة سنة 1836م. تولى قضاء البليدة عام 1853، وإدارة مدرسة الجزائر الشرعية سنة 1855م، ثم عين عضوا في المجلس الفقهي. توفي يوم 10جمادى الأولى سنة 1301هـ/ 1833م. ينظر: الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 120.

(4) **أحمد قدورة**: من علماء الجزائر وفقهائها، تولى الإفتاء بعد وفاة أخيه محمد سنة 1107هـ. وقد توفي مقتولا عام 1118هـ/ 1706م بأمر من الباي محمد بكداش. ويبدو أنه لم يكن في درجة أبيه سعيد ولا أخيه محمد العلمية، ولعله كان كبير السن عند وفاته. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص: 356.

(5) **علي العمالي**: بن أحمد بن محمد أبو الحسن، فقيه مشارك من كبار علماء الجزائر في العهد الاستعماري قرأ على والده احميدة العمالي. ولد سنة 1264هـ/ 1848م، وتوفي عام 1326هـ/ 1906م، حيث كانت جنازته مهيبة حضرها أهل العلم ورجال الفضل وأعيان الجزائر. ينظر: الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص ص: 546 – 548.

(6) **أحميدة العمالي**: فقيه محدث، ولد سنة 1227هـ/ 1812م، تولى إفتاء مدينة الجزائر سنة 1273هـ/ 1856م. توفي عام 1290هـ/ 1873م، ودفن بروضة الإمام الثعالبي. من آثاره رسالة في أحكام المياه، رسالة في ترتيب القضاء. ينظر: الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 154.

(7) **حمودة القاضي**: الفقيه الوجيه، العلاّمة النبيه، السيد حمودة القاضي، عالم بفروع المذهب المالكي، ومداركه. قدمه الولاة من بين العلماء لأهليته بصناعة القضاء، وسياسته الدينية والدنيوية، وذكائه وفطانته. ينظر: العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 33.

(8) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 23–34 و ص ص: 38–49.

ثم أفرد للقضاء فصلا مستقلا، وتكلم عن فضله وخطورة تقلده، حيث عده من أعظم الخطط الدينية الست دون الخلافة، أكمل قدرا عند الله تعالى[1]، حيث يقول: "فاعلم أن أعظم الخطط الست دون الخلافة القضاء، وأكملها عند الله قدرا، فإلى القاضي المرجع في الجليل والحقير، ويختص بالنظر في الجراحات والتدميات".[2]

ويؤكد المشرفي، على حسن اختيار أعوان القضاء وتحديد أوصافهم، وضرورة رجوع القاضي للعلماء، باستشارتهم فيما يستجد من النوازل، إذ يقول: "وللقاضي، أن يتفطّن أيضا لأعوانه، ولا يرشح لإعانته إلا العون الخير، بحيث يكون كالشاهد حرا ذكرا، غير مغفّل، لا يخدع ولا يقدح في عدالته، لأنه ترجمان القاضي، وأمين سره ونهيه وأمره...ومن سنة القاضي أن لا يستغني عن مشورة العلماء في كل نازلة نزلت، بل يستعين بهم في جليل الأمر وحقيره، ومن أعرض عن مشورتهم عميت عليه إفتاء الوجه الشرعي، وانطمست آثاره".[3]

كما نجده يوصي "من ابتلي بالقضاء، والحكم بين العباد، أن يكون عاقلا، عفيفا، مرضيا، يغلب خيره على شره، فإن الحكم مبني على ميزان الاعتدال، فمتى رجح أو مال، تلفت به نفس ومال".[4]

وقد أنهى المشرفي هذا القسم بخاتمة مطولة، تحدث فيها عن أقاليم المغرب الأوسط البحرية، والجبلية والصحراوية، واصفا طباع السكان في كل منطقة، ومميزاتها الفلاحية، وكذا علمائها ومآثرها.[5]

كما تكلم عن بلاد مصر وأشهر مدنها القاهرة[6] واصفا لموقعها الجغرافي. ثم أشار إلى لقائه بحاكمها محمد علي، وما دار بينهما من نقاش طويل، أثناء إقامته بها وهو في طريقه إلى

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 33–36.

(2) المصدر نفسه، ص: 29.

(3) المصدر نفسه، ص ص: 32- 33.

(4) المصدر نفسه، ص: 34.

(5) المصدر نفسه، ص ص: 24- 54.

(6) **القاهرة**: مدينة بجانب الفسطاط. أول من أحدثها جوهر الصقلي سنة 358هـ، ورحل إليها المعز لدين الله الفاطمي. وهذه المدينة، هي من أطيب وأجلّ المدن، لاجتماع الخيرات والفضائل بها. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص: 301.

الحج سنة 1848م، إذ يقول: "وقد اجتمعت بعزيزها وأفانديها محمد علي...بقصر شبرا خارج مصر، ومعي أنفار ثلاثة من قراء المغاربة".[1]

وإلى جانب ذلك، تطرقه إلى مصر وبعض مدنها، تناول في عجالة بلاد الشام والحجاز واليمن وبلدان شبه الجزيرة العربية، مركزا على الدور الحضاري الكبير لبعضها، كدمشق[2]، وحلب[3]، وبغداد[4]، والكوفة[5]. لينتقل إلى الحديث عن دول آسيا كالصين والهند، ودول أوربا كبلاد الألمان، واليونان وإيطاليا وفرنسا، منوها بمدنها الشهيرة كباريس والبندقية وروما، ويختم كلامه في هذا الباب بالحديث عن القسطنطنية ومعالمها التاريخية الكبرى.[6]

د- **الباب السادس**[7]: عرف فيه بأقاليم المغرب الأقصى ومدنه، مبتدئا بإقليم السوس الأقصى المشهور بإنتاج السكر، ثم إقليمي مراكش وسجلماسة[8]، وأهل درن ومكناس، ويختم بمدينة فاس التي أسهب في الحديث عن حرفها وخيراتها ومساجدها، ثم ترجم لأعلامها

(1) العربي المشرفي، الذخيرة، ص:27.

(2) **دمشق:** بسكر أوله، وفتح ثانيه. بلدة مشهورة في قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف، لحسن عمارة، ونضارة بقعة، وكثرة فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب. سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها، أي أسرعوا. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص: 463.

(3) **حلب**: بالتحريك، مدينة عظيمة، واسعة، كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة الأديم والماء. سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام، كان يحلب فيها غنمه في الجمعات، ويتصدق به، فيقول الفقراء: "حلب، حلب". ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص: 282.

(4) **بغداد**: أم الدنيا، وسيدة البلاد. اول من مصرها، وجعلها مدينة، المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ثاني خلفاء بني العباس، وكان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح، قرب الكوفة، وشرع في عمارتها سنة 145هـ، ونزل بها سنة 149هـ. ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص ص: 456 – 467.

(5) **الكوفة**: بالضم، المصر المشهور بأرض بابل، من سواد العراق. يسميها قوم خد العذراء، وسميت بذلك لاستدارتها، أخذا من قول العرب: "رأيت كوفانا، وكوفنا"، بضم الكاف وفتحها، وقيل سميت بذلك لاجتماع الناس بها. ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص ص: 490 – 494.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 72 – 73.

(7) مصطفى المشرفي، الحلل، ج1، ص: 134.

(8) **سجلماسة**: مدينة في جنوب المغرب، من طرف بلاد السودان، وهو منقطع جبل درن. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص: 192. الحميري، المصدر السابق، ص: 305. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 120.

وفقهائها، أمثال محمد الصنهاجي، وأحمد البلغيثي[1]، وعبد الواحد ابن المواز، وعبد الرحمن الشرفي، وعبد الواحد ابن سودة، والمأمون الكتاني[2] وغيرهم.[3]

ثم انتقل إلى الحديث عن مدن الإقليم الشمالي، كالعرائش[4] وسبتة[5] وتطوان، ومدينة وجدة، ليعود إلى الجنوب ويعرج على ذكر بلاد شنقيط[6]، وذرية الشيخ الكنتي[7]، وزاوية القنادسة، ويختم هذا الباب كاملا بالحديث عن مدينة فكيك[8]، والتعريف بعالمها ابن عبد

(1) **البلغيثي**: أحمد بن المأمون، خاتمة الأعلام المحظوظين، والأدباء المكثرين، المتقلب في عدة مناصب سامية كقاضء الدار البيضاء ومكناس. توفي يوم الثلاثاء 07 رجب سنة 1348هـ/ 1929م. من آثاره: إجابة اللهجة بشرح أبيات البهجة، وتشطير قصيدة ابن أبي حمزة، وتقريظ على رفع الحجاب لابن الخياط. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2988.

(2) **المأمون بن عمر الكتاني**: بن عمر بن الطاهر الحسني، عالم مشارك، من آثاره: تأليف فيمن أسلم من أهل فاس، الغمام الصيب في مناقب المولى الطيب الكتاني. توفي يوم عاشوراء عاشر محرم سنة 1310هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2791. ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص: 270.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 73.

(4) **العرائش**: مدينة بالمغرب على الأطلسي، جنوب غربي طنجة، فتحها المولى اسماعيل، ثم صارت مركزا للقرصنة. ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 302.

(5) **سبتة**: بفتح أوله، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر، تقابل البر والجزيرة. وهي مدينة حصينة، تشبه المهدية التي بإفريقية، على ما قيل، لأنها ضاربة في البحر داخلة. بينها وبين فاس عشرة أيام. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص ص: 172 – 173.

(6) **بلاد شنقيط**: في الأصل تطلق على مدينة من مدن أدرار، واقعة فوق جبل في جهة غرب الصحراء الكبرى، ثم سمي به القطر كله، فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه. ويحده هذا القطر شمالا الساقية الحمراء، وهي تابعة له جنوبا، وجنوبا قاع ابن مهيب، وهو تابع له أيضا، وشرق ولات والنعم، هما تابتان له أيضا، وغربا بلاد سنكال، أو سنغال، المعروفة عند أهل شنقيط بإندر، وهي خارجة عنه. ينظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة: مطبعة الخانجي، ط4، 1989م، ص: 422.

(7) **الكنتي:** هو المختار بن أحمد بن أبي بكر الملقب بالكبير، ولد بكثيب أوغال سنة 1729م. أخذ عن العديد من المشايخ أبرزهم علي بن النجيب، وترك العديد من التلاميذ أشهرهم ابنه محمد الخليفة. له مؤلفات كثيرة من جملتها الجرعة الصافية والنفحة الكافية، وزوال الإلباس في طرد الوسواس الخناس، والبرد الموشى في قطع المطامع والرشى، وبغية النبيل في بيان جمل التسهيل، وغيرها كثير. توفي بعد حياة حافلة سنة 1811م، ودفن بجانب بئر أبي الأنوار بأزواد. ينظر: محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط بخزانة الطالب رمضاني بالمنصور أقبلي في أولف، بدون رقم، و54ظ.

(8) **فجيج:** أو فكيك عبارة عن مجموعة من القصور (القرى)، تقع على بعد 375كم جنوبي وجدة، تسكنها فرقة من برابرة صنهاجة، وفرقة من عرب الهلالية ، بالإضافة إلى أسر إدريسية. ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط: مطبعة فضالة، سبتمبر1978م، ج2، ص: 511.

الجبار الفكيكي[1]، وينهي كتابه كاملا بخاتمة، استعرض فيها عددا من مؤلفاته، إلى تاريخ انتهائه منه.[2]

وعموما، فإن هذا المؤلف، اعتمد فيه صاحبه على السرد التاريخي، وغاب عنه التبويب،كما أنه يتميز على العموم، بأسلوب سلس، ولغة سليمة، عدا ما تخلله من ألفاظ دارجة وعامية، لكنها كانت نادرا ما تتكرر، إضافة إلى أسلوبه الذي يغلب عليه استعمال المحسنات البديعية كالسجع والجناس، وهي السمة الغالبة على مؤلفات هذه الفترة.

ويلاحظ كذلك، على المؤلف تمكنه من العلوم الشرعية، فقها وحديثا وتفسيرا، وبراعته في الأدب، وهو ما جعل كتابه هذا ثريا بالمعلومات والاستطرادات التاريخية المهمة.

2- **تاريخ الجزائر:**

- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار، وفي عتو[3] الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار:[4]

أورده المشرفي ضمن قائمة مؤلفاته التي ذكرها في "الذخيرة"[5]، وقد بناه على مقدمة، سبعة فصول، وخاتمة.[6]

وقد تناول في الفصل الأول منه، سبب ظهور الفرنسيين وغزوهم للجزائر، وسبب ظهور جنسهم.[7]

أما في الفصل الثاني، فقد تحدث عن السنة التي وقعت فيها الحملة، والمعارك الضارية التي

---

(1) **عبد الجبار الفجيجي**: بن أحمد البرزوزي (المتوفي حوالي سنة 920هـ/ 1514م)، عالم مشارك، متوسع في علوم القرآن والحديث، من طبقة الإمام ابن غازي. أسس الزاوية العلمية المعروفة باسمه، ووضع اللبنة الأولى لمكتبتها الحبسية بدار العدة المشهورة بفجيج، تلك التي زاد في عمارتها أبناؤه من بعده، حتى أصبحت في منتصف القرن العاشر، من أعظم مكتبات الجنوب. ينظر: حجي، الحركة الفكرية، ج2، ص: 511. محمد بوزيان، المرجع السابق، ص ص: 13 – 83.

(2) العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 54 – 58.

(3) **العتو**: الاستكبار وتجاوز الحد. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج6، ص: 81، مادة: عتا.

(4) ابن سودة، الدليل، ص: 320. المنوني، المصدر العربية، ج2، ص: 164. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 87. تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص ص: 361 - 363. بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص: 233.

(5) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:361.

(7) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 164.

دارت بين الأتراك والفرنسيين، إلى أن احتلوا مدينة الجزائر.[1]

وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب، خصص المشرفي حيزا هاما تحدث فيه عن احتلال مدينة وهران، والمرسى الكبير، خروج الناس منهما بسبب هذا الاحتلال.[2]

ثم انتقل في الفصل الرابع، وتكلم بشيء من التفصيل، عن نفور المسلمين من أهل غريس وبني عامر، ومن والاهم واتفاقهم على قتال العدو، وبنو على الثغر زمولهم[3].

كما أورد خبر وصول الأمير المغربي اسماعيل إلى تلمسان بعد طلب أهل الغرب البيعة من عبد الرحمن بن هشام، ومنوها بسلوكه.[4]

أما في الفصل الخامس، فقد عرج المشرفي على الحديث عن مبايعة الأمير عبد القادر على إمارة الجهاد، وذكْر عدد الوقائع التي جرت حول الجزائر ووهران، ومن مات فيها.[5]

وفي حديثه عن جهاد الأمير عبد القادر، نفى نفيا مطلقا أن يكون الأمير عبد القادر قد بويع على إمارة الجيش، التي هي في نظره، تختلف عن مبايعته لإمارة الجهاد.[6]

وأما في سادس الفصول، تعرض لأسباب استيلاء الفرنصيص، على الجزائر من حدود المغرب إلى حدود تونس، وسبب تشتيت العربان.[7]

وقد أنهى المشرفي حديثه في هذه الفصول بفصل سابع، وتطرق فيه لحكم من عاير أخاه بالتنصر في الدعوى، وقال له: اهجر معي إني مهاجر، وإن بقيت فأنت كافر.[8]

وفي الأخير أنهى كتابه، بخاتمة تحدث فيها عن الإمامة الكبرى وأحكامها.[9]

وعلى العموم، فإن طرس الأخبار، ومن خلال قراءته والتمعن في مواضيعه وما طرقه

(1) المنوني، المصادر العربية، ص: 164.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:361.

(3) المرجع نفسه، ص: 361.

(4) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 164.

(5) المرجع نفسه، ج2، ص: 164. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:362.

(6) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:362.

(7) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 164.

(8) المرجع نفسه، ص: 164.

(9) المرجع نفسه، ص: 164.

المشرفي فيه من أفكار ومعاني، يتضح أن مؤلفه كان من دعاة النفوذ الشريفي بالجزائر[1]، إلا أن هذا المؤلف يبقى يتميز بروح خاصة تجرنا إلى القول، وكأن مؤلفه وضعه ليدلي بدلوه في الحياة السياسية وقتها.[2]

وقد عبر المنوني عن امتعاضه من هذا المؤلف قائلا: "على أن قصد المؤلف – سامحه الله- هو مهاجمة الأمير، وذلك ما يشعر به المؤلف نفسه، حيث يقول في افتتاحية كتابه: وإن كنت نصبت نفسي هدفا للّوم، وغرضا به يرميني القوم، ولا ما بالكتاب من إشارات تهم تاريخ العلاقات بين الجارتين، لكان الأجدر نبذ الحديث عنه".[3]

أما عن نسخ المخطوط، فقد ذكر أبو القاسم سعد الله أنه توجد نسخة منه على الميكروفيلم بالمكتبة الوطنية الجزائرية[4]، إلا أنه تتوفر منه عدة نسخ أخرى بالخزائن المغربية، تتوزعها كل من الخزانة العامة، وتحمل رقم ك496، تقع في 133ورقة من الحجم الصغير، أصلية بخط مؤلفها، والخزانة الملكية التي تتوفر على نسختين، الأولى تحمل رقم 1476 من 60 ورقة، وأخرى برقم 6533، لكنها مبتورة الوسط.[5]

كما أشار أبو القاسم سعد الله في ذات السياق، أن محمد بن شنب شرع في تحقيقه، لكنه لم يكمله[6]، وقد تم تحقيقه كاملا بالمغرب، في إطار رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ.[7]

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص:363.
(2) المرجع نفسه، ج7، ص:363.
(3) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 164.
(4) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 187.
(5) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165.
(6) عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن شنب حياته وآثاره، م.و.ك، 1983، ص: 32.
(7) من إنجاز الباحث يوسف أخليص، كلية الآداب ابن مسيك، الدار البيضاء، السنة الدراسية 1999/ 2000.

3- تاريخ المغرب:

1.3- الرسالة في أهل البصبور الحثالة:[1]

وهذه المخطوطة عبارة عن رسالة صغيرة، ألّفها المشرفي في حدود سنة 1270هـ/ 1851 – 1852م، حيث عارض فيها الاحتماء بالكفار، وقضية الامتيازات الأجنبية.[2]

وقد شكلت رسالة المشرفي حول الحماية القنصلية[3]، مصدرا هاما لعدد من الدارسين لهذه الظاهرة في أوساط المجتمع المغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(19)[4]، حيث كاد أن يطغى على سواه من المواضيع.[5]

وفي هذا الصدد ذكر المنوني، أنه "خلال القرون الأخيرة، تصاعدت دول أوربا، إلى حاجات الاختراع، فغطّت بابتكارها كثيرا من الحاجيات البشرية، عسكرية وصناعية واجتماعية وسواها. وقد يخيل لجماعات من القارات الأخرى أن هذه الحضارة جاءت بخير للبشر أجمعين. حتى إذا كان القرن التاسع عشر(19)، أصبحت فروع منها شرا مستطيرا على الإسلام، بالاستعمار والحمايات القنصلية وشتى أنواع التدخلات".[6]

وقد بدأ هذا النظام بالمغرب خافتا باهتا، لا يلفت النظر، ولا يشكل أي خطر على الدولة. وحتى سنة 1844م، كانت الدول الأوربية تخشى المغرب وتنظر إليه كدولة قوية، لكن هزيمة إيسلي في هذه السنة جعلته يظهر على حقيقته كدولة متفككة.[7]

---

(1) توجد النسخة الوحيدة منه بمكتبة المنوني. ينظر: المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص: 327.

(2) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 186.

(3) **الحماية القنصلية**: وهي أن يمنح الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون المعتمدون في بلد ما، حماية دولهم لرعاياهم، فيصيرون وهم يحملون جنسيته ويقيمون باستمرار فوق أرضه، غير خاضعين لقوانينه ولا ملزمين بأداء ما يجب على سائر مواطنيهم من أداء الضرائب، والقيام بما يقومون به من خدمات وطنية. ينظر: عبد الوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، ط2، 1985م، ص: 05.

(4) ب.ح. روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، ترجمة ودراسة وتعليق يونان لبيب رزق، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط1، 1981، ص ص: 230 – 231. عبد المجيد قدوري، المغرب وأوربا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر مسألة التجاوز، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، ص ص: 330 – 336.

(5) العربي العربي معريش، المرجع السابق، ص: 198. عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر، ص ص: 362 - 363

(6) محمد المنوني: "**شذرات عن واقع العالم الإسلامي خلال القرن 19 أحداث ونتائج**"، أكادير: جامعة ابن زهر، كلية الآداب، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس الرابع عشر، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1419هـ/ 1998م، ص: 01.

(7) ابن منصور، مشكلة الحماية، ص: 29.

ويعتبر استتباب الأمور لفرنسا بالجزائر القطرة التي أفاضت الكأس في هذه المسألة، حيث أن مخططاتها الرامية إلى زرع البلبلة والفتنة داخل المغرب[1]، أثّر تأثيرا بالغا في تكريس هذا النظام بالمغرب، واتسعت آفاقه وتعددت مراميه أكثر من ذي قبل، بل وخرجت عن حدوده المعقولة، إن كان في حدودها ما يعقل.[2]

وقد عرفت الحماية بداية مرحلة مزدهرة غداة توقيع معاهدة 09 ديسمبر 1856م/ 1273هـ التجارية مع بريطانيا[3]، والتي حصلت بموجبها على امتيازات كبيرة في هذا الجانب[4]، كما كانت هذه المعاهدة، بمثابة انهزام دبلوماسي كبير للمغرب، وفُتح باب المنافسة على مصراعيه، خاصة بعد أن أصبحت كل من فرنسا وأسبانيا تبحثان عن امتيازات مماثلة، فكانت نتيجة هذا التنافس، خسارة فادحة للمغرب في حرب تطوان 1860م مع أسبانيا.[5]

وقد شكّلت المطالب والشكاوى المتكررة للمستفيدين من الحماية، سلاحا فعالا، استعملته البعثات القنصلية، واستغلته بشكل كبير للضغط على السلطة الحاكمة بالمغرب، من أجل تقديم مجموعة كبيرة من التنازلات[6]، جعلت المغرب رابحا وخاسرا في آن واحد، إلا أن كفّة الخسارة رجحت بكفّة الربح.[7]

ولم تكمن أضرار الحماية في هذا فحسب، ولكن تعدتها إلى أبعد من ذلك، وبدت واضحة للعيان، وأحس بخطورتها الفقهاء والباحثون والدارسون وتعددت مظاهر اليقظة، ومن أبرزها ما كان لعلماء المغرب من مواقف صريحة ضد أصحاب الحماية، حيث كان موقفهم

(1) مناصرية، المرجع السابق، ص: 49.

(2) ابن منصور، المرجع السابق، ص: 29. العربي معريش، ص ص: 31 – 37. روجرز، المرجع السابق، ص ص: 230 – 231. عبد المجيد قدوري، المرجع السابق، ص ص: 330 – 336.

(3) عن تفاصيل هذه المعاهدة ينظر: ابن منصور، المرجع السابق، ص ص: 13 – 15. وعن نصها العربي كاملا ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج3، ص: 290.

(4) ابن منصور، المرجع السابق، ص: 15. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج3، ص ص: 247 – 250.

(5) العربي معريش، المرجع السابق، ص: 39.

(5) وكان من نتائج هذا الضغط، توقيع معاهدة تسوية بين المغرب وفرنسا سنة 1863م، حصلت بموجبها فرنسا على امتيازات كبيرة به. ينظر: ابن منصور، المرجع السابق، ص ص: 17 – 29.

(6) المرجع نفسه، ص: 28.

إجماعيا، حملوا بموجبه راية المعارضة الإسلامية[1]، ومن أبرز هذه المضار، أن عرقلت تطور المغرب.[2]

ويعتبر الشيخ العربي المشرفي، من أبرز الفقهاء الذين أحسوا بخطر الحماية القنصلية[3]، ويتجلّى ذلك من خلال رسالته الموسومة "الرسالة في أهل البصبور الحثالة"، التي نحن بصدد مناقشتها وتحليلها.

ولقد اكتست رسالته هذه، أهمية تاريخية وفكرية كبيرة، باعتبارها من أولى الردود الفقهية الداعية إلى نبذ الحماية، حيث استهلها بقوله: "الحمد لله، وبعد: فقد توجه سؤال لأهل العلم حفظهم الله بحفظ أهل السنة، وحشرنا في زمرتهم آمين، عن حادثة في قرننا هذا، في حدود السبعين والمائتين والألف، وهي دخول المسلمين تحت كلمة الكفر – أعاذنا الله منه – ويعبرون عنها بالحماية، معتذرين بها عن تحصين مالهم من ثقل المغارم، مع أنهم يجعلون حظا وافرا لمن يحميهم بإذلال وطيب نفس. فهل يكون المحتمي بالحماية على هذه الحالة، مسلما عاصيا، أو خرج عن دينه بالكلية؟ وللإمام أن يحكم فيه باجتهاده".[4]

وقد حكم المشرفي على الداخل تحت راية الحماية، بالفسق وضعف الإيمان، وانتهى في الأخير إلى أنه مرتد كافر، حيث يقول: "...فاجر مفَسق، ضعيف الإيمان، غوغاء لا يدين لله بدين، كاد أن يكون مجوسيا...فأفعال هذا الراكن تدل على ردته...وفعله المتضمن لردته هو استنصاره بالنصارى"[5]، وأن "من استمسك بعجم الكوافر، وخرج عن الجماعة، فقد تهاون بالدين، ولم تبق للمحتمي إلا منازعة الحق جلّ جلاله، وأما منازعة سلطانه فقد نازعه في

(1) المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص: 326.

(2) ابن منصور، المرجع السابق، ص: 47.

(3) وكان من بين الصيحات المتعالية في هذا الصدد، لا في المغرب فحسب، وإنما في كل العالم الإسلامي، صيحة جمال الدين الأفغاني الذي يقول في هذا الصدد: "كل هذه الرزايا التي حطّت بأقطارنا، ووضعت من أقدارنا، ما كان من قاذفنا ببلائها، ورامينا بسهامها، إلا افتراقنا وتدابرنا، والتقاطع الذي نهانا الله عنه ونبيه عنه". ينظر: المنوني، شذرات عن واقع العالم الإسلامي، ص: 01.

(4) المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص: 327.

(5) العماري، مشكلة عن الحدود الشرقية بين الجزائر والمغرب، ص: 553. نقلا عن العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 75.

حكمه، وخرج عن طاعته وصار عينا للكفار، وجاسوسا لهم يخبرهم بضعف المسلمين وجور حكامهم".[1]

وأما إن كان المحمي "قد ولاّه الكفار الحكم على المحميين"، فهو "زنديق، يحكم بقتله، ودمه مباح"، يقول المشرفي.[2]

وبعد أن أصدر المشرفي حكمه على المحتمي، نجده يدعو إلى مقاطعة وهجر كل من دخل تحت نظام الحماية بقوله: "وأن مذهب أهل السنة، لا يكفّر الفاسق، ولكن بفعله يعتبر مرتدا...وردته واستنصاره بالنصارى خروج عن الجماعة، وخروج عن طاعة السلطان...وصار جاسوسا للكفار...فواجب على كل مؤمن أن لا يجالس أهل الحماية، ولا يصادقهم ولا يعاشرهم...".[3]

وتجدر الإشارة إلى أن هناك مجموعة من الفقهاء، أيدت المشرفي في ما ذهب إليه، أمثال: أبو محمد المأمون بن عمر الكتاني الحسن الفاسي المتوفي عام 1310هـ/ 1892م، الذي أعلن التنكير على المحتمين.[4]

وفي نفس السياق، نجد أبو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري[5] المتوفي عام 1314هـ/ 1896م، يؤلّف عجالة وسمها بـ: "إيقاظ السكارى المحتمين بالنصارى" أو "الويل والثبور لمن احتمى بالبصبور".[6]

ورغم الصيحات المتعالية لعدد من الفقهاء، إلا نداءاتهم لم تلق الآذان الصاغية، وهو ما جعل صاحب "الاستقصا" يقر بحالة اليأس الكبيرة التي خلّفتها مشكلة الحماية، حيث جاء على

(1) عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر، ص: 327.

(2) المرجع نفسه، ص: 364.

(3) المرجع نفسه، ص: 363.

(4) المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص ص: 326 – 327.

(5) **أبو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري:** بن الشيخ عبد الرحمن المدعو بالمجدوب الفاسي الفهري، ولد عام 1228هـ. كان علاّمة مشاركا، مطّلعا خطيبا، باحثا، كثير الإفادة والتقييد، من آثاره: إيقاظ السكارى المحتمين بالنصارى أو الويل والتبور لمن احتمى بالبصبور، وله رسالة في روضة الشيخ أبي المحاسن، وكناشة في مجلد ضخم فيها فوائد مهمة. توفي زوال يوم الجمعة 12 جمادى الأولى سنة 1314هـ، ودفن بروضة القباب. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2808.

(6) المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ص: 327.

لسانه في هذا الصدد ما يلي: "واعلم أيضا أن أمر هؤلاء الفرنج في هذه السنين، قد علا علوا منكرا، وظهر ظهورا لا كفاء له، وأسرعت أحواله في التقدم والزيادة إسراعا متضاعفا كتضاعف حبات القمح، في بيوت الشطرنج، حتى كاد يستحيل إلى فساد، وعِلْم ذلك وغايته إلى الله تعالى المنفرد بالغيب".[1]

2.3- مشموم[2] عرار[3] النجد[4] والغيطان[5] المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان:[6]

ألّفه المشرفي باقتراح من باشا فاس عبد الله بن احمد، بعد الثورة التي نشبت ضده من طرف سكان زرهون[7]، حيث كلّف المشرفي بشرح الرسالة السلطانية إليهم[8]، وانتهى من تأليفه حوالي سنة 1292هـ/ 1875م.

وتتوفر من هذا المخطوط نسخة أصلية بخط المؤلّف، موجودة بالخزانة العامة الملكية بالرباط وتحمل رقم: 12082، تقع في حجم وسط[9] من 144 ورقة (21/ 17)، كتبت بخط بديع وملون[10]. وأشار أبو القاسم سعد الله إلى وجود نسخة أخرى بالمكتبة الزيدانية تحمل رقم: 2848.[11]

وقد أنزل المشرفي مؤلفه هذا، في ثلاثة محاور أو فصول رئيسية[12].

(1) الناصري، المصدر السابق، ج9، ص: 208.

(2) **مشموم**: من الشم، وهي حاسة الشم، ويطلق المشموم على المسك. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص: 196.

(3) **عرار**: يقال: عر الظليم، يعر عرارا، إذا صوت. ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص: 166.

(4) **النجد**: الطريق المرتفع الواضح، هو ما خالف الغور. ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص: 458.

(5) **الغيطان**: كل ما انحدر من الأرض. ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص: 698.

(6) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(7) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165.

(8) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 76.

(9) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165.

(10) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 76.

(11) بشير ضيف أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للملعوم والمجهول، ج3، مراجعة وتقديم عثمان بدري، الجزائر، ط1، 2002، ص: 152.

(12) المنوني، المصادر العربية، ج2، 165.

المحور الأول: في ذكر السلطان الحسن الأول، وقد تخلله إيراد لبعض الاستطرادات التاريخية المتنوعة، خاصة تلك الأحداث التي لها صلة بوصول وفد تلمسان إلى فاس لبيعة عبد الرحمن بن هشام، بعد احتلال فرنسا للجزائر[1]، وكذا شرح رسالة الحسن الأول للأشراف العلويين والأدارسة بزرهون.[2]

كما تناول فيه بعض أخبار البعثة المغربية إلى تلمسان، وما أحدثته بها فرق الأودايا من فوضى قبل الانسحاب وتنصيب الأمير عليها.[3]

المحور الثاني: في الحديث عن باشا فاس عبد الله بن أحمد[4]، وتفاصيل عقد بيعة السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام، وأسماء الأعيان التي عقدوها في فاس ومراكش. كما تناول الأحداث بالتفصيل إلى غاية حرب تطوان.

وفي كلامه عن الحسن الأول، عرف ببعض رجالات المخزن الحسني، ومدح بعضهم بقصائد شعرية، منها تلك التي مدح بها ابن المواز، وأحمد بن الحاج، والتهامي المزواري[5]، وغيلان الوزاني.[6]

وفي نفس السياق، نجده يشِيد بمدينة فاس ويعدد محاسنها، ويذكر بعض أسرها كأسرة ابن الغرديس التي أثنى على بعض علمائها وأدبائها مثل عبد العزيز الغرديسي[7] الذي كان معاصرا له. كما تطرق إلى حركات الحسن الأول إلى الأطلس المتوسط لإخماد فتن قبائل زيان

(1) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص: 165.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 77.

(4) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165.

(5) **التهامي المزواري:** محمد بن التهامي المكناسي. كان أديبا لغويا، له شعر متوسط الجودة، وهو من الشعراء الذين خمّسوا بيتي أبي نواس: إذا العشرون من شعبان ولّت. توفي في محرم سنة 1310هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2791.

(6) **عبد الله بن أحمد**: هو عبد الله بن أحمد بن المبارك السوسي، المولود عام 1226هـ. كان علامة مشاركا، مطّلعا، يجالس العلماء ويذاكرهم. تولى قيادة فاس مدة، واحدث بعض الأمور، منها: البناء على المقابر وغير ذلك. توفي سنة 1303هـ/ 1886م. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2765. مصطفى الشابي، المرجع السابق، ص: 207.

(7) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165.

وبني مكليد[1] وآيت شخمان[2]، واصفا الاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة عودته من هذه الحركات، وكذا المجالس العلمية والدينية في حضرته.[3]

وإلى جانب ذلك، أشار إلى حرب 1870م بين فرنسا وألمانيا[4]، حيث أثبتها بقصيدة مصرية للشاعر المصري اسطمبولي حول وقائعها[5]، وانهزام القوات الفرنسية، وفي المقابل نوه بقوة الجيش الألماني.[6]

3.3- تاريخ الدولة العلوية:

ذكره ابن سودة ضمن جملة مؤلفات المشرفي، وعده من نوادر المكتبة الفاسية، إلا أنه أحال إلى "ذخيرة الأواخر"[7]، وهو ما يجعلنا نميل إلى القول إنه الباب السادس من مخطوط "الذخيرة". لكن السؤال المطروح، هل يمكن أن يكون المشرفي قد أدمج كتابه هذا، ضمن كتابه "مشموم عرار النجد" السالف الذكر، الذي أرخ فيه لسلاطين الأسرة العلوية.[8]

4.3- الآيات والحوادث:

لم يرد ذكره إلا مرة واحدة في "الذخيرة"، وقد عده المشرفي من تآليفه الصغيرة، إذ يقول: "ولي تآليف صغيرة بعدها كالآيات والحوادث".[9]

4- الأنساب والمناقب:

1.4- ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، أواليواقيت

(1) بني **مكليد**: إحدى قبائل البربر الكبار بالمغرب الأقصى، يرجعون إلى آيت ومالو، الذين هم بطن من بطون صنهاجة. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 167.

(2) **آيت شخمان**: قبيلة بالأطلس المتوسط في المغرب الأقصى، من زعمائها علي بن مكي، وهو من قبيلة آل مهاوش، ثار ضد السلطان الحسن الأول. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 167.

(3) العربي المشرفي: أقوال المطاعين، ص: 77.

(4) عن هذه الحرب ينظر: روبير شنيرب، المرجع السابق، ج6، ص ص: 125- 130.

(5) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 77.

(7) ابن سودة، الدليل، ص: 92.

(8) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 78.

(9) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة:[1]

ترجم فيه المشرفي للشيخ محمد بن علي المجاحي، وتكلم عن نسب الأدارسة بالمغرب وبسط القول فيه، وضمنه أخبارا هامة عن الجزائر والمغرب[2]، وقد افتتحه بقوله: "الحمد لله الذي باسمه تدون المدونات، وبقدرته تكون المكنونات...".[3]

واشتمل المؤلّف على مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة[4] "وقسمته على أقسام أربعة، بزيادة مقدمة وخاتمة".[5]

القسم الأول: في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين.[6]

القسم الثاني: في التعريف بريحانة الرسول صلى الله عليه وسلم، الحسن بن علي رضي الله عنهما[7]، وتحدث عن انتقال نسلهما إلى المغرب، بعد موقعة فخ زمن العباسيين.

القسم الثالث: في التعريف بذرية الريحانتين، الحسن والحسين رضي الله عنهما.[8]

القسم الرابع: في التعريف بالقطب الواضح، سيدي محمد بن علي المجاجي، وفي الحكايات الدالة على تعظيم أهل البيت، والأحاديث الدالة على محبتهم.[9]

وفي معرض كلامه في هذا القسم، خصص المشرفي حيزا هاما، تكلم فيه عن أسرة المشارف، وثلة من علمائها، وبعض بيوتاتها، وأشار عرضا إلى المدة التي قضاها في مدينة وهران، أيام طلبه للعلم بها.[10]

---

(1) ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805. الدليل، ص: 80. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

(2) ابن سودة، الدليل، ص: 80. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 190. تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 440. "**مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر**"، الثقافة، عدد 75، سنة 13، 1983، تصدر عن وزارة الثقافة، ص ص: 85 – 86. محمد المنوني: "**المصادر التاريخية للمغرب الشرقي في القرن التاسع عشر**"، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر الوسط الطبيعي التاريخ والثقافة، وجدة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، ص: 367.

(3) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 03.

(4) ابن سودة، الدليل، ص: 80.

(5) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص: 03.

(6) المصدر نفسه، ص ص: 04-12.

(7)المصدر نفسه، ص ص: 12-13.

(8) المصدر نفسه، ص ص: 13-28.

(9) المصدر نفسه، ص ص: 19-27.

(10) المصدر نفسه، ص ص: 28-38.

كما تطرق في هذا القسم كذلك، إلى مقاومة الأمير عبد القادر، وأورد كلاما لطيفا حول تولّيه إمرة الجهاد، وقضائه على التمردات التي ظهرت، التي ظهرت على عهده، خاصة منها تلك التي قادها أهل الزمالة والدوائر، وتمرد الحاج العربي وما آليه أمره في الأخير".[1]

ومن بين فوائده التاريخية، احتواؤه على تراجم مستفيضة لشرفاء وعلماء الجزائر وفاس، مع حيز هام خاص بالمشرفيين أجداد المؤلف، وأشهر بيوتهم وأقطابهم، خاصة منهم الشيخ عبد القادر المشرفي وحفيده محمد بن عبد الله سقاط.

ويقع هذا الكتاب في مجلد وسط، توجد النسخة الأصلية منه بالخزانة العامة بالرباط (المملكة المغربية) وتحمل رقم: 1534[2]، انتهى من تأليفه سنة 1300هـ.[3]

كما توجد منه نسخ أخرى، تتوزعها مخطوطات خزانة علال الفاسي[4]، والخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم: 207 ك، من ص: 403 إلى ص: 466.

كما توجد منه نسخة أخرى بالمكتبة الوطنية الجزائرية الحامة.[5]

2.4- تاريخ علماء فاس:

ذكر صاحب "الإعلام" أنه يقع في سفرين[6]، ولعلّه هو الذي أشار إليه المشرفي بالعنوان التالي: "لواء الفكر في فضلاء العصر"، دون أي توضيح عن سبب التأليف وتاريخه ولا مضمونه.[7]

ويبقى من المرجح أن يكون من المؤلفات الصغيرة التي أدمجها المشرفي ضمن الباب الرابع من كتابه "نزهة الأبصار"[8] على حد تعبير المنوني الخبير بالمخطوطات المغربية.[9]

---

(1) العربي المشرفي، ياقوتة النسب، ص ص: 31- 32.

(2) ابن سودة، الدليل، ص: 08. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، ج2، ص ص: 190-191.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، ج2، ص: 191. حبار محمد: "**أبو حامد المشرفي ومخطوطه ياقوتة النسب الوهاجة**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس، ع1، 2002، ص: 44.

(4) عبد الرحمن الحريشي، المرجع السابق، ج1، ص: 102.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج1، ص: 191.

(6) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27.

(7) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 20.

(8) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 68.

(9) محمد المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، مج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999، ص: 768.

وقد استعرض فيه المشرفي تراجم مستفيضة ومتنوعة، لعلماء فاس ومراكش والرباط وسلا[1] ووزان وبني حسين[2] ومكناس.[3]

3.4- إثمد[4] الجفون في من بعهد الله يوفون:

وقد ألّفه صاحبه لغرض مدح وزير الحربية ووالي فاس، السيد عبد الله بن أحمد المتوفي عام 1877م، وذكّر فيه بخصاله وكذا اهتمامه برجالات العلم.[5]

وقد أشار المشرفي إلى هذا الكتاب في ثلاثة مواضع فقط، الأول عند ذكره للائحة مؤلفاته في نهاية كتاب "الذخيرة"[6]، والثاني عند شرحه للشمقمقية[7]، والثالث في كتاب"مشموم عرار النجد"[8]، وقد عده من بين أهم كتبه.[9]

د- وفي نفس الغرض – الأنساب والمناقب - ألّف المشرفي كذلك كتاب "الدرة الوهاجة في نسب صنهاجة"، لكن هذا المؤلف لم يرد ذكره سوى عند صاحب "الأعلام".[10]

5 ـ - الرحلات:

1.5- الرحلة العريضة في أداء الفريضة:[11]

وهو من المؤلفات الهامة في أدب الرحلة الحجازية كما يظهر من عنوانه، ولا نعرف في أي رحلة ألّفه المشرفي، هل في الرحلة الأولى إلى الحج سنة 1849م، أم في الثانية سنة 1877م.

---

(1) **سلا**: مدينة بأقصى المغرب، وهي مدينة متوسطة في الصغر والكبر، موضوعة على زاوية من الأرض، قد حذاها البحر والنهر، ومنها إلى مراكش عشر مراحل، وهي من مراكش غربية جنوبية. ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص: 231.

(2) **بنو حسين**: أو بنو حسان، قبيلة من قبائل الريف، تقع بين مدينة تطوان، ومدينة شفشاون، وتعرف اليوم بسوق أربعاء بني حسان. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 298.

(3) المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، ص: 768.

(4) **إثمد:** حجر يتخذ منه الكُحل. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص: 698.

(5) العربي المشرفي: أقوال المطاعين، ص: 69.

(6) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(7) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 69.

(8) المصدر نفسه، ص: 69.

(9) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 179.

(10) الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

(11) نويهض، المرجع السابق، ص: 304. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 466.

وقد ذكر صاحب "دليل مؤرخ المغرب الأقصى"، أنها تقع في مجلد، وأن طرفا منها موجود بخزانته الأحمدية.[1] كما أشار أبو القاسم سعد الله، أن الشيخ عبد الحي الكتاني أخبر أنها في مجلد، وأنها دون الرحلة الجزائرية[2]، ولم يذكر ما إن كانت تفوقها أهمية أو حجما أم لا؟، معتمدا –سعد الله- في ذلك على ما كتبه الكتاني في مجلة العرب السعودية الصادرة في شهر ماي 1972م في الصفحة 749.[3]

وقد ورد اسم هذه الرحلة كذلك عند ابن زيدان في "معجم طبقات المؤلفين"[4]، وابن سودة في "إتحاف المطالع"[5]، وصاحبي "الإعلام"[6] و"الأعلام"[7]. كما ذكر صاحب "فهرسة معلمة التراث الجزائري"، أن نسخة منها توجد بزاوية الهامل، وأن بحوزته نسخة مصورة عنها.[8]

2.5- نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، تنفي عن المتكاسل الوسن[9] في مناقب سيدي احمد بن محمد وولده الحسن:[10]

وهي المسماة كذلك بالرحلة السوسية[1]، ويشير عنوان الكتاب إلى أنه موضوع في مناقب أبي علي الحسن ووالده أحمد بن محمد السوسي الأيسي المعروف بالتمكدشتي، حيث

(1) ابن سودة، الدليل، ص: 241.

(2) أغلب الظن أن الرحلة الجزائرية هي القسم الخامس الخاص بالجزائر من كتاب "الذخيرة". ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ج7، ص ص: 465 – 466.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 185.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 78.

(5) ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

(6) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27.

(7) الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

(8) بشير ضيف، المرجع السابق، ج3، ص: 77.

(9) **الوسن**: النعاس. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص: 307، مادة: وسن.

(10) ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805. الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 224. بشير ضيف، المرجع السابق، ج3، ص: 53. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 466. ويعمل حاليا على تحقيقه ودراسته الباحث حسن أنشاد في إطار دكتوراه التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. ينظر: عمر أفا، دليل الأطروحات الجامعية بكليات الآداب بالمغرب، ج5(1998 - 2003)، الدار البيضاء: مطبعة دار النجاح الجديدة، ط1، 2006، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص: 292.(342ص).

أشار إلى سبب تأليفه لهذه الرحلة بقوله: "...وأما الكتاب، فهو مؤلّف في كرامات ولي الله أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التمكدشتي الميموني، وفي مناقب ولده أبي علي الحسن، أدركنا الله برضاهما".[2]

وقد دون المشرفي في هذا الكتاب، أحداث رحلته إلى سوس، والتي كان قد انطلق إليها من مراكش، مع جملة من الفقهاء الذين رافقوا السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام سنة 1289هـ/1873م[3]، وانتهى من تأليفه يوم الأربعاء 18 رجب 1290هـ/11 سبتمبر 1873م.[4]

وتوجد من هذا المخطوط ثلاثة نسخ، تتوزعها كل من: الخزانة الحسنية بالرباط، وتحمل رقم 5616 من 348 ورقة مكتوبة بخط مغربي ملون، والخزانة العامة بالرباط تحت رقم 579 من 612 صفحة يتخللها بتر كبير في المقدمة والخاتمة[5]، وخزانة زاوية تيمكدشت[6] عند حفدة المؤلف.[7] كما أشار أحد الباحثين إلى وجود نسخة أخرى بالزاوية النحلية بقبيلة مزوضة بأحواز مراكش.[8]

وقد أنزل المشرفي رحلته هذه، في مقدمة وسبعة أبواب[9]، وابتدأها بقوله: "حمدا لله تعالى في الحركة والسكون...".[10]

الباب الأول: أورد فيه معلومات موسعة ومستفيضة عن السلطان المغربي محمد الرابع بن عبد الرحمن.[1]

---

(1) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27. سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 189.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 79.

(3) المصدر نفسه، ص: 79.

(4) المصدر نفسه، ص: 79.

(5) سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 189. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 102. ضيف، المرجع السابق، ج3، ص: 53.

(6) **تيمكدشت**: إحدى القرى البسيطة الواقعة في تراب قبيلة إيسي، المنضوية تحت لواء إتحادية إكزولن جزلة السوسية جنوبي تافراوت على حوالي خمسين (50) كلم. ينظر: أحمد عمالك، المرجع السابق، ص: 610.

(7) ابن سودة، الدليل، ص: 241. سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 189.

(8) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 79.

(9) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 101. أبحاث وآراء، ج2، ص: 190.

(10) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 102.

الباب الثاني: في ترجمة بي علي بن الحسن التكمدشتي ووالده أحمد، وذكر مناقبهما وتلامذتهما[2]، وقد قسم المشرفي هذا الباب إلى تسعة فصول، تناول في السادس منها لائحة مطولة لمن تتلمذ على هذين الشيخين، وتعريفات مقتضبة لكل واحد منهم.[3]

الباب الثالث: تعرض فيه للقطر السوسي والزوايا الموجودة به، ومآثر الدين.[4]

الباب الرابع: وترجم فيه لعدد كبير جدا من أعلام سوس وفاس ونواحيه، ومراكش والرباط وسلا، ووزان الغرب وبني حسن، ومكناس وتازة[5] ووجدة. وقد جاءت بعض هذه التراجم مستفيضة والبعض الآخر مقتضبا.[6]

الباب الخامس: وتعرض فيه لأحداث المغرب الداخلية والخارجية خلال القرن الثالث عشر(13)، كاحتلال الجزائر، وحرب تطوان.[7]

الباب السادس: أشار فيه إلى الاختراعات الأوروبية التي شاع استعمالها بين الناس.[8]

الباب السابع: في مدة الدنيا وأشراط الساعة.[9]

وعلى العموم، فإن كتاب "نزهة الأبصار" من جملة ما تميز به، هو تلك التراجم الغزيرة التي وردت في ثناياه لأعلام المغرب خلال القرن الثالث عشر (13)[10]، وكذا المعلومات المستفيضة عن فترة حكم محمد بن عبد الرحمن بن هشام (1859- 1873م)، إضافة إلى ما جاء

---

(1) المرجع نفسه، ص: 102

(2) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 102.

(3) المرجع نفسه، ص: 102.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 79.

(5) **نازة**: من بلاد المغرب، تقع بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب في الطول. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 128. الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 34.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 80.

(7) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 102.

(8) المرجع نفسه، ص: 102.

(9) المرجع نفسه، ص: 102.

(10) وقد نقل المنوني حوالي ثلاث عشرة (13) ترجمة من هذا الكتاب، وأوردها ضمن المصادر التاريخية للمغرب الشرقي. ينظر: المنوني، المصادر التاريخية للمغرب الشرقي، ص ص: 405 – 408، الملحق رقم: 07.

في الباب السادس من إشارات تاريخية تصب في معظمها حول أرائه في في الاختراعات التقنية الأوربية كالسفن البخارية والطباعة.[1]

كما تناول الكتاب بعض القضايا الاجتماعية التي شغلت بال النخبة العالمة وقتها، مثل عادة تناول الشاي والتبغ، حيث أباح المشرفي الأولى وكره الثانية.[2]

3.5- رحلة إلى نواحي فاس:[3]

وهي عبارة عن أرجوزة من مائة وثمانية وستين (168) بيتا، تقع ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، من الصفحة: 313 إلى الصفحة: 323، وتحمل رقم 1264 ك.[4]

وقد استهل المشرفي هذه الرحلة بقوله: "الحمد لله الذي جعل قلب المؤمن كناشا"، وأشار للدافع إلى تأليفها بقوله: "فالغرض بهذا المجلد، ذكر القصائد التي تقادم عهدها وهي منسوبة لنا، ففيه تتجدد، ويبقى إن شاء الله ذكرنا بها نخلد".[5]

وقد نظم المشرفي في الطرس أخبار رحلته إلى قبائل اشراكه وأولاد جامع وسلاس والجاية وأولاد عيسى وسفيان وبني مالك[6]، وأورد أخبارا تدل في عمومها على سوء ضيافته من طرفها، مما اضطره إلى هجوها وهجو من ساهم البلديين من الأسر الفاسية. بينما نجده في المقابل من ذلك، يشيد بكرم البعض الآخر منها.[7]

4.5- تمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والثغور:[8]

وقد دون فيه المشرفي مسار الرحلة الحسنية إلى شمال المغرب عام 1306هـ/ 1889م، لذلك ورد هذا المؤلف بعدة عناوين تدل على محتواه، مثل الرحلة الحسنية شمال المغرب، رحلة

(1) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 102.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 80.

(3) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 466.

(4) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 124.

(5) العربي المشرفي، رحلة إلى نواحي فاس، ص: 313.

(6) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 124.

(7) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 81.

(8) جاء هذا العنوان في الصفحة: 62أ من المخطوط. وقد ذكره المنوني تحت عنوان: "رحلة إلى شمال المغرب". ينظر: المنوني: "**نماذج من المصادر الرئيسية لتاريخ الدولة العلوية**"، دعوة الحق، السنة 31، ع01، 1990. عن موقع:
www.habous.gov.ma. Le 30.01.2006، a 14h20 jusqu'a 14h30.

القبائل الجبلية[1]. ورغم خلوه من تاريخ التأليف إلا أنه من المرجح أن يكون آخر ما ألّف المشرفي.

وتوجد من هذا المخطوط نسختان[2]، الأولى بالخزانة الحسنية وهي نسخة كاملة بخط مؤلّفها، تتكون من 62 ورقة ذات حجم صغير تحمل رقم 2420، ومنها نسخة مصورة على الميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 1347.

وقد وصف المشرفي في هذه الرحلة بعد التحاقه بالمحلّة السلطانية في ذي القعدة 1306هـ، واستقباله من طرف الحاجب أحمد بن موسى[3] الذي أكرم وفادته[4]، تحركات الحسن الأول، لقبائل الحياينة[5] وصنهاجة[6] ثم بني زروال وبني مسارة[7]، وصولا إلى مدينة شفشاون[8]، منها إلى جبل العلم.

---

(1) ابن سودة، الدليل، ص: 275. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص: 466.

(2) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 122. سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 185.

(3) **أحمد بن موسى**: هو أحماد بن موسى ابن أحماد السوسي، الوزير الخبير، والصدر الكبير، السياسي المطّلع، القابض على زمام الإمارة منذ وفاة السلطان الحسن. ولد عام 1257هـ، وتوفي سنة 1318هـ/ 1899م. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2822. مصطفى الشابي، المرجع السابق، ص: 31 وص: 39.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 81.

(5) **الحياينة:** قبيلة عربية استقرت منذ العصر السعدي، في شمال شرق فاس، بين نهر سبو وورغة بإقليم تاونات. وتتكون من فروع ثلاث،: أولاد عمران، أولاد رباب، أولاد عليان. وقد اشتهرت هذه القبيلة، بمساهمتها في الاضطرابات، وأعمال العنف، والسلب والنهب وسفك الدماء، إلى التاريخ المعاصر. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 320.

(6) **صنهاجة**: بدو بعيدون عن العمران، يعيشون على لحوم الأنعام وألبانها، وأرضهم محددة ما بين بلاد البربر وبلاد السودان، بعدما نزلوا من ريف الحبشة. كما أن تاريخ سكنهم الصحراء يعود إلى قبل الفتح الإسلامي، حين كان أول مسيرهم من اليمن ثم الشام، ثم مصر، ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 201. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987، ص: 327. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط: دار المنصور للطباعة، 1972، ص: 120. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ط2، 1996، ص: 44.

(7) **بنو مسارة**: قبيلة تقع في شمال غرب المغرب، وأهم مراكزها ومدنها مدينة وزان. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 185. *A. le Chatelier,Op. Cite , pp : 94- 96.*

(8) **شفشاون:** مدينة بشمال المغرب، وهي بلد صغير في الشمال الغربي لمراكش، على مسيرة 35 ميلا جنوبي تطوان. يقوم عند سفح جبل "سيدي بوحاجة"، وهو طفف من كتلة "بوهاشم" الجبلية على رافد من روافد "وادي لو". ". ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص ص: 331 – 332. عبد القادر العافية: "**لمحات تاريخية عن مدينة شفشاون**"، دعوة الحق، ع5، جويلية 1977، ص: 115.

وفي هذا الجبل، زار به ضريح عبد السلام بن مشيش[1]. ثم توجه بعد ذلك إلى تطوان وطنجة وأصيلا[2] والعرائش[3]، ثم إلى زرهون التي توقف بها لزيارة ضريح مولاي إدريس الأكبر، ليقفل راجعا إلى فاس ويختم رحلته بخاتمة مناسبة.[4]

وقد ألّف المشرفي في السيرة كذلك، حيث جاء في "الذخيرة" ما نصه: "ولنا تقاييد على شمائل المصطفى، إلا أنها لم تكمل بعد"[5]، بيد أن هذا المؤلف لم يعلم مصيره لحد الساعة – حسب علمنا- ويبقى إلى اليوم في حكم المفقود، ولا وجود له في فهارس المكتبات والخزائن.

وهكذا يتضح مما سبق، أن المشرفي كان من المكثرين في الكتابة التاريخية بمختلف فروعها كما ونوعا.

المبحث الثاني: آثاره في الردود والأدب، والفقه والطب

عرف عن المشرفي تآليفه الكثيرة في باب السجالات والاعتراضات، حيث كان انتماؤه الطرقي الدرقاوي وعقيدته الأشعرية ومذهبه المالكي المنطلق المحدد لجلّ كتاباته. وقد جاءت هذه الكتابات مع ما ورد فيها من هجاء لاذع خرج به عن الحد الشرعي في كثير من الأحيان، ثرية جدا بتراجم مستفيضة لأعلام وفقهاء عصره خاصة المغاربة منهم، وبدرجة أقل الجزائريون.

(1) **عبد السلام بن مشيش**: بن أبي بكر الإدريسي الحسني، أبو محمد المتوفي سنة 622هـ/ 1225م، قطب صوفي مشهور، ولد في جبل العلم بالقرب من مدينة تطوان، وقتل فيه على يد جماعة حرضهم عليه رجل يدعى ابن أبي الطواجين. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 09. التليدي، المرجع السابق، ص ص: 90 – 106.كحالة، المرجع السابق، ج2، ص: 151.

(2) **أصيلا:** مدينة تقع على الساحل الأطلسي بين طنجة والعراش. ويعتقد البعض أن تأسيسها يعود إلى العهد الفنيقي، والبعض الآخر يرجع تاسيسها إلى العهد الروماني. وكقد كانت لها أهمية كبيرة خلال العصور الإسلامية، حيث اهتم الأدارسة ببناء مرافقها، وجعلوها مركزا لدولتهم، وظلت على ذلك، وهو ما جعلها محط انظار الأطماع البرتغالية الذين احتلوا سنة 876هـ/ 1471م، لتحرر سنة 997هـ/ 1589م. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 311.

(3) **العرائش:** مدينة في شمال الغربي للمغرب، تقع على مصب نهر اللوكس بالمحيط الأطلسي. تأسست عام 657هـ/ 1258م، وشهدت أحداثا متفاوتة في الأهمية. ونظرا لموقعها الاستراتيجي، فقد احتلها البرتغال عام 910هـ/ 1504م، وأُخرجوا منها على يد أحمد المنصور الذهبي سنة 986هـ/ 1578م، ثم استولى عليها الإسبان بمساعدة محمد الشيخ المأمون سنة 1019هـ/ 1610م، وظلت تحت نفوذهم إلى أسترجعها المولى اسماعيل نة 1101هـ/ 1690م. ينظر: الوزان، المصدر السابق، ص ص: 233 – 234.

(4) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 122.

(5) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

وإلى جانب ذلك، فقد خلّف المشرفي تراثا أدبيا وشعريا كبيرا، أظهر فيه ملكته الشعرية الزاخرة، وعارضته الأدبية القوية، ولم يمنعه اشتغاله بما سبق أن يدلي بدلوه في التآليف الطبية، فجاء كتابه "أقوال المطاعين" مصدرا هاما في هذا الباب، لما ورد فيه من إشارات تاريخية عن الأمراض والأوبئة المنتشرة وقتها، والتي تعطينا في عمومها صورة عن الحياة الاجتماعية والمستوى المعيشي.

1- الردود والاعتراضات:

1.1- الرد على أبي راس:

وقد رد به المشرفي على أبي راس الناصر، الذي نفى عن المشارفة نسبتهم للجناب النبوي، في مؤلّفه الموسوم بـ: مروج الذهب في نبذة من النسب، ومن انتمى إلى الشرف وذهب.[1]

ومن خلال تصفح هذه المخطوطة وقراءة مواضيعها، يتضح جليا أن المشرفي أفرد حيزا هاما للتعريف بأسرة المشارفة وعلمائها، والرد على من طعن في صحة نسبتهم للجناب النبوي مثل الشيخ أبو راس الناصري.

وقد افتتحه بقوله: "يقول أفقر العباد إلى مولاه العلي، أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسني، كان الله له آمين... الحمد لله الذي شرف هذه الأمة المحمدية بأشرف الحلل".[2]

وختمه قائلا: "وقد كان ذلك مني في غرة ذي القعدة الحرام سنة 1292 هـ[3]، وفانا الله خيرها ورزقنا بمنه خيرها آمين آمين".[4]

(1) أبو راس الناصري، فتح الإله، ص: 181. ابن سودة، الدليل، ص ص: 69 – 70. بوعزيز، أعلام الفكر، ج2، ص: 241. وتجدر الملاحظة أن هذا المخطوط، موجود ضمن خزانة مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة تحت إسم" رسالة في نسب بعض أشرف الجزائر" يحمل رقم: 03/261، ويقع في أربع ورقات، قياس 14.5/21.5، مسطرة 37، نسخ في 10 ربيع الثاني 1263هـ. ومن المرجح أن يكون هذا المخطوط هو مروج الذهب السابق الذكر. ينظر: عبد الرحيم العلمي، فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2002، ج2، ص ص: 718 – 719.

(2) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 01.

(3) الموافق لسنة 1877م.

(4) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 40.

وبعد أن استغرق في ديباجة طويلة[1]، بدأ المشرفي كلامه بثنائه على أسرة المشارفة، منوها بقدرها ومكانتها عند حكام الأتراك، حيث ذكر في هذا الصدد توليهم لمناصب القضاء في أيامهم، إذ يقول: " فعلماء المشارف هم سيوف تلك الدولة، وتحفة تلك العصابة، وقضاة إيالتها، وإليهم المرجع في الحل والربط، والإتقان والضبط، يحلون ويبرمون، ويقرون الضيف ويكرمون".[2]

وبعد ذلك انتقل للحديث عن أصل الأتراك، حيث ذكر أنهم من أتباع أبي حنيفة النعمان[3] صاحب المذهب المشهور، وذكر بعض الأحاديث الواردة في حقهم، كحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "اتركوا الأتراك ما تركوكم...".[4]

وبعد أن استعرض أصلهم، عرج إلى الحديث عن حربهم مع الروس في حروب القرم[5]، وعن احتلال الجزائر زمن السلطان العثماني محمود الثاني، وكذا مبايعة ابنه عبد المجيد بعد

(1) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص ص: 01-02 .

(2) المصدر نفسه، ص: 02.

(3) **أبو حنيفة النعمان**: بن ثابت الكوفي، ولد سنة 80 هـ، حيث أدرك أربعة من الصحابة. توفي سنة 150هـ. ينظر: أحمد بن محمد الأدنوري، طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1997، ص: 18.

(4) أخرجه أبو داوود في كتاب الملاحم تحت رقم: 4302، عن أبي سكينة عن رجل من المحررين عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال هو حديث مرفوع. ينظر: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، السنن، مراجع وضبط محمد محي الدين عبد المجيد، ج4، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي ، ص: 112. وأخرجه النسائي في كتاب الجهاد باب غزوة الترك والحبشة في حديث طويل إلى أن قال: "دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم". ينظر: السيوطي، سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، ج6، القاهرة: دار الحديث، 1987، ص: 43. والحديث مرفوع، لأن في إسناده ابن سكينة، وهو ضعيف. ينظر: الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، مراجعة وضبط لجنة من العلماء، ج3، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م، ص: 301، عند رقم: 194. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج6، تقديم مجموعة من علماء الأزهر، بيروت،: دار الكتب العلمية، ص: 146، عند رقم: 5973. جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج9، تحقيق أيمن صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ص: 189، رقم: 6811. أبو حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ج9، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1953، ص: 387، ترجمة رقم: 1816. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج12، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994، ص: 102، ترجمة رقم: 8472.

(5) عن هذه الحرب ينظر: روبير شنيرب، تاريخ الحضارات العام، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر وفريد داغر، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 2003، ج6، ص ص: 125- 130.

وفاته[1]. ليعود إلى الحديث مجددا عن علماء الأسرة المشرفية، حيث تناول بالحديث كلاّ من عبد القادر المشرفي وابنه الطاهر[2]، وهذا الأخير أثنى عليه ثناءا حسنا، وذكر مزيته وفضله عند حكام الأتراك، حسب ما شاهده زمن قراءته بوهران.[3]

وقد انتقل بعد ذلك للكلام عن شيخه بن عبد الله سقاط المشرفي، وفي معرض كلامه عنه، ذكر وفادته إلى سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام، من طرف الأمير عبد القادر[4]، وينهي حديثه هذه المرة عن الشيخ عبد القادر المشرفي أيام الباي محمد بن عثمان الكبير.[5]

وبعد أن أثنى على علماء أسرته، انتقل المشرفي الى الموضوع الذي من أجله، سطر أوراق هذه العجالة، وهو الرد على أبي راس الناصري، الذي طعن في نسب المشارفة ونفى أن يكون نسبهم متصلا بنسب النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: "أما علمتم أن الشيخ أبا راس رحمه الله وسامحه، كان إماما عالما نفاعا مطاعا، شيخ الجماعة والإسلام بحاضرة المعسكر، متوليا خطة القضاء بها، مدرسا بجامعها الأعظم... ثم إن النفس الأمارة بالسوء، حملته على أن تكلم في المشارف، وفي أولاد سيدي دح بن زرفة، وفي كل من له شرف ديني أو طيني من أهل غريس، ونفى نسبتهم للجناب النبوي"[6]، مؤكدا على أن من تكلم في نسب المشارفة "كالشيخ أبي راس، فإنما تكلم من جهة الحسد لا غير، والحاسد يريد إطفاء نور الله"[7]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.[8]

(1) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص ص:02-04.
(2) المصدر نفسه، ص ص: 04-08.
(3) المصدر نفسه، ص: 04.
(4) المصدر نفسه، ص ص:10-11.
(5) المصدر نفسه، ص:11.
(6) المصدر نفسه، ص:12.
(7) المصدر نفسه، ص:13.
(8) التوبة، الآية 32.

وفي معرض حديثه عن ذلك، استطرد المشرفي كثيرا في ذكره لنسبة عائلة المشارفة وأورد أنها مسطرة في كتب التاريخ رغما عن أنف الحاسدين، مستدلا بما ذكره ابن جزي الكلبي في مختصر نسب آل عدنان، وابن الجوزي المزيلي في شرحه لعقد الجمان النفيس.[1]

وفي نفس السياق، أثبت مجموعة من القصائد لبعضهم، كقصيدة الشيخ مصطفى الرماصي في رثاء شيخه عمرو التراري التي جاء في مطلعها:[2] (من الطويل)

خليلي عوجا بي **على طلل عفا * معالمه قد غيرت ومعاهده**

وقصيدة الرماصي هاته كان قد نظمها على نسق أبي حيان التوحيدي حيث يقول:[3] (من الطويل)

هو العلم لا كالعلم لا شيئ تراوده * لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وفي ذكره لهذه المجموعة من القصائد، إنما هو تأكيد على مكانة علماء الأسرة المشرفية، وعظم شأنهم وشأوهم[4]، منبها على أن من سب ذرية النبي صلى الله عليه وسلم هو لا محالة خارجي، مستدلا بما ذكره البخاري في باب قتال المسلم، وبالأبيات التالية:[5] (من الرجز)

من سب آل رسول الله * فهو عدو وكافر بالله

يقتل شرعا باتفاق العلماء * إن لم **يتب من قوله ويندما**

ولا يصلي خلفه فرد ولا * يجوز في **شهادة إن نزلا**

إن مات عند الناس لا يكفن * وفي قبور المشركين يدفن

مبغضهم يموت كافر ذليل * ولا ينال رحمة من الجليل

(1) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص:14.
(2) المصدر نفسه، ص ص: 19-25.
(3) المصدر نفسه، ص ص: 25-26.
(4) المصدر نفسه، ص ص: 26-29.
(5) المصدر نفسه، ص: 34.

وقد أكد المشرفي على أن الشرف الرفيع، معرض دوما للقيل والقال والأذى مستشهدا بقول المتنبي: [1] (من الكامل)

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى * حتى يراق على جوانبه الدم

ومع أن المشرفي خصص هذا المؤلف للرد على من نفى نسبة المشارف للجناب النبوي، فإن ذلك لم يمنعه من التطرق لمواضيع أخرى، كأصل زناتة، وتاريخ بناء مدينة فاس، وتاريخ المرابطين[2] والموحدين[3] وبني مرين، والسعديين ثم العلويين الذين عاش في كنفهم، كما حدد لكل دولة منها مدة حكمها[4]. ثم تكلم عن أصل البربر وتاريخ دخولهم الإسلام[5]، ليختم كلامه بما يلي: "وهذه مبيضة عجالة، ألفها كاتبها مسؤولة منه لسائلها، سطرتها أبدي الأقلام، معتذرا فيما سطرت لخاصة الأعلام، أن يغضوا عني الطرف...".[6]

وعلى العموم، فان هذا الطرس يعد من نوادر ما ألف المشرفي في باب الردود، خاصة عندما يتعلق الأمر بالشيخ أبي راس الناصري ذي الشأن الكبير، والمقصود بهذا الرد.

---

(1) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص: 36.

(2) **دولة المرابطين**: ظهرت نتيجة دعوة دينية إصلاحية، قام عبد الل بن يسن الجزولي، الذي وحد قبائل صناجة الجنوب، وكانت أولى بذور هذه الدولة على نهر السنغال، وقامت رسميا على يدي يوسف بن تاشفين. وقد سقطت أخيرا على أيدي الموحدين مع بداية العقد الخامس من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ينظر: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج4، تحقيق إحسان عباس، ص: 07. حمدي عبد المنعم، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1986، ص: 38.

(3) **دولة الموحدين**: من أعظم الدول التي قامت بالمغرب الإسلامي، على أنقاض دولة المرابطين، مع بداية العقد الخامس من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، على يدي المهدي بن تومرت، ثم عبد المؤمن بن علي الكومي. وقد سقطت على عهد أبي دبوس في ذي الحجة 667هـ/ 30أو 31 أوت 1269م. ينظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، الدار البيضاء: دار أبي رقراق، ط1، 2005م، ص: 87. أمبروثيو هويثي ميرندا، التاري السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2004، ص ص: 25 – 143 و ص ص: 549 – 555. عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1983، ص ص: 45 – 118.

(4) العربي المشرفي، الرد على أبي راس، ص ص: 31-32.

(5) المصدر نفسه، ص ص: 32-33.

(6) المصدر نفسه، ص: 38.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المؤلف، الذي أنزله المشرفي في تسعة عشر (19) ورقة، لم نجد له ذكرا في الفهارس – الموجود والمتداول منها على الأقل- ولم يذكره المشرفي في حد ذاته، عندما أورد قائمة مؤلفاته في الذخيرة.

2.1- جواب على سؤال السند أبي الحسن علي بن طاهر المدني لعلماء فاس:[1]

انفرد بذكر هذا المؤلّف، صاحب "معجم طبقات المؤلفين"[2]، ويفهم مما أورده صاحب "الإعلام"، أنه من أعظم مؤلفات المشرفي قدرا، لكنه لم يذكر اسم المؤلف، إذ يقول: "وله مؤلفات من أعظمها جوابه على اللغز العجيب، الذي نظمه سيدي علي بن طاهر، وألقاه على علماء فاس، فلم يقدر أحد على جوابه إلا هو، وأصله للسيوطي".[3]

3.1- الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي، الناطق بخرافات الجعسوس[4] سيء الظن أكنسوس:[5]

ويعود تأليفه إلى يوم 19 محرم 1285هـ/ 12 ماي 1868م بفاس[6]. وقد قصد به صاحبه مناقشة المؤرخ محمد بن أحمد الكنسوسي[7]، في بعض المواضيع من كتابه "الجيش العرمرم الخماسي"[8]. وقد جاء رد المشرفي في مقدمة، وسبعة تراجم وخاتمة[9].

المقدمة: فقد خصصها للحديث عن فائدة علم التاريخ عند العرب وغيرهم من الأمم السابقة، حيث يقول عنها: "ما يسكّن كل هاجع، ويرد كل هامع".[10]

---

(1) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 82.

(3) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27.

(4) **الجعسوس**: اللئيم الخلقة والخُلُق. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص: 143، مادة: جعس.

(5) ابن سودة، الدليل، ص: 316. المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 103. سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 180.

(6) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 82.

(7) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 103. سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 180.

(8) **الجيش العرمرم الخماسي** في **دولة مولانا علي السجلماسي**: وهو كتاب ألفه الكنسوسي باقتراح من السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام، وتناول فيه تاريخ الدولة العلوية من قيامها حتى عام 1282هـ/ 1867م. ويعتبر عصر السلطانين أبو زيد عبد الرحمن بن هشام، ومحمد بن عبد الرحمن أهم أقسام الكتاب. وقد طبع هذا الكتاب طبعة حجرية بفاس سنة 1336هـ/ 1917م، في جزئين من الحجم المتوسط. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 134. فوزي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص: 40.

(9) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 180.

(10) المرجع نفسه، ص: 181.

أما مواضيع الكتاب الأخرى، فقد أورد المنوني، أن المشرفي ابتدأها مباشرة بالترجمة الثالثة[1]، ويبدو أنه اعتمد في هذا الوصف على نسخة مبتورة، بيد أن المتصفح لنسخة الخزانة العامة، يجد التقسيم العادي الذي ذكر سابقا.[2]

ولقد جاءت التراجم السبعة مبسوطة على النحو التالي:[3]

1- القدح فيه ليتفطّن لعيبه كل نبيه.

2- في الأشاعرة وذي السمت الرباني، شيخ المشايخ عبد القادر الجيلاني، حيث رد في هذه الترجمة على نعت محمد الكنسوسي الأشاعرة بالفرق الضالّة.

3- في الكبريت الأحمر، مولانا إدريس الأكبر.

4- في أولياء المغرب وزواياهم، مثل: زاوية وزان[4]، الزاوية الشرقاوية، الزاوية الناصرية بتمكروت، الزاوية الغازية، زاوية سيدي أحمد لحبيب، زاوية كرزاز، الزاوية القندوسية، الزاوية الكنتية، الزاوية البقالية بالحرائق.[5]

5- عرف فيها بقاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله العلوي السجلماسي، وعبد الواحد بن سودة.[6]

6- عرض فيها بعض كبار رجال المخزن أيام أبو زيد بن هشام، ومحمد الرابع.[7]

---

(1) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 103.

(2) وتحمل هذه النسخة رقم: 2276ك، من 226 ورقة، ص ص26 – 426، ويتخللها اضطراب في ترتيب الصفحات عند الصفحة 267. كما توجد منها نسخة بالخزانة الحسنية مصورة على الشريط تحمل رقم 1207. ينظر: المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 104.

(3) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 82 – 83.

(4) مؤسسها الشريف الوزاني عبد الله الشريف المستاري أصلا، الفاسي مولدا وقرارا ووفاة سنة 1071هـ/ 1660م. ولد سنة 1006هـ الموافق 1557م. درس بتطوان وفاس، ثم انتقل إلى ناحية، وزان، حيث صار له، أتباع كثيرون، وأنشأ بها، زاويته. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 50.

(5) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 103.

(6) المرجع نفسه، ص: 103.

(7) المرجع نفسه، ص: 103.

7- وقد ترجم فيها لمحمد الرابع ترجمة مستفيضة، وذكر ابنه الحسن وهو لا يزال وليا للعهد، ليعرج بعد ذلك على ذكر بعض العسكريين والمدنيين في دولة أبيه، مع ارتسامات عن كل واحد منهم، وختم هذا الباب بالتعريف بمدينة مكناس.[1]

الخاتمة: وقد عرف فيها بمدينة فاس، مع ذكر لبعض أعلامها في القرن الثالث عشر(13) الهجري، وقدم في ذات السياق ترجمة للشاعر والزجال سعيد المنداسي التلمساني، وأثبت مجموعة من أشعاره الفصيحة والزجلية.[2]

وأما عن الأسباب الداعية إلى تأليف "الحسام" يقول المشرفي في مقدمته لهذا المؤلف: "إذ لا زال نور النبوءة هاديا للتائهين مثلي...بلغ في غاية الجهل كجهلي، ويذكر ساداته العلماء الممدوحين في الأرض والسماء، ما بلغه بالسماع المستفيض عن تأليف عالم مراكش، الذي عير فيه أولياء ورماهم بالزندقة والفاحشة، وهذا هو الباعث على تسطير هذه الأبيات والأوراق، بما يوجب الرد عليه، حتى يجول في يمن الفاسي، وشام المغرب، وحوز المدينة الحمراء...غير أن الغيرة حملتني أن أرمي من رمى الأشاعرة، بما به يندق داره، وتنشل مشاعره".[3]

وقد كان للحملة التي شنها الكنسوسي في "الجيش العرمرم"، على العربي المشرفي ونعته بأسوأ النعوت، واتهام شيخ الدرقاوية بالجزائر، بإذكاء نار الفتنة مع الأتراك سنة 1805م[4]، وهو مالم يرق المشرفي كثيرا، واعتبره "إما جهلا منه بحقيقة الأمر لبعده عنه، وما كان له أن يمزق عرض ولي الله في حياته فضلا بعد مماته بسماع لم يثبت، وإما عنادا...".[5]

ويفهم من العبارة السالفة الذكر، أن الصراع الكبير بين المشرفي والكنسوسي، قد غذّاه كثيرا الانتماء الطرقي لكليهما، فالمشرفي من أتباع الدرقاوية التي تكن عداء كبيرا للتيجانية التي كان الكنسوسي أحد أتباعها، وهو ما عبر عنه المشرفي بقوله: "والرد على الواحد من الطائفة ردُ على الجميع".[6]

---

(1) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 103.

(2) المرجع نفسه، ص: 104.

(3) العربي المشرفي، الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي، ص: 07.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 83.

(5) العربي المشرفي، الحسام، ص ص: 192 – 193. الرد على أبي راس، ص:30.

(6) العربي المشرفي، الحسام، ص: 177.

ولم يقف المشرفي عند هذا الحد، بل نجده ينتقص من قدر شيخ الطريقة التيجانية ويحطّ من قيمته، إذ يقول: "فالشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه، في علم الظاهر شيء كبير، وهو سيد هذه الطائفة التيجانية، معدود من علماء الظاهر لا من علماء الباطن، إذ ليس له في علم الحقيقة وهو مطلوب حتى في علوم الشريعة...ولا يغرنك أيها الفقيه، أن للتيجانية مجتمعا ورقصا، فيعد غريقة، فإن الرقص لا يكون طريقة، لأن الطريقة علم وعمل معا، والرقص لا علم ولا عمل، أي لا عبادة...فيصفّقون ويرقصون ويرقصون، وذلك باطل ولهو، وليست منه العبادة ولا هو منها".[1]

وبعد رده على التيجانية، انتقل المشرفي إلى مدح السادات الدرقاوية ورفع من شأنهم، حيث اعتبر زاوية هذه الطريقة، "من الزوايا التي اشتهرت بمغربنا في آخر الزمان، وغطّت شهرتها كل زاوية نصبت للذكر أي مكان من الأمكنة، أو قطر من الأقطار، زاوية الشيخ المربي العربي الدرقاوي"[2]، وفي نفس الصدد نجده يقول: "كادت أن تنسخ الجميع، لقيام أهلها سادات الجد والاجتهاد"[3]، ولم يأل المشرفي جهدا في ذكر مناقب العربي الدرقاوي وشيوخه، وأطال في ذلك كثيرا.[4]

وقد كان لجرأة المشرفي على الكنسوسي، أن قدح في مدينة مراكش التي نزل بها هذا الأخير، حين قال:"الفقيه السوسي، المدعو الكنسوس، نزيل حمراء مراكش، التي معناها بلغة المصامدة إمش مسرعا، لأنها كانت مغارة تأوي إليها اللصوص"[5]، ولا أنسب لهذا المقال، للتعبير عن مدى حدة الخصام بين المشرفي والكنسوسي، سوى ما جاء على لسان الأول في "نزهة الأبصار"، حيث هجا الثاني بأسلوب خرج به عن المعقول، مما جاء فيه: "وأقبح المواضع المسكونة بهذا الخط من المعمور، أي القطب السوسي، إداً وكنسوس، وإداً وزكري، فأرضهم رقيقة فارغة من أوعار الجبال...وجلّ نباتهم القيصوم والزكوم وشوك السعدان، وغالب طباعهم

(1) العربي المشرفي، الحسام، ص ص: 54 – 62.
(2) المصدر نفسه، ص: 200.
(3) المصدر نفسه، ص: 169.
(4) المصدر نفسه، ص: 42.
(5) المصدر نفسه، ص: 42.

مركبة من طباع جيرانهم إيلالة، من كونهم لا يقرون ضيفا، ومنذ خلقهم الله لم يسلّوا والله أعلم في الجهاد سيفا...وأقبح من هذا كلّه، أنّ إداً وكنسوس، إذا أراد أحد الأخوين مثلا بقرة، يأخذ الآخر في نظيرها جارية تخدمه مدة عمره، أو أخذ أحد الإخوة بغلة مثلا، ويأخذ الآخر أباه نظيرها مثلا...فالأبوان يورثان عندهم بمنزلة المال والعبيد والأرقّاء، فما أقبحها عادة، وما أشنعها إرادة".[1]

كما نجده يدافع عن العادة السائدة وقتذاك، وهي عادة زيارة الأولياء، ويبررها مستشهدا ببعض أقوال المفسرين، وأخبار السنة، والعادات التي شاهدها خلال رحلته للحج 1848م عند مروره بمصر[2]، ويورد في ذات السياق فتوى المهدي بن سودة[3] التي تؤيد ما ذهب إليه.[4]

ولم يدخر المشرفي جهدا في هذا الإطار، ليعرف بأقطاب وشيوخ التصوف، مبتدئا بالشيخ عبد القادر الجيلاني، وزوايا المغرب الأقصى، مثل زاوية أبي الجعد[5]، والزاوية الناصرية[6] ، والزاوية الكنتية[7]، والزاوية الدلائية [8]، وزاوية أولاد البقّال.

---

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 85.

(2) العربي المشرفي، الحسام المشرفي، ص ص: 73 – 74.

(3) **المهدي بن سودة**: بن الطالب بن محمد فتحا، ولد سنة 1220هـ، الشيخ الحافظ المحقق الحجة، وإمام المدرسين، النفاعة المشارك، شيخ سلطان وقته. من آثاره حاشية على شرح الخرشي على المختصر في أربعة أسفار، وحاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع. توفي سنة 1294هـ، ودفن بمحلّ اتخذ زاوية له أسفل العقبة الزرقاء. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2656.

(4) العربي المشرفي، الحسام المشرفي ، ص ص: 91 – 92.

(5) المصدر نفسه، ص: 128.

(6) المصدر نفسه، ص: 131. أحمد عمالك، جوانب من تاريخ الزاوية الناصرية من النشأة إلى وفاة الشيخ محمد الحنفي (1052- 1325هـ)، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الرباط: دار أبي الرافراق، ط1، 2006، ص: 91.

(7) العربي المشرفي، الحسام، ص: 137 و ص: 169.

(8) **الزاوية الدلائية**: نسبة إلى مؤسسها أبي بكر محمد بن محمد بن سعيد الدلائي 1048هـ/ 1638م. وتقع الزاوية الدلائية في مرتفعات جبال الأطلس المتوسط، بين خنيفرة وتادلا. والدلائيون قبيلة من لمتونة الصنهاجية التي كانت تسكن بأقصى الصحراء المغربية، وفصليتهم القربى هي بنو طالب، ويقال لهم بلسان البربر (آيت يتدير) في عداد قبائل الأطلس المتوسط. ومن أبرز علمائها: أبو الحسن اليوسي، الأديب والفقيه المشهور. ينظر: محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 1988، ص ص: 27 – 35. الحركة الفكرية، ج2، ص ص: 499 – 503.

وإلى غير ذلك من المواضيع المتنوعة والثرية، ضمن المشرقي مؤلفه، فوائد تاريخية جمة، وعرف بجملة من فقهاء وعلماء القرن التاسع عشر(19)، وعدد من رجال المخزن الرحماني وابنه محمد.[1]

4.1- درأ الشقاوة عن السادات درقاوة:

ويظهر من عنوانه، أن المشرقي ألّفه للانتصار لشيخ الدرقاوية وأتباعهم. ولم يرد ذكر هذا المؤلف، سوى عند صاحب "الإعلام" الذي لم يعلّق عليه واكتفى بالقول، إن للعربي المشرقي مؤلّفا يحمل هذا الاسم، ولم يزد عن ذلك شيئا.[2]

5.1- الدر[3] المكنون[4] في الرد على العلامة جنون:[5]

ذكر ابن سودة، أن المشرقي انتصر فيه لأصحاب الطرق، ورد على المخالف ردا شنيعا، خرج به عن الحد الشرعي[6]، وذكر أنه يقع في مجلّد وسط[7]، إلا أن مصير هذا المؤلف يبقى مجهولا لحد الساعة، ولا تتوفر أية معلومات عنه.

6.1- المشرقي الحمزاوي لقطع فؤاد الخبزاوي[8]:

لم يرد ذكره سوى عند صاحب "دليل مؤرخ المغرب الأقصى"، الذي ذكر أنه عبار عن رسالة استهلّها بقوله: "الحمد لله مؤيد المؤمنين من غريس"، وقد رد فيه على أحد معاصريه،

(1) العربي المشرقي، أقوال المطاعين، ص: 86.

(2) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27.

(3) **الدر**: اللؤلؤ. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص: 333، مادة: درر.

(4) **المكنون**: المستور. ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص: 746، مادة: كنن.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 182.

(6) ابن سودة، الدليل، ص: 316.

(7) المصدر نفسه، ص: 316.

(8) **الخبزاوي محمد**: هو العلاّمة الفقيه، الخبزاوي العامري الحجازي، ثالث ثلاثة ف العدالة والزهد، إنسان العين، وعين الإنسان، فصيح القلم واللسان، من دعته إمارة المجلس بالجزائر، والعدالة بتلمسان، طبيب الأبدان والأديان، وهرمس الحكماء للتداوي. من منطقة الهازج بالقرب من سيدي بلعباس. عمل في محمكمة معسكر ثم تلمسان، من سنة 1870م إلى سنة 1890م، كما كان عضوا في المجلس الأعلى لحقوق المسلمين. ينظر: الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص: 155.

Allan Christlow, Muslim Law Courts And The French Colonial State In Algeria, Library of congress cataloging in publication data, 1947, p : 277.

حيث عاب عليه بعض المقطوعات الشعرية صدرت منه[1]، وأشار إلى وجود نسخة منه في نحو الكراسة بالخزانة الأحمدية بفاس.[2]

7.1- عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي: [3]

وهو مؤلف رد فيه المشرفي على الغالي بن محمد العمراني اللجائي[4]، الذي كان يتنطّع على الأمير عبد القادر.[5]

وقد أشار ابن سودة إلى أن نسخة من هذا الكتاب، موجودة بخزانة محمد بن إبراهيم الكتاني.[6]

8.1- الحسام المشرفي للمهاجر المقتفي:

ذكره المشرفي ضمن لائحة مؤلفاته في "الذخيرة"[7]، وعده من بين أهم كتبه الموجودة في المكتبة الملكية[8]، ولا يعلم ما المقصود بهذا التأليف، الذي يظهر أنه يدخل في باب المهاترات والردود.[9]

9.1- النجم الثاقب: ذكره في "الحسام".[10]

10.1- نزهة الماشي في قبائح العياشي المستغانمي: ذكره عرضا ضمن إحدى قصائده.[11]

11.1- تقييد في ذم أهل فاس:

---

(1) ابن سودة، الدليل، ص: 337.

(2) المصدر نفسه، ص:337.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 187.

(4) **اللجائي**: هو أبو محمد الغالي بن المكي بن سليمان، شاعر، أديب ناقد، رحالة، وله ورع بفن المسيقى. كان من أبرز كتاب السلطان الحسن الأول، الذي صحبه في حركاته المتعددة، في شمال المغرب وجنوبه. كما كانت له صلة وطيدة بالعديد من الأدباء والعلماء ورجال المخزن. توفي بمراكش سنة 1317هـ/ 1899م. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 86.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 187.

(6) ابن سودة، الدليل، ص: 340.

(7) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56 مخ.

(8) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 181.

(9) المرجع نفسه، ص: 181.

(10) العربي المشرفي، الحسام المشرفي، ص: 36.

(11) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 88.

لم يذكره سوى ابن سودة في "الدليل"[1]، وابن عمه وتلميذه مصطفى المشرفي في "الحلل البهية"، إذ يقول: "العلاّمة الأديب، سيدي العربي بن علي المشرفي- رحمه الله – جعل تقييدا في نحو الورقتين، في ذم فاس على عادته في الهجو"[2]. ويبدو أن أبا القاسم سعد الله، قد اطّلع عليه.[3]

2- الأدب الطب والفقه:

لقد اشتهر العربي المشرفي، بتآليفه العديدة في ميدان الأدب. وقد نظم الشعر وبرع فيه، وكان الطابع الغالب على أشعاره هو المدح تارة والهجاء تارة أخرى، وإضافة إلى كونه أديبا وشاعرا، فقد ألّف في الطب.

1.2- **حاشية على شرح المكودي**[4]:

أورده المشرفي ضمن مؤلفاته في الذخيرة، وأشار إلى أنه لم يكمل بعد[5]، كما أورده كل من ابن زيدان[6]، وصاحب "الإعلام"[7]، وتوجد نسخة واحدة من هذا الكتاب، بالخزانة الصبيحية بسلا، وتحمل رقم 312، وعدد أوراقها 129.[8]

وموضوع هذا المؤلّف في النحو[9]، حيث دون فيه المشرفي حاشية على كتاب شرح ألفية ابن مالك، لمحمد بن عبد الله المكودي المتوفي سنة 1799م.

(1) ابن سودة، الدليل، ص: 313.

(2) مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص: 143.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 180.

(4) **المكودي (ت: 1214هـ/ 1800م):** محمد بن عبد الله التازي، أبو عبد الله، متصوف من شيوخ المغرب، من أهل تازة، له تآليف كثيرة منها: رسالة في سلوك الطريق، وشرح منظومة أبي مدين الغوث. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص: 71.

(5) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(6) ابن زيدان، معجم طبقات المؤلفين، ص: 403. نقلا عن أقوال المطاعين، ص: 89.

(7) عباس بن إبراهيم، المصدر السابق، ج9، ص: 27.

(8) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص، 80.

(9) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 180.

2.2- **فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان[1]، أو المواهب السنية في شرح الشمقمقية:**

وهو من المؤلّفات الكبيرة للعربي المشرفي[2]، وقد قصد به شرح قصيدة أحمد بن محمد الحميري التواتي الفاسي، التي تحتوي على مائة (100) بيت[3]،والتي تعتبر من أعظم ما خلّف الشاعر ابن الونان المعروف بالشمقمق، المتوفي عام 1773م/ 1187هـ، وهي على روي القاف، على منوال الشعر الجاهلي، وجاءت على صغر حجمها، شاملة لعدة أغراض شعرية، كالمدح والحكم والأمثال والفخر والحماسة[4]، والتي هي في الأصل عبارة عن أرجوزة في مديح السلطان المغربي محمد بن عبد الله. وقد حذا فيها حذو معاصريه الذين تناولوا بالشرح لهذه الأرجوزة، مثل الناصري الذي شرحها في عجالة، وسمها بـ: "زهر الأفنان من حديقة ابن الونان".[5]

وقد انتهى المشرفي من تأليفه سنة 1295هـ/ 1877م[6]، واستهله بقوله: "الحمد لله المحمود بكل لغة وبيان، الموجودة قبل تكوين اللغات وجارحة اللسان"[7]، حيث استعرض فيه المشرفي، قوة عارضته الأدبية وملكته الشعرية الزاخرة، وأطنب كثيرا في ذكر بعض الاستطرادات التاريخية المتنوعة، مثل اهتمام سلاطين الدولة العلوية بأمور الدين. كما ذكر قصيدته المدحية في السلطان عبد الرحمن بن هشام وسياسته في الحكم.

وبالإضافة إلى ذلك، لم يخل هذا المخطوط وعلى عادة المشرفي في مثل هذه المواضيع، من ذكر بعض العادات الاجتماعية، كالتبغ والشاي والبن، حيث اعتبر أن "التبغ لا يشتريه إلا العامة، ورعاع الناس، وطهر الله من شربه الخاصة".[8]

---

(1) **ابن الونان**: هو أحمد بن محمد الونان، الحميري التواتي، الفاسي، أبو العباس، المتوفي بفاس سنة 1187هـ/ 1773م. أديب شاعر، اشتهر بأرجوزته المسماة الشمقمقية. ينظر: مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج2، ص: 33.

(2) العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

(3) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 152. بشير ضيف، ج3، ص: 152.

(4) عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني المصري، مج2، ص: 13.

(5) المنوني، نماذج من مصادر الدولة العلوية، ص: 14.

(6) ابن زيدان، الإتحاف، ج5، ص: 04.

(7) ابن سودة، الدليل، ص: 299. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 187.

(8) المصدر نفسه، ص: 90.

وذكر أن التاي مباح، إذ يقول: "أما عشبة التاي، التي انعقد اجتماع المغاربة على إباحة شربه، وغضوا البصر عما فيه من التبذير، وما هو إلا شهوة استلذتها النفس"[1]، وقد فضل المشرفي شراب البن عن شرب الشاي بقوله:

دعها ومد لي **قهوة بنية * وإن** لم **تكن لإفرنج الرهبان**

وتوجد من هذا المخطوط نسختان، إحداهما بالخزانة العامة وتحمل رقم: 629ج، في مجلد كبير الحجم، ثم الخزانة الحسنية في مجلدين من حجم متوسط، تحت رقم: 12476.[2]

3.2- **الفتح والتيسير** في **شرح منظومة غوثية البدر** المنير **السيد** محمد **العربي الوزير:**[3]

وقد وردا هذا المؤلّف تحت اسم آخر هو الفتح والتيسير في شرح قصيدة حوت من هم على قدم البشير النذير[4]، وقد قصد المشرفي من تأليفه هذا، مباركة شفاء الوزير الصدر محمد بن العربي الجامعي من مرضه الذي ألمّ به، ويستعطفه ويشكوه ضيق العيش وفقد المسكن، إذ يقول: "...إن الدهر لما أهملنا غاية الإهمال، وأنسانا صالح الأعمال، ودنس لنا العقول، فعميت علينا الأنباء والنقول، من أجل الاحتياج للسكنى...عند ذلك تفقدنا من له الكلمة التي لا ترد، وهو الوزير الأكبر، السيد محمد بن العربي الجامعي".[5]

وقد خصص المشرفي القسم الأول من هذا الكتاب، لشرح أرجوزته المطولة المسماة "غوثية البدر المنير، السيد محمد بن العربي الوزير"[6]، التي يدعو فيها بشفاء هذا الوزير، بعدما

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 90

(2) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 164.

(3) محمد **الكبير بن العربي الجامعي:** الوزير الصدر الأعظم، ينتمي إلى عائلة آل الجامعي التي ربطتها علاقة مصاهرة مع السلطان الحسن الأول. تولى الصدارة العظمى في عهد هذا الأخير سنة 1296هـ إلى أن مرض بداء النقطة وطال بع مرضه، ونحّي من منصبه بسبب ذلك. توفي سنة 1333هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2890.

(4) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 165. عبد الرحمن لحريشي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 91.

(6) ألّف المشرفي هذه المنظومة يوم 26 شعبان 1306هـ، وشرحها أواخر شعبان من نفس السنة. ينظر: الحريشي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

أصيب بالشلل[1]، حيث ذكر نص الأجوزة الذي يتألّف من سبع وسبعين(77) بيتا كاملا، وقد جاء في مطلعها:[2] (من الرجز)

الحمد لله إليه رحلتي * ولديار المسلمين كانت نقلتي

ثم أتبعه بالشرح الذي يقول في بدايته: "حمدا وشكرا لمن جعل الليالي والأيام متداولة بين الخيار واللئام..."[3]. كما ذيل هذه المنظومة بقصيدة أخرى من إحدى وثلاثين (31) بيتا، ذكر فيها هدية عبد العزيز ابن الحسن الأول، لينهي مؤلفه بقصيدة من سبعين (70) بيتا في ختم البخاري، وانتهى من تسطير عجالة هذا الكتاب، يوم الأربعاء 15 رمضان 1306هـ/ 15ماي 1889م.

وتتوفر من هذا المخطوط نسختان، الأولى بالخزانة الحسنية بالرباط، وتحمل رقم: 5271، والثانية بخزانة علال الفاسي وتتكون من مائة وست (106) صفحات.[4]

4.2- **الكنانيش:**

1.4.2- كناشة ك204:[5]

وهو كناش هام، يحتوي على تقاييد هامة، من قراءاته في التاريخ والآداب[6]، كما أنه يحتوي على أشعر متنوعة الأغراض[7]، استهلّها بالحديث عن وفاة السلطان العثماني محمود الثاني سنة 1255هـ/ 1839م، ومبايعة ابنه عبد المجيد.

(1) المنوني، المصادر العربية، ج2، ص: 166.

(2) الحريشي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

(3) المرجع نفسه، ص: 224.

(4) الحريشي، المرجع السابق، ج4، ص: 224.

(5) ابن سودة، الدليل، ص: 325. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 189. بشير ضيف، المرجع السابق، ج3، ص: 152. وربما وقع التباس عند أبي القاسم سعد الله، حين تناوله لهذا المخطوط، حيث ذكره مرتين وبنفس الرقم الذي أخذه المخطوط بالخزانة العامة بالرباط، الموضع الأول عند الصفحة: 182، والثاني عند الصفحة: 188. ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 182 وص: 188.

(6) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 182 وص: 188.

(7) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 92.

وبعد ذلك استعرض المشرفي مجموعة من القصائد المدحية، التي نظمها على شرف عبد الرحمن بن هشام وولديه محمد وسليمان، وابن الأخير عبد السلام.[1]

وفي ذات السياق نجده يثبت مجموعة من القصائد المدحية الأخرى، نظمها في بعض أعيان المخزن الرحماني، كالوزير محمد بن إدريس الجامعي، وأحمد الصقلي الفاطمي، واحميدة الشرقي، ومجموعة أخرى، كما أفرد أولياء مراكش السبعة بقصيدة مدحية كذلك.

وبعد أن أثبت هذه القصائد، عرج إلى الحديث عن الاحتلال الفرنسي للجزائر ضمن أرجوزة مطولة، جمع فيها عددا من الوقائع التي جرت بين الجزائريين والفرنسيين، وأردفها بمرثية في وطنه، ليختم كلامه في هذا الباب بذكر بعض الأشعار، وصف فيها أحوال هجرته إلى المغرب، ثم سجنه، واستقراره بها أخيرا بعد أن تم إطلاق سراحه.[2]

ومن المعلومات والاستطرادات التاريخية الهامة، التي أوردها المشرفي بين دفتي الكتاب يذكر ما يلي:

- جواب يوسف الفاسي[3]، عن سؤال القضاء والقدر، وهل بينهما الترادف والتباين.[4]

- جواب ابن مرزوق[5] عن سؤال الضرورات التي يجب حفظها: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

(1) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 92.

(2) المصدر نفسه، ص: 92

(3) **يوسف الفاسي**: هو عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي أبو محمد (1007 – 1091هـ/ 1599 – 1680م)، مفتي، وعالم بالحديث والفقه والنحو، وله مشاركة في علوم أخرى. ولد في القصر الكبير، ونشأ ودرس بفاس. ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص: 41. ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص ص: 186 – 188.

(4) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 92.

(5) **ابن مرزوق**: الولي الصلح، العارف الكبير، البركة، الشيخ الشهير، له كرامات، وخوارق وعادات. توفي سنة 1251هـ، ودفن بمدينة أصيلة، وبنيت عليه قبة يزار بها. ينظر: عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج7، ص: 2253. ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 2252.

- جواب محمد بن أحمد المسناوي[1]، حول النساء اللواتي بهن العنوسة.[2]
- قصيدة الأديب سليمان الحوات[3] مخاطبا علي بن ريسون[4]، الذي تعرض للطائفة الدرقاوية.[5]

وتجدر الإشارة، إلى أنه تتوفر من هذا المخطوط نسخة واحدة، ضمن مجموع مخطوط، بالخزانة العامة بالرباط، يحمل رقم: ك204، وكتاب المشرفي فيه من الصفحة 01 إلى الصفحة 150[6]، ولا يحمل أي عنوان ولا تاريخ تأليف، وهو حالة رديئة، ملئية بالخروم، وبه شروح غزيرة بهوامش وحواشي كل الصفحات.[7]

2.4.2- **كناشة ك 471:**[8]

وقد ضمنه المشرفي، تقاييد هامة دونها في العديد من المناسبات، واستعرض فيها مجموعة من الروايات التاريخية والأدبية، مع ذكر المصادر التي استقاها منها.

وقد جاءت هذه التقاييد، في عدة قوالب شعرية ونثرية، كذكر لأخبار الشعراء والحكماء، في فترات متفرقة من التاريخ الإسلامي، مع بعض المصنفات المغربية في المواعظ

(1) **المسناوي**: محمد بن أحد بن محمد الدلائي، أبو عبد الله (1072 – 1136هـ/ 1661 – 1724م)، نشأ وتعلم بفاس، وأصبح خطيبا، وإماما بالمدرسة البوعنانية، ثم بضريح الولى إدريس الأزهر، ثم مفتيا، وشيخ الجماعة بفاس. كان متمكنا من قواعد اللغة العربية، والفقه، والحديث، والتفسير، والجدل. ينظر: مخلوف، المصدر السابق، ص ص: 333- 334. حجي، الزاوية الدلائية، ص ص: 243 -247.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 92.

(3) **سليمان الحوات**: سليمان بن عبد الله العلمي الشفشاوني الحسني الشهير بالحوات الحسني، ولد يوم الجمعة من شهر رجب عام 1260هـ. كان عالما مقتدرا، نسابة متفننا، من آثاره: ثمرة أنسي في التعريف بنفسي، وقرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون. توفي يوم الثلاثاء 19 صفر 1231هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج7، ص: 1497. ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص: 241.

(4) **علي محمد بن ريسون**: كان من أشياخ الملحون، ونظمه في ذلك من أعلى طبقة، ويذكر أصحاب هذا الفن، أنه وقع له خصام مع نظيره الحاج أحمد الغرابلي، فأنشأ فيه قصيدة من الملحون جعل له فيها رصدا ألزمه الجلوس في حانوت قرب النخالي. توفي سنة 1340هـ. ينظر: ابن سودة، إتحاف المطالع، ج8، ص: 2927.

(5) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 93.

(6) وذكر المنوني أنه من الصفحة 03 إلى الصفحة 105. ينظر: المصادر العربية، ج2، ص: 130.

(7) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 92.

(8) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 188. بشير ضيف، ج3، ص: 152.

والأمثال، مثل كتاب المحاضرات للحسن اليوسي[1]، وكتاب الإبريز لابن المبارك السجلماسي، والروض الهتون في أخبار مكناسة[2] الزيتون لابن غازي.[3]

كما تخلل هذه الكناشة، ذكر لبعض المقطعات الشعرية والأراجيز، له ولغيره من شعراء الجزائر والمغرب، منها قصيدة شيخه السنوسي بن عبد القادر بن دحو، وقصيدة الشيخ الرماصي في رثاء شيخه التراري، في مائة وخمسين (150) بيتا، والتي جاء في مطلعا:[4]

خليلي عوجا على طلل عفا * معالمه قد غيرت ومعاهده

ويقع هذا المخطوط في 465 صفحة من الحجم الصغير.

5.2- **ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن:**[5]

ابتدأه المشرفي بمقدمة، ضمنها آداب الملك، ومدح السلاطين، ثم تحدث بعدها مباشرة عن دولة الحسن الأول[6]، هذا الأخير كان هو القصد من وراء تأليف هذا الكتاب، حيث وصف المشرفي نظام مخزنه، وركائزه من الحُجاب، والوزراء، والولاة، والكتاب، والقُياد، والأمناء، والسفراء، مع إعطاء تعريفات مختصرة، عن أبرز من تقلد هذه المناصب.[7]

---

(1) وقد حققه محمد حجي وأحمد الشرقاوي، وطبع في بيروت سنة 1982، في جزئين. ينظر: عمالك، المرجع السابق، ص: 180.

(2) **مكناسة**: بكسر أوله، مدينة بالمغرب قرب مراكش ، في بلاد البربر على البربر الأعظم. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص: 181. ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منـصور، الربـاط: المطبعـة الملكية، ط2، 1988، ص ص: 08- 72. الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 214.

(3) وهذا الكتاب من تأليف فقيه المغرب وعالمه، شيخ الجماعة، محمد بن أحمد، بن محمد، بن محمد، المعروف بابن غازي العثماني، نسبة إلى بني عثمان، أحد بطون قبيلة كنامة الريفية. ولد سنة 841هـ ، وتوفي بفاس، عشية الأربعاء 09 جمادى الأولى عام 919هـ. وقد ألّف هذا الكتاب، ليؤدي بعض ما يجب عليه نحو بلد ولد فيه ونشأ، وتأدب وتعلّم، اقتداء بمن تقدم عليه وتأخر عنه من العلماء والأدباء. ينظر: ابن غازي، المصدر السابق، ص: 05.

(4) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 189. الزوي الجيلالي والمشرفي بن عبد الكريم: "**نافذة على بعض علماء معسكر رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التراري**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، 2005/2004، ص ص: 85 -100.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 183.

(6) العربي المشرفي، ديوان نظم، و2و.

(7) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص: 93.

وفي معرض حديثه عن الحسن الأول، استعرض بعض قصائده التي نظمها فيه، ورتبها بحسب المناسبات التي قيلت فيها، مع تركيز على أهم المحطات الأساسية لفترة حكمه، مثل قصيدة دخوله مراكش في يوم الإثنين 03 ربيع الأول 1290هـ[1] ورحلتيه الأولى والثانية، إلى إقليم السوس[2]، وحركاته إلى الأطلس لإخماد بعض الفتن التي ظهرت به.[3]

وإلى ذلك، تضمن هذا الديوان قصائد المؤلف في مدح الحسن الأول، حين زيارته للصالحين، وخلال احتفالات ليلة السابع والعشرين (27) من رمضان، لختم صحيح البخاري.

كما ضمنه المشرفي قصائد في تهنئة الحسن الأول، بشفائه من مرضه سنة 1305هـ، وجاء في مطلعها:[4] (من البسيط)

لله من نزهة سر الفؤاد بها * وكادت أنفسنا بها تطير فرحا

وقد شفى الله سلطان الورى فلقا * كل الهنا وكمال الرأي قد صلحا

وإلى جانب ذلك، ذكر مجموعة قصائد أخرى، لغيره من الشعراء في مدح الحسن الأول، مثل أحمد بن المواز[5]، والتهامي مزوار المكناسي[6]، ليختم هذا الديوان بخاتمة طويلة، قسمها إلى أربعة فصول، جاءت على النحو التالي:

- **الفصل الأول:** [7] في فضل الخلافة المرادفة للملك[8]، وحلل فيها أحوال السلف في الخلافة، وشروط الولاية، حيث يقول: "فاعلم أن الخلافة، من النعم التي أنعم الله بها على

(1) ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص: 152.

(2) **إقليم السوس**: يقع في المغرب الأقصى قرب مدينة درعة، وهي قرى كثيرة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص: 305.

(3) عن تفاصيل هذه التمردات، ينظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص ص: 132 – 165.

(4) العربي المشرفي، ديوان نظم، و59و.

(5) المصدر نفسه، و68و- و69و.

(6) المصدر نفسه، و 70و- و71ظ.

(7) المصدر نفسه، و92ظ.

(8) **الخلافة**: هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي، في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها... فهي في الحقيقة خلاف عن صاحب اشرع، في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به. ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ص: 189. والخلافة من النبوة، وكان لها جلالة قدر، وفخامة أمر، أعلاها مراقب، وأشرفها مراتب...ومن حقوق الخدمة، وحدود الحشمة. ينظر: الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص: 05. ابن طباطبا، الفخري، ص ص: 23 – 41. الماوردي، الخلافة والملك، ص ص: 99 – 138. محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ص ص: 181 – 184.

صاحبها، وهي منصب رفيع، لما فيها من العدل، وإقامة مراسيم الدين، والذب عنه، وهذا الأمر من توابع الملك".[1]

- **الفصل الثاني**: [2]في فضل العلم عند الحاكم، واعتبره من شروط الملك المضافة إلى العدالة والكفاية، وسلامة الأعضاء، والنسب القرشي، إذ يقول: "اعلم أن العلم حلية، من حلل النبوة، لا يعطيه الله إلا لمن اصطفاه من عباده، فالعلماء ورثة الأنبياء وللوارث من الفصل الموروثة". [3]

- **الفصل الثالث**: [4]في حسم مادة المحاربين، والخوارج على الإمام وأهل البدع، وخلُص إلى القول: إن جهاد المتمردين والمحاربين، أفضل من جهاد الكفار، مستندا لما ذكره كبار الفقهاء كابن عبد السلام، حيث قال: "اعلم أن جهاد البغاة، والمحاربين، واللصوص، جهاد معتبر... وجهاد المحاربين جهاد معتبر".[5]

وعند حديثه عن الحسن الأول في هذا الفصل، أشاد بحلمه وعفوه على العصاة[6]، واستطرد في الكلام عن شروط الجهاد، كما أورد قصيدة طويلة تحدث فيها عن دخول الفرنسيين للجزائر، يقول فيها:[7] (من الطويل)

أبى القلب سلوة ومن لي **بسلوة * ونومي جفا من أجلِ فما** بمقلتي

وختمها: (من البسيط)

يا راكبين عتاق الخيل ضافرة * كأنها في **مجال السبق عقبان**

---

(1) العربي المشرفي، ديوان نظم، و92ظ.

(2) المصدر نفسه، و94و- و96و.

(3) وفي هذا يقول ابن خلدون: "وأما شروط هذا المنصب، فهي أربعة: العلم والعدالة، والكفاية، وسلامة الحواس والأعضاء، مما لا يؤثّر في الرأي والعمل، واختلف في شرط خامس، وهو النسب القرشي، والشرط الأخير إنما كان لإجماع الصحابة عليه، يوم السقيفة". ينظر: المقدمة، ص ص: 191 – 192.

(4) العربي المشرفي، ديوان نظم، و96و- و110ظ.

(5) المصدر نفسه، و96و.

(6) المصدر نفسه، و98ظ.

(7) المصدر نفسه، و105ظ – و110ظ.

تعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان

- الفصل الرابع[1]: وضمنه بيبليوغرافية ذاتية، حول نسبه، ودراسته، وشيوخه.

وفي آخر الديوان، ذيله المؤلّف بقصائد نظمها في حركة الحسن الأول، إلى بني مكليد، وعودته إلى مكناس، مع وصف للاحتفالات التي تمت بهذه المناسبة، وخروج السلطان منها إلى فاس.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الديوان، هو قيد التحقيق في إطار دكتوراه الآداب من طرف المهدي الفزني، بكلية الآداب بظهر المهراز فاس، منذ سنة 1998م.[3]

6.2- **أقوال المطاعين في الطعن والطواعين:**[4]

وهو مؤلف يفهم من عنوانه أنه مخطوط في الطب[5]، قسمه المشرفي إلى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة.[6]

وقد خصص المقدمة[7]، للحديث عن الطاعون الذي حلّ بمدينة معسكر سنة 1249هـ، وتلمسان عام 1271هـ، مع ذكر لنتائج الوفيات.[8]

وفي الفصل الأول[9]، فقد عرف الوباء لغويا واصطلاحيا، ومشيرا للوقت الذي يحلّ في الوباء، والأمكنة التي لا يدخلها في الفصل الثاني[10].

---

(1) العربي المشرفي، ديوان نظم، و110ظ- و116ظ.

(2) العربي المشرفي، أقوال المطاعين، ص ص: 94 – 95.

(3) عمر أفا، دليل الأطروحات، ج5، ص: 181.

(4) ابن سودة، الدليل، ص: 306. بشير ضيف، المرجع السابق، ج2، ص: 211.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 179. وذكره ابن سودة قائلا: "ولعله في حوادث التاريخ". ينظر: الدليل، ص: 306.

(6) أحمد العماري، نظيرة الإستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار المغرب نموذجا، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997، ص: 144.

(7) ص ص: 06 – 39.

(8) أحمد العماري، المرجع السابق، ص ص: 144 – 145.

(9) ص ص: 39 -51.

(10) ص ص: 52 -95.

أما في الفصل الثالث، فقد أورد الآيات والأحاديث الواردة في الوباء، وحكم من مات بسببه ومرتبتهم.[1]

وقد تكلم في الفصل الرابع[2]، عن العلاج المادي، والعلاج بالتمائم المأثورة، وعما يقع به الحجر للصحيح في وقته، حينما تطرق للفصل الخامس.[3]

وفي الفصل السادس[4]، تكلم عن حكم الفار من الأرض التي حلّ بها الطاعون، إلى أرض أخرى خالية منه، وأسباب ذلك، ليختم الحديث بالكلام في الفصل السابع، عن نظام الجنازة السني، وهل تشيع بالذكر أم بالسكوت؟ وهل الطاعون من أمارات الساعة أم لا؟.

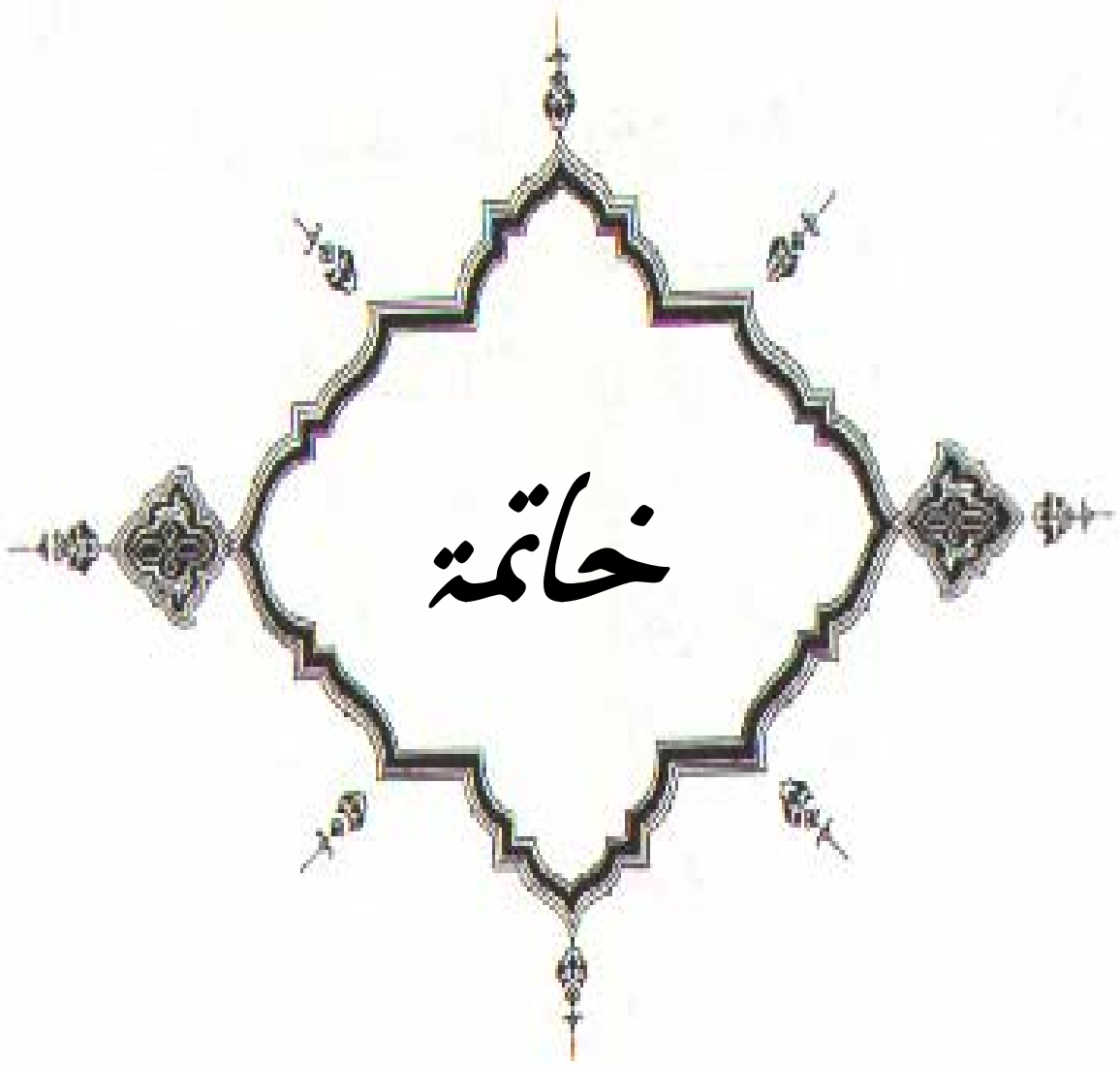
وفي خاتمة هذه المخطوط، أورد المشرفي نتائج، إحصائية لمن توفي بسبب هذا الوباء، وكثرة الصدقات، وما صاحب ذلك من جفاف وقحط، وكذا مواضيع فقهية أخرى في نفس الموضوع.

وبالرغم من أن المؤلف، ورغم احتوائه على معلومات غزيرة ومستفيظة من المغرب والمشرق، فقد غلب عليه عدم التنسيق في معلوماته، ولا التسلسل التاريخي، وغياب الموضوعية فيه.[5]

وعلى العموم، فالمخطوط مكتوب بخط مغربي جيد وملون، وتتوفر منه نسختان، الأولى بالخزانة الملكية بالرباط، وتحمل رقم: 2054[6]، والثانية بنفس الخزانة، وتحمل رقم: 1716[7].

7.2- **ورقات** في **رواج السكّة بالزيادة:** ويظهر من عنوانه أنه فقهي، أشار إليها أبو القاسم سعد الله، ولم يذكره غيره، وقال إنها توجد بمكتبة تطوان، وتحمل رقم: 1/ 343.[8]

(1) ص ص: 95 – 195.
(2) ص ص: 160 – 204.
(3) ص ص: 205 – 231.
(4) ص ص: 231 – 256.
(5) العماري، المرجع السابق، ص 145.
(6) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 179.
(7) وذكر ابن سودة، أنه رآه ضمن قائمة كتب دار المخزن السعيدة بفاس. ينظر: الدليل، ص: 306.
(8) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 190.


خاتمة

تناولت هذه الدراسة، أحد علماء الجزائر خلال القرن التاسع عشر، في مرحلة جد حرجة، شابتها الحروب والفتن والقلاقل المتلاحقة، جرت البلاد إلى وابل من المعاناة، وانتهت أخيرا إلى الاحتلال الفرنسي.

وفي ظل هذه .الظروف، ولد العربي المشرفي، أحد أبناء الجيل المخضرم، الذي عايش نهاية الحكم العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي.

ولقد بدأت هذه الدراسة، بالحديث عن أهم ما اتسم به عصر المشرفي، سياسيا، واقتصاديا ثم اجتماعيا، وكذا ثقافيا، خلال القرن التاسع عشر، الذي عرفت فيه البلاد أحداثا خطيرة، خلّفت آثارا سيئة على المجتمع والاقتصاد بمدينة معسكر، حيث أن حروب درقاوة بهذه المدينة مزقتها لمدة تربو عن العقد من الزمن، ثم تبعتها ثورة التيجانية من عين ماضي، فكانت هذه الظروف كلّها عاملا مهما في بناء شخصية العربي المشرفي، وتكوينه العلمي.

ويتضح جليا من خلال آرائه في الأحداث التي عاشها وشاهدها، خاصة حروب درقاوة، أنه كان من أتباع الطريقة الدرقاوية، ومن مناصريها، بل إنه خصها بمؤلف كامل.

كما أن انتماءه الطرقي الدرقاوي، لم يمنعه من أن يشارك في الحياة السياسية، ويبدي برأيه حول الأتراك، ، ووصفهم بأنهم من محبي أهل العلم، خاصة منهم علماء المشارف.

ومع أن المشرفي كان كثير الخوض في المسائل المتعلقة بالمغرب، فإن ذلك لم يكن ليحجبه، عن حقيقة ما آلت إليه البلاد بعد الحملة الاستدمارية الفرنسية عليها، فنجده يعبر عن امتعاضه من العنصر الإفرنجي عندما يردد كثيرا قوله: "دمره اللّه".

ولقد سخر قلمه كذلك، للدفاع عن وطنه، حيث نجده يشارك مع الأمير عبد القادر في حوالي ثمانين (80) موقعة ضد قوات الاحتلال، ويدونها في مرثية حزينة، أنزلها في

ثلاثمائة (300) بيت، وصف فيها أطوار المقاومة، راصدا تحركات الأمير عبد القادر وعوامل فشله.

ولقد كان من هذه العوامل كلّها، أن حزت في نفسية المشرفي كثيرا وأجبرته على الهجرة إلى المغرب الأقصى. وبالفعل كانت معركة عين طاقين 1843 التي انهزم فيها الأمير عبد القادر، فاصلا مهما بين مرحلتين مهمتين في حياته، وسببا من الأسباب التي أجبرته على الهجرة، فضلا عن شدة التنكيل والأذى الذي لحقه وعائلته من طرف سلطات الاحتلال، ليشرع في رحلة متعبة للهجرة إلى الديار الفاسية، التي شكّلت خاتمة مطاف بالنسبة له وللأسرة المشرفية عموما.

إن هجرة المشرفي إلى المغرب، قد تركت آثارها السيئة على نفسيته، التي اتسمت في غالب الأحيان بالإحباط الشديد، حيث كان لاعتقاله وسجنه نتيجة اتهامه بتحرير رسالة للأمير عبد القادر اعتبرت مساسا بأمن المغرب الداخلي، السبب الأكبر في ذلك، وهو ما أحدث تغيرا جذريا في حياته، وشخصيته خلال الفترة التي قضاها بسجون فاس.

ولم تمنعه فترة مكوثه في السجن، من الكتابة والتودد إلى سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد، الذي عطف عليه أخيرا بمساعدة ابنه محمد، وأمر بإطلاق سراحه، فمكّنه من الإبحار في رحلة حجازية مدفوعة التكاليف، حسب شهادة المشرفي.

وبعد عودته من هذه الرحلة، بدأ المشرفي يبحث عن موطئ قدم له بفاس، لكن نوائب الدهر وأواصر النكبات تلاحقت عليه، حيث تمّ تعيينه كمدرس للصبيان، وهو ما لم يكن يتوقعه، كونه من أبناء الأسرة المشرفية التي حظيت برعاية واهتمام ملوك المغرب وقتها.

كما أن فقده للمسكن وعوزه الشديد، والبخل الذي قوبل به من طرف العائلات الفاسية، أثرا كثيرا على حياته وشخصيته، فتألم لذلك كثيرا، وانتهى به الأمر أخيرا إلى هجاء القبائل والأسر الفاسية ونعتها بأسوأ النعوت.

وقد اتسمت أغلب كتاباته في هذا المرحلة(1844- 1873)، بالمزاج الحاد والأسلوب الجارح، ولا أدلّ على ذلك من كتاب" الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس".

ومع أنه عانى كثيرا خلال هذه المرحلة، فإن وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام نهاية سنة 1873، كانت بادرة خير بالنسبة له، حيث لم يتوان في تقديم التعازي للسلطان الجديد الحسن الأول، وتهنئته بالعيد في قصيدة رائعة، بل إنه أصبح أكثر تقربا من السلطان والتزلّف إليه، وهذه الأخيرة هي السمة البارزة التي عرف بها المشرفي إلى آخر أيام حياته، وجعل من ذلك وسيلة لكسب القوت والرزق.

وقد شكّل هذا الحدث، بداية منعطف حاسم في حياة المشرفي، حيث استطاع بموجبه دخول المعترك السياسي بالمغرب، وسهل له عملية التقرب من البلاط الحسني، فكان اختياره لأجل شرح الرسالة السلطانية لشرفاء زرهون المتمردين، مهمة أنجزها بامتياز، فدرت عليه خيرا كثيرا.

كما أنه حظي بمرافقة السلطان، في الكثير من جولاته التفقدية إلى البلاد، فكان ذلك أحد الأسباب التي شجعته كثيرا على تدوين هذه الرحلات، حيث ساعدته الظروف الجديدة التي تمناها كثيرا، على التأليف والكتابة بنفَس عالٍ، وجاءت كتاباته في هذه المرحلة (1873- 1894) خالية من التهجم والمزاج العكر، ومرحلة مختلفة إلى حد كبير عن المرحلة السابقة.

وقد عرف عن المشرفي كتاباته الغزيرة، وحاسته التاريخية القوية، جعلته يدون عدة مؤلفات تاريخية، جاءت مصدرا هاما في بابها، خاصة عندما ألّف على نهج المتقدمين في العصور السابقة له، وما تعلق بتاريخ الجزائر والمغرب خلال القرن التاسع عشر، فكان بحق مؤرخا بارعا.

وعليه، فقد كتب المشرفي في التاريخ وبرع فيه، وكان من المكثرين في الكتابة التاريخية كما ونوعا، حيث جاءت العديد من تآليفه تاريخية محضة، مثل ذخيرة الأواخر والأول، وطرس الأخبار.

كما دون معظم رحلاته في عدة مناسبات، خاصة مع السطان المغربي الحسن الأول، خاصة منها نزهة الأبصار، ورحلته إلى نواحي فاس، فجاءت مصدرا هاما في التاريخ السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي لكل من الجزائر والمغرب.

كما أنه اشتغل بالأنساب، وجاء عمله ممثلا في عدة مؤلفات أهمها كتابه ياقوتة النسب الوهاجة، الذي يعتبر من المصادر المهمة، لتراجم بعض علماء وصلحاء الجزائر على العهد العثماني، خاصة منهم سيدي محمد بن علي مولى مجاجة، حيث أمدنا عنه بمعلومات هامة، قلّ نظيرها في المصادر الأخرى. وبالإضافة إلى ذلك فقد ألّف المشرفي في المناقب والتراجم، وجاء كتابه نزهة الأبصار نموذجا حيا لذلك، لما ورد فيه من تراجم مستفيضة لعلماء وصلحاء مغرب القرن التاسع عشر.

ولم يقتصر المشرفي على الكتابة والتأليف عند هذا الحد فحسب، بل إن ألّف العديد من الكتب في باب الردود والاعتراضات، حيث عرف عنه لسانه الجارح، وهجوه المفرط، فدون في هذا الباب عدة مؤلّفات، لعلّ أهمها وأبرزها الحسام المشرفي، الذي أظهر فيه قوة عارضته الأدبية وملكته الشعرية الزاخرة، ورده على أبي راس الناصر المعسكري الذي نفى عن المشارف انتسابهم للجناب النبوي، حيث يعد هذا الكتاب من نوادر ما ألّف المشرفي في هذا الباب.

كمالم يمنعه اشتغاله في الميادين السابقة، من أن يؤلّف في الأدب، والطب، والفقه، فجاء عمله ممثلا في عدة شروح أدبية، عبرت في مجملها عن قوة أسلوبه الأدبي، نظما ونثرا، وجعلت منه أديبا وشاعرا.

كما أن مؤلّفه "ورقات في رواج السكة بالزيادة"، جاء مصدرا فريدا مهما، في باب النوازل الفقهية، وعبرت في فحواه عن تمكنه في الاجتهاد الفقهي، بل إنه أصبح بموجبها من الفقهاء العلماء، ومن مجتهدي عصره.

وهكذا يتضح أن المشرفي، كان كثير التأليف والكتابة، وشهد له بفضله ومنزلته العلمية بعض علماء عصره، ولقي معارضة شديدة من البعض الآخر، ربما لسلاطة لسانه وهجائه القوي.

توفي المشرفي سنة 1895، وخلّف ثلّة من التلاميذ كانوا له خير خلف لخير سلف.

بقي في الأخير، التأكيد، أنه وبالرغم من ذلك، يبقى المشرفي من أبرز علماء الجزائر، الذين ذاع صيتهم في المغرب وخارجه، وأنه قدم خدمات جليلة، ستمكّن الباحثين مستقبلا، من إماطة اللثام عن الكثير من القضايا العالقة إلى يومنا هذا.

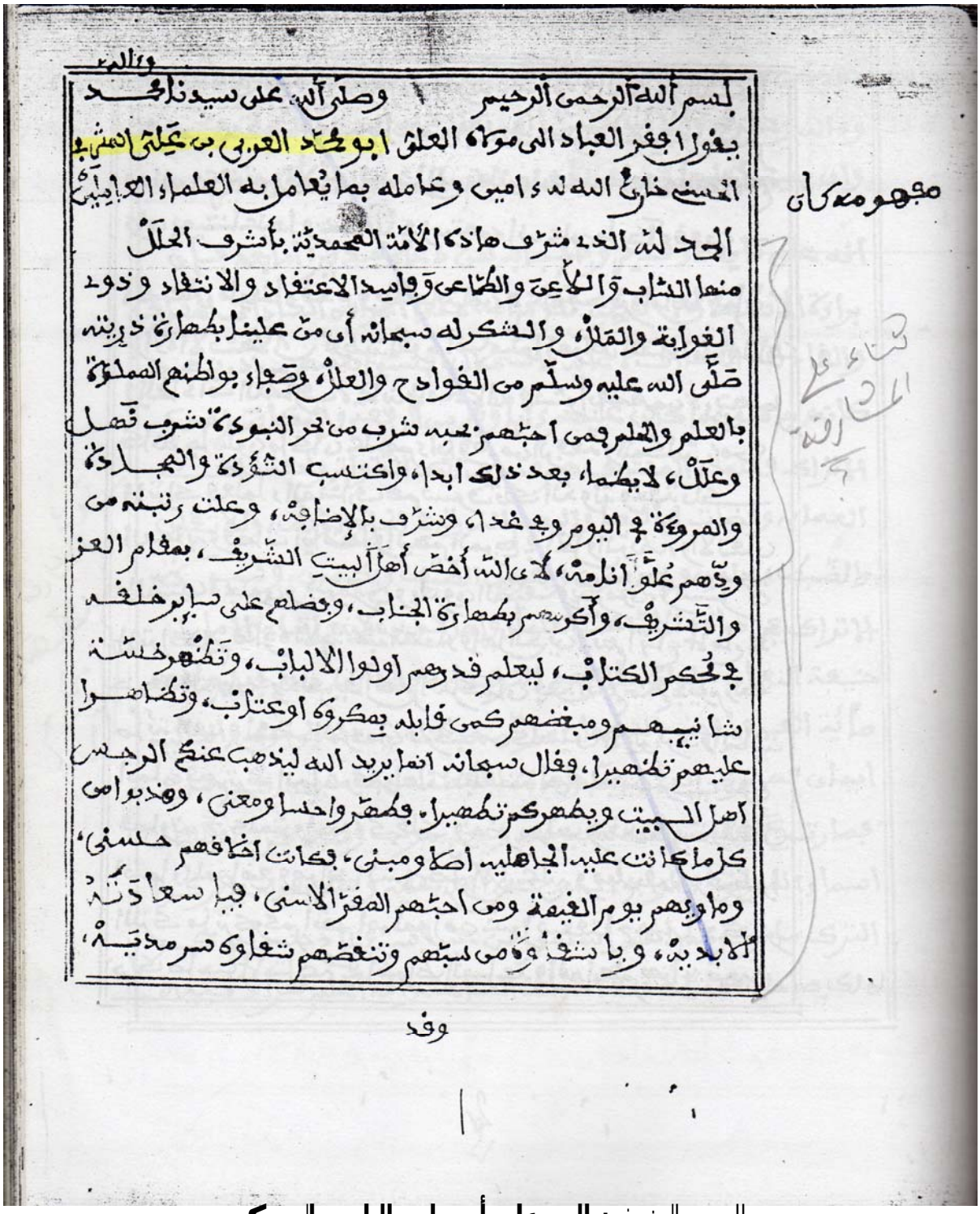
وعليه، فإن حياة المشرفي يبقى يكتنفها بعض الغموض في بعض مراحل حياته، خاصة مع فقد عدد مهم من تآليفه التي تقارب النصف تقريبا(17 مخطوطا)، ولن يتأتى جمعها والحصول عليها، إلا بتضافر الجهود.

ومما يحسن الإشارة إليه أخيرا، أن البحث في حياة العربي المشرفي وآثاره، أو أحد جوانبه مثل المشرفي مؤرخا، أو فقيها، أو رحالة، هي مواضيع مهمة تتطلب دراسات أكاديمية أخرى.

وختام الكلام، ندعو الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا متقبلا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الحسنات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ملاحق

الملحق الأول



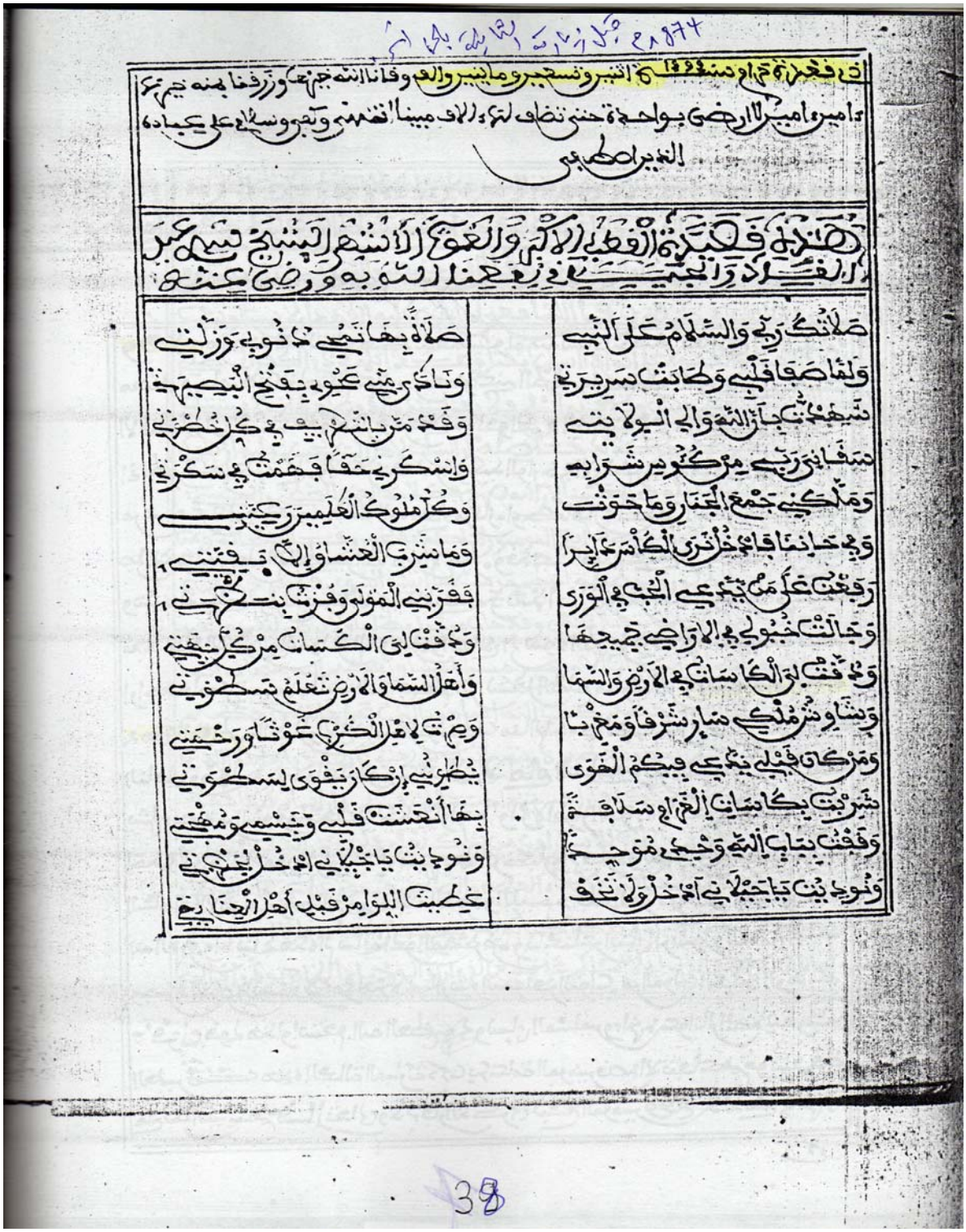
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
يقول أفقر العباد الى مولاه العلي ابو محمد العربي بن علي المشرفي
المسمى خازن الله لديه وامينه وعامله بما يعامل به العلماء العاملين
الحمد لله الذي شرف هذه الأمة المحمدية بأشرف المحل
منها الثواب والأجر والطاعة وفوائد الاعتقاد والانتقاد ودوام
الغزارة والقبول، والشكر له سبحانه أن من علينا بطهارة ذريته
صلى الله عليه وسلم من الفواحش والعلل، وصفاء بواطنهم المملوءة
بالعلم والحلم فمن أحبهم نحبه شرب من نهر النبوة شربا فضل
وعلل، لا يظمأ بعد ذلك ابدا، واكتسب الشرف والمجد
والمروءة في اليوم وفي غد، وشرف بالإضافة، وعلت رتبته من
ودهم علو آل فاطمة، لان الله أخص أهل البيت الشريف، بمقام العز
والتشريف، وأكرمهم بطهارة الجناب، وفضلهم على سائر خلقه
في محكم الكتاب، ليعلم قدرهم أولوا الالباب، وتظهر خسة
شانيهم ومبغضهم كمن قابله بمكروه أو عتاب، وتضاعفوا
عليهم تطهيرا، وقال سبحانه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت ويطهركم تطهيرا، فطهرهم حسا ومعنى، وهذبهم من
كل ما كانت عليه الجاهلية أصلا ومبنى، فكانت أخلافهم حسنى،
وما ربهم يوم القيمة ومن أحبهم الفوز الأسنى، فيا سعادته
الأبدية، ويا شقاوة من سبهم وتنقصهم شقاوة سرمدية،

وقد

العربي المشرفي: **الرد على أبي راس الناصر العسكري**

الصفحة الأولى

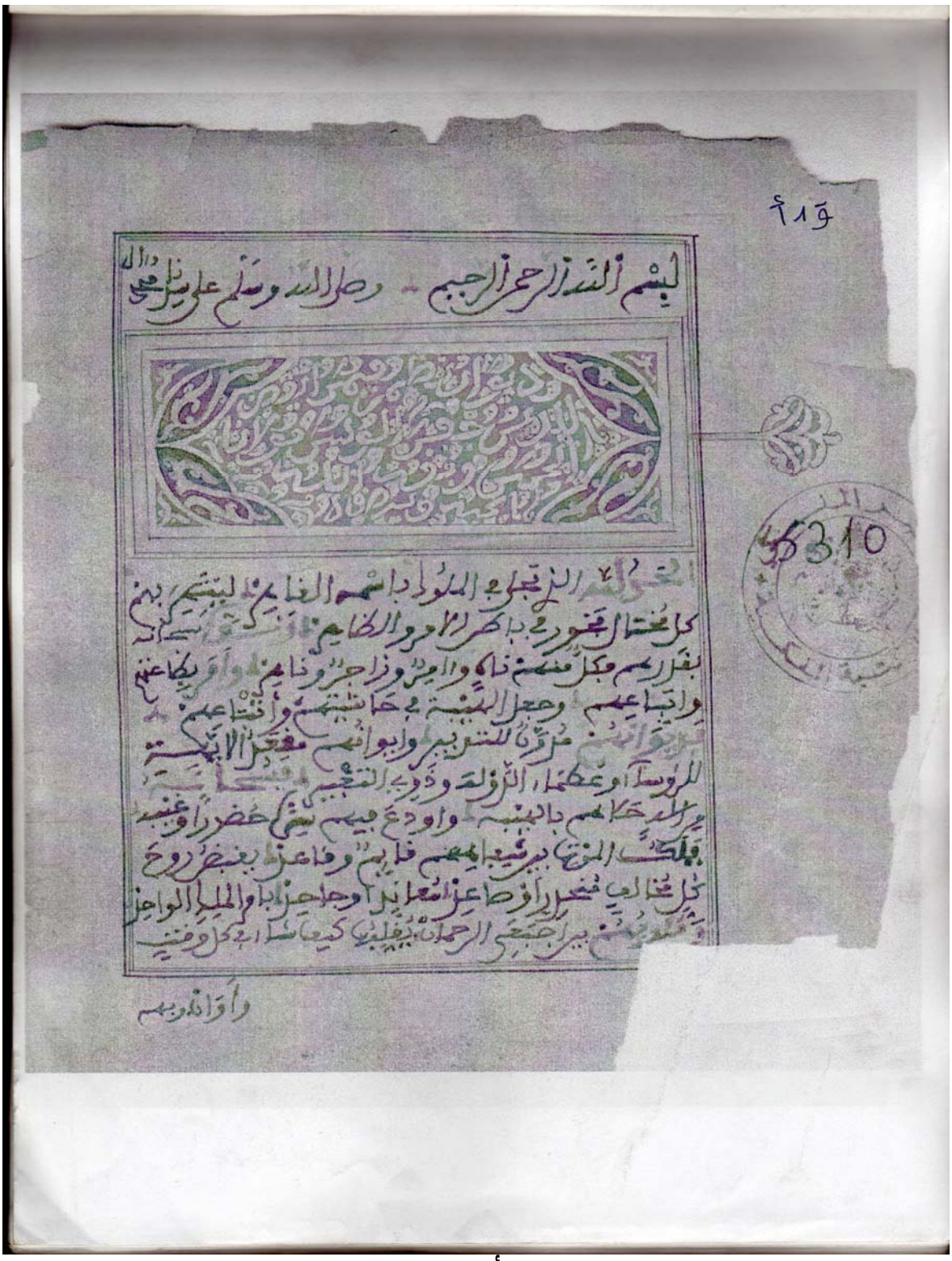
الملحق الثاني



العربي المشرفي: **الرد على أبي راس الناصر المعسكري**

الصفحة الأخيرة

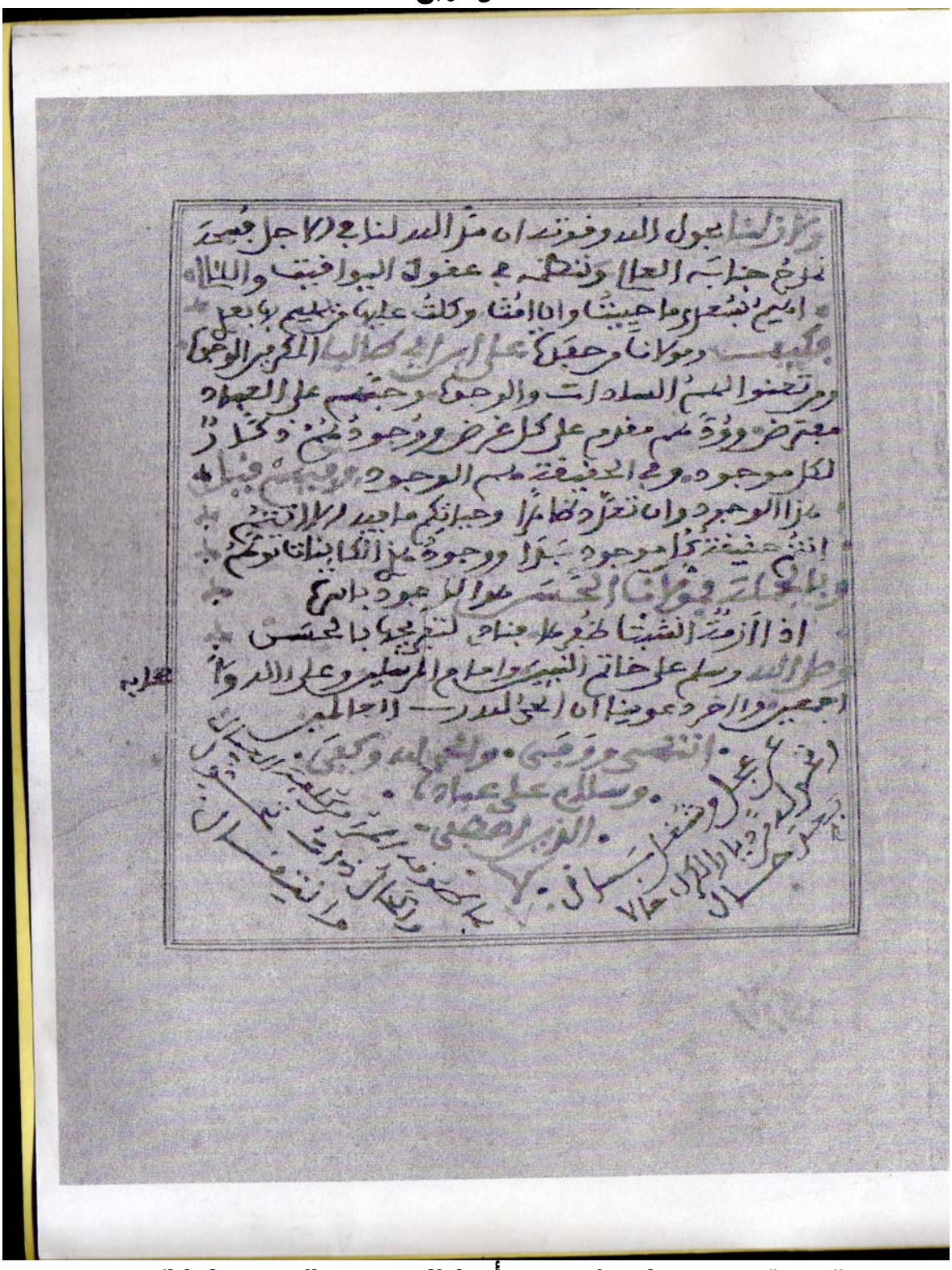
الملحق الثالث



العربي المشرفي: **ديوان نظم** في **من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن**

وجه الورقة الأولى

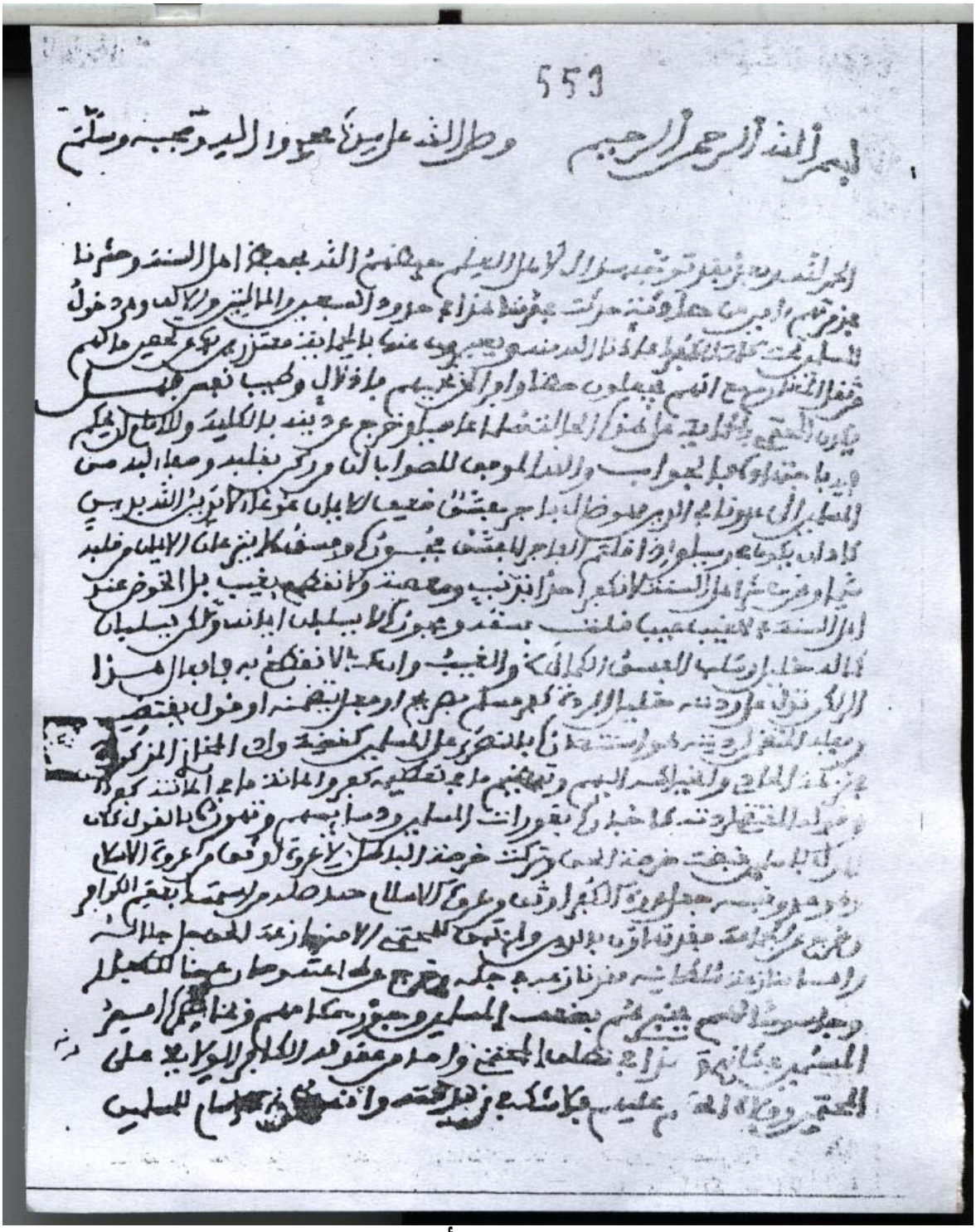
الملحق الرابع



العربي المشرفي: **ديوان نظم** في **من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن**

ظهر الورقة الأخيرة

الملحق الخامس



العربي المشرفي: **الرسالة** في **أهل البصبور الحثالة**

وجه الورقة الأولى

عمر أفا، تاريخ المغرب المعاصر، ص: 364

الملحق السادس



العربي المشرفي: **ياقوتة النسب الوهاجة**

الصفحة الأولى

الملحق السابع



العربي المشرفي: **يافوتة النسب الوهاجة**

الصفحة الأخيرة

الملحق الثامن



العربي المشرفي: **ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول**

الصفحة الأولى


فهرست الموضوعات

القرآن الكريم

المصادر المخطوطة:

1. سيدي محمد الشريف، **روضات الأزهار** في **التعريف بآل محمد المختار**، مخطوط بخزانة الشيخ البشير المحمودي البرج، معسكر(13 صفحة).
2. الطاهر المشرفي، **رد على عتاب**، مخطوطة بمكتبة الشيخ بلقرد بمعسكر، (03 ورقات).
3. عبد الرحمن التوجيني، **عقد الجمان النفيس** في **ذكر الأعيان من أشراف غريس**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3323، (04 ورقات).
4. العربي المشرفي، **الرد على** أبي **راس الناصر المعسكري**، مخطوط بمكتبة بلقرد بوكعبر، ولاية معسكر، (24 ورقة).
5. --، **ديوان نظم** في **من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن**، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 5310، (220 صفحة).
6. --، **ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن أخبار الدول**، مخطوط خ.ع رقم: 2956، (58 صفحة).
7. --، **رحلة إلى نواحي فاس**، خ.ع رقم ك1264، (10 صفحات).
8. --، **ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة**، مخطوط بخزانة البشير المحمودي، البرج، معسكر، (38 صفحة).
9. --، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسوس**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، (440 صفحة).
10. محمد الخليفة الكنتي، **الطرائف والتلائد** في **مناقب الشيخين الوالدة والوالد**، مخطوط بخزانة الطالب رمضاني بالمنصور أقبلي في أولف، بدون رقم، (524ورقة).
11. مصطفى المشرفي، **السهام الصائبة**، طبعة حجرية، ب ت(360 صفحة).
12. الناصر محمد أبو راس الجزائري (ت: 1238هـ/ 1823م)، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم: 1632.

المصادر المطبوعة:

13. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، **السنن**، مراجع وضبط محمد محي الدين عبد المجيد، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ج4، (345 صفحة).

14. ابن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم، (ت: 630 هـ/1233م): **أسد الغابة** في **معرفة الصحابة**، تقديم مجموعة من علماء الأزهر، بيروت: دار الكتب العلمية، ب ط، ج6، (463ص).

15. -- ، **الكامل** في التاريخ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987م، ج9.

16. -- ، **جامع الأصول** في **أحاديث الرسول**، تحقيق أيمن صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ج8 (608ص).

17. أحمد بن الأمين الشنقيطي، **الوسيط** في **تراجم أدباء شنقيط**، القاهرة: مطبعة الخانجي، ط4، 1989م، (582 صفحة).

18. أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، **المذكرات**، تعريب وتعليق محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1973م، (202 صفحة).

19. أحمد بن محمد الأدنوري (عاش في القرن 11هـ)، **طبقات المفسرين**، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1997، (595 صفحة).

20. أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة الباي محمد الكبير إلى الغرب الجزائري**، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم الجزائري، القاهرة: نشر عالم الكتب، 1969م، (125 صفحة).

21. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: 560 هـ/ 1166م)، **نزهة المشتاق** في **اختراق الآفاق**، بيروت: عالم الكتب، ط1، 1989م، مج.

22. البكري أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 487هـ/ 1094م)، **المغرب** في **ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من المسالك والممالك)**، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ب ط،(233 صفحة).

23. بلهاشمي بن بكار، **كتاب مجموع النسب والحسب** في **الفضائل والتاريخ والأدب** في **أربعة كتب**، تلمسان: مطبعة ابن خلدون، 1961. (440 صفحة).

24. التسولي أحمد، **أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر** في **الجهاد**، تحقيق ودراسة عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م، (400 صفحة).

25. التنبكتي أحمد بابا (عاش في القرن 11هـ/ 17م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م، 2ج، (ج1: 400ص – ج2: 408ص).

26. -- ، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس** في **الديباج**، تحقيق علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م، ج1، (296صفحة).

27. الجزنائي علي، **جني زهرة الآس** في **بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، 1991م، الرباط: المطبعة الملكية، (150 صفحة).

28. الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، **المذكرات**، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، 1980م، (255 صفحة).

29. الحاج مصطفى بن التهامي، **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، تحقيق وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995، (408 صفحة).

30. ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852 هـ/ 1448م)، **تهذيب التهذيب**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، ج12، (447صفحة).

31. الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، (ت: 944 هـ/ 1573م)، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الرباط: الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط2، 1983م (343صفحة).

32. الحفناوي أبو القاسم محمد بن إبراهيم الغول، **تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق وتقديم محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، بيروت: مؤسسة الرسالة، تونس: المكتبة العتيقة، ط1، 1982م، (624 صفحة).

33. ابن حوقل النصيبي أبو القاسم محمد بن علي (ت ـ: 368هـ ـ/ 978م)، **صورة الأرض**، بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة، ب ط، ب ت. (432 صفحة).

34. ابن خلدون عبد الرحمن (ت ـ: 808 هـ ـ/ 1405م)، **المقدمة**، بيروت: دار الفكر، ط1، 2003م (638 صفحة).

35. --، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وأخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2000م، ج6-7 (632- 762).

36. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ـ: 681هـ ـ/ 1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق **إحسان عباس**، بيروت: دار صادر، ب ط.

37. الذهبي شمس الدين، **الكاشف** في **معرفة من له رواية** في **الكتب الستة**، مراجعة وضبط لجنة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م، ج3، (589 صفحة).

38. الرازي أبو حاتم، **الجرح والتعديل**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1953م، ج9، (477 صفحة).

39. ابن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني** في **ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون، قسنطينة: مطبعة البعث، 1973م، (477 صفحة).

40. السخاوي شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن، (ت ـ: 902هـ ـ/ 1496م)، **الضوء اللامع** في **أخبار القرن التاسع**، بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة، ب ت.

41. سيمون بفاير، **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1974، (135 صفحة).

42. السيوطي، جلال الدين: **بغية الوعاة** في **طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1964م، ج2، (607 صفحة).

43. **سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي**، القاهرة: دار الحديث، 1987م، ج6، (447 صفحة).

44. شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمه وقدم له أبو سعد الله أبو القاسم، د.م.ج، سبتمبر 2004م، (419 صفحة).

45. ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي، **الفخري** في **الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر مايو، حلب: دار القلم العربي، ط1، 1997م، (334 صفحة).

46. عباس بن إبراهيم، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج9، المغرب: المطبعة الملكية، 1999م.

47. عبد الحفيظ الفاسي، **معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب**، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 2003م، (278 صفحة).

48. عبد الرحمن الشقراني الراشدي، **القول الأوسط** في **أخبار من حل بالمغرب الأوسط**، تحقيق وتقديم سعيدوني ناصر الدين، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991م، (106 صفحة).

49. عبد الرحمن بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، ج5، الدار البيضاء: مطابع إديال، ط2، 1990م، (ج5: 563 ص- ج2: 614 ص).

50. عبد السلام بن سودة بن عبد القادر، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، بيروت: دار الفكر، ط1، 1997م، (414 صفحة).

51. الأمير عبد القادر، **المذكرات سير ذاتية كتبها** في **السجن سنة 1849م**، تحقيق صغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة، 1994م.

52. عبد الكبير الفاسي، **تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م، ج7.

53. عبد الكريم الكتاني، **زهرة الآس** في **بيوتات أهل فاس**، تحقيق على المنتصر الكتاني، ج1، الدار البيضاء: منشورات النجاح الجديدة، (603 صفحة).

54. عثمان بن حمدان خوجة، **المرآة**، تحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975م، (310 صفحة).

55. ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب** في **أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة كولان وبروفنسال، بيروت – باريس، 1948م، ج1.

56. -- ، **البيان المغرب** في **أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ط2، 1980، ج4 (174صفحة).

57. ابن عسكر الشفشاوني محمد، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، مراجعة عبد المجيد خيالي، الرباط: مطبعة الكرامة، ط3، 2003م، (172 صفحة).

58. علي بن أبي زرع الفاسي (تـ: 741 هـ/ 1340م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس** في **أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط: دار المنصور للطباعة، 1972م.

59. ابن غازي عثمان، **الروض الهتون** في **أخبار مكناسة الزيتون**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1988م، (73 صفحة).

60. ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين (تـ: 799هـ)، **الديباج المذهب** في **معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق، مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1996م، (503 صفحة).

61. أحمد بن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس** في **ذكر** من **حل من الأعلام** بمدينة **فاس**، القسم الأول، 1975م، الرباط: دار المنصور للطباعة للطباعة والوراقة (380 صفحة).

62. القرافي بدر الدين محمد بن يحي بن عمر (تـ: 1008هـ)، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م، (310 صفحة).

63. القلقشندي، **صبح الأعشى** في **صناعة الإنشا**، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، ب ط، ج5، (506 صفحة).

64. ابن كثير الدمشقي إسماعيل، **البداية والنهاية**، تحقيق يوسف محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، ط3، 1998م.

65. مجهول، **الاستبصار** في **عجائب الأمصار**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ب ط، 1985م. (352صفحة).

66. مجهول، **كتاب غزوات غزوات خير الدين وعروج**، اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه نورالدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1954م، (169 صفحة).

67. مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، الدار البيضاء: دار أبي رقراق، ط1، 2005م.

68. محمد الصالح العنتري، **سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة**، منشور تحت عنوان: "مجاعات قسنطينة" من طرف رابح بونار، الجزائر، 1974م.

69. محمد بن الأمير، **تحفة الزائر** في **تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، شرح وتعليق ممدوح حقي، بيروت: دار اليقظة، ط2، 1964م، ج1، (947 صفحة).

70. محمد بن عبد الكريم، **حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته**، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1972م، (255 صفحة).

71. محمد بن محمد مصطفى المشرفي، **الحلل البهية** في **ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية**، تحقيق ودراسة إدريس بوهليلة، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2005م، (ج1: 330ص – ج2: 371ص).

72. محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية** في **طبقات المالكية**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1349هـ / 1930م.

73. محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية** في **الدولة البكداشية** في **بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق محمد ابن عبد الكريم الجزائري، ش.و.ن.ت، ط2، 1981، (415 صفحة).

74. محمد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران** في **أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، 1978م، (301 صفحة).

75. ابن مريم محمد بن أحمد، **البستان** في **ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 196م، (315 صفحة).

76. المزاري الآغا بن عودة، **طلوع سعد السعود** في **أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا** إلى **أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط$_1$، 1990م. 2ج، (ج$_1$: 405 ص- ج$_2$: 427ص).

77. مسلم بن عبد القادر الوهراني، **أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1974م، (127 صفحة).

78. الناصر محمد أبو راس الجزائري (ت ـ: 1238هـ/ 1823م)، **فتح الإله ومنته** في **التحدث بفضل ربي ونعمته حياة أبي راس الذاتية والعلمية**، تحقيق وضبط محمد بن عبد الكريم الجزائري، م.و.ك، 1990م، (185 صفحة).

79. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، 1954م، الدار البيضاء: دار الكتاب. (262 صفحة).

80. هلال بن المحسن الصابئ، **رسوم دار الخلافة**، تحقيق وتعليق ميخائيل عواد، القاهرة: دار الآفاق العربية، ب ط، 2003م، (198 صفحة).

81. إدريس بن أحمد الفضيلي، **الحلل البهية والجواهر النبوية** في **الفروع الحسنية والحسينية**، فاس، طبعة حجرية، ب ت.

82. روجي لو طورنو، **فاس قبل الحماية**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م، 2ج.

83. بروفنصال ليفي، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977م، (319صفحة).

84. -- ، **الإسلام** في **المغرب والأندلس**، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، الإسكندرية: منشورات شباب الجامعة، (390 صفحة).

المراجع باللغة العربية:

85. إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية**، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ط1، 1985م، ج3، (592 صفحة).

86. إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصرة**، د.م.ج، 1999م، (240 صفحة).

87. أحمد التوفيق، **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر إينولتان 1830 – 1912م**، الرباط: منشورات كلية الآداب، ط2، 1983، (669 صفحة).

88. أحمد الشباني الإدريسي، **مصابيح البشرية في أبناء خير البرية**، المغرب: ط1، 1987م، (327 صفحة).

89. أحمد الشريف الأطرش السنوسي، **كتاب العمر أو تاريخ الجزائر** في **خمسة قرون**، مخطوط بحوزة عائلته.

90. أحمد العماري، **نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار المغرب نموذجا**، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م، (652صفحة).

91. أحمد بن محمد عمالك، **جوانب من تاريخ الزاوية الناصرية من النشأة إلى وفاة الشيخ محمد الحنفي (1052 – 1325 هـ/ 1642 – 1907م)**، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرابط: دار أبي رقراق، ط1، 2006م، (785 صفحة).

92. أحمد مزيان، **فجيج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن التاسع عشر (1845م- 1903م)**، المغرب: مطبعة فجر السعادة، 1988، (592صفحة).

93. أرجمند كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827- 1847م**، نقله عن التركية عبد الجليل التميمي، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، ط2، 1974م، (94صفحة).

94. إسماعيل العربي، **العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير**، د.م.ج، مطابع الكرمل الحديثة، 1982م، (286 صفحة).

95. --، **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، ش.و.ن.ت، ط2، 1980م، (327 صفحة).

96. -- ، **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م، (334 صفحة).

97. أمبروثيو هويثي ميرندا، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، ترجمة عبد الواحد أكمير، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط$_1$، 2004م، (630 صفحة).

98. أندري نوشي وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة اسطمبولي رابح ومنصف عاشور، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، (427 صفحة).

99. ب.ح. روجرز، **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م**، ترجمة ودراسة وتعليق يونان لبيب رزق، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط$_1$، 1981م، (352 صفحة).

100. بوعزيز يحي، **أعلام الفكر والثقافة** في **الجزائر المحروسة**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط$_1$، 1995م. 2ج (ج$_1$: 342 صفحة. ج$_2$: 270ص).

101. --، **الموجز** في **تاريخ الجزائر الجزائر الحديثة**، ، الجزائر: د.م.ج، ج$_2$ (257 صفحة).

102. -- ، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية** الجزائرية، د.م.ج، 1985م، (159 صفحة).

103. ثريا برادة، **الجيش المغربي وتطوره** في **القرن التاسع عشر**، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1997.

104. جلال يحي، **العالم العربي الحديث**، الأزاريطة: المكتب الجامعي الحديث، 1998م، (631 صفحة).

105. جمال قنان، **قضايا ودراسات** في **تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، (325 صفحة).

106. جون.ب.ولف، **الجزائر وأوربا 1500 – 1830م**، ترجمة وتعليق أبو سعد الله أبو القاسم، الجزائر: م.و.ك، 1985م، (508 صفحة).

107. الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان** في **التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، د.م.ج، 1995م، (621 صفحة).

108. الحجوي محمد بن الحسن الثعاليبي الفاسي (ت ـ: 1376هـ ـ)، **الفكر السامي** في **تاريخ الفقه الإسلامي**، اعتنى به أيمن صالح شعبان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1995م، ج2، (606 صفحة).

109. حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ط2، 1996م.

110. حمدي عبد المنعم، **تاريخ المغرب والأندلس** في **عصر المرابطين**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1986م.

111. خالد بن الصغير، **المغرب وبريطانيا العظمى** في **القرن التاسع عشر (1856 – 1886م)**، المحمدية: مطبعة فضالة، 1990م، ب ط، (505 صفحة).

112. روبير شنيرب، **تاريخ الحضارات العام**، نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر وفريد داغر، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 2003م، ج6.

113. زهية قدورة، **تاريخ العرب الحديث**، بيروت: دار النهضة العربية، 1985م، (607 صفحة).

114. سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء** في **تاريخ الجزائر**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط3، 1990م، ج1-2، (ج1: 408 ص- ج2: 396 ص).

115. --، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900م**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1992م، ج1 (524 صفحة).

116. -- ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م**، ط1، 1998م، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (9ج).

117. -- ، تجارب في **الأدب والرحلة**، م.و.ك، 1983م.

118. -- ، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي المتوفى 1850م صاحب كتاب السعي المحمود** في **نظام الجنود**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990م، (146 صفحة).

119. -- ، **محاضرات** في **تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال**، الجزائر: ش.و.ن.ت، ط3، 1982م، (194 صفحة).

120. سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، **الجزائر** في **التاريخ العهد العثماني**، م.و.ك، 1984م، ج4، (242 صفحة).

121. سعيدوني ناصر الدين، **الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من قضايا ومفاهيم تاريخية**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000م، (520 صفحة).

122. -- ، **النظام المالي للجزائر** في **الفترة العثمانية 1800- 1830م**، ش.و.ن.ت، 1979م، (344 صفحة).

123. -- ، **دراسات تاريخية** في **الملكية والوقف والجباية، الفترة الحديثة**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2001م، (423 صفحة).

124. -- ، **دراسات وأبحاث** في **تاريخ الجزائر، العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، (356 صفحة).

125. -- ، **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، الإمارات العربية: مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، ط1، 2000م، (375 صفحة).

126. -- ، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م، (353 صفحة).

127. --، **ورقات جزائرية**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000م، (718 صفحة).

128. شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب: محمد مزالي وبوسلامة البشير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1969م، 2ج (ج1: 413 ص- ج2: 470ص).

129. صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830م**، الجزائر: دار هومة، 2004م، (422 صفحة).

130. صالح فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826 – 1850م**، د.م.ج، 1993م، (159 صفحة).

131. --، **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى**، الجزائر: دار الفجر للطباعة والنشر ، ط1، 2005م، (570 صفحة).

132. صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس، المغرب الأقصى**، مصر، مكتبة الأنجلو مصرية، ط6، 1993، (608 صفحة).

133. عباس سعدون نصر الله، **دولة الأدارسة في المغرب "العصر الذهبي" (172-221هـ/ 788-835م)**، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 1987م، (208 صفحة).

134. عبد الحميد زوزو، **مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال ديميشيل**، دار هومة، 2003م، (336 صفحة).

135. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، 1994م، 4ج.

136. -- ، **محمد بن شنب حياته وآثاره**، م.و.ك، 1983م، (181 صفحة).

137. عبد العزيز سالم، **المغرب الكبير، العصر الإسلامي**، ج2، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م، (669 صفحة).

138. عبد القادر بن عيسى المستغانمي، **مستغانم وأحوازها عبر العصور**، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط1، 1996م، (317 صفحة).

139. عبد الكريم غلاب، **قصة المواجهة بين المغرب والغرب**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، (367 صفحة).

140. عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب من الغزو الأيبيري إلى التحرير**، ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2، ب ت، ج3 (270 صفحة).

141. عبد الله بن عبد القادر التليدي، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، الرباط: دار الأمان، ط3، 2000م، (256 صفحة).

142. عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي، **مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي**، م.و.ك، 1985م، (319 صفحة).

143. عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، دار الكتاب اللبناني المصري، مج2.

144. عبد المجيد القدوري، **المغرب وأوربا ما** بين **القرنين الخامس عشر والثامن عشر مسألة التجاوز**، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م، (408 صفحة).

145. عبد الوهاب بن منصور، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880م**، ط2، 1985م، (212 صفحة).

146. عثمان الكعاك، **موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، تقديم ومراجعة أبو سعد الله أبو القاسم وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، (366صفحة).

147. عدة بن داهة، **معسكر عبر التاريخ**، دار الخلدونية، ط1، 2005م، (111صفحة).

148. عدي الهواري، **الاستعمار الفرنسي** في **الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830 – 1960م**، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983م، (224 صفحة).

149. العربي معريش، **المغرب الأقصى** في **عهد السلطان الحسن الأول 1873 – 1894م/ 1290- 1311هـ**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1989م، (310 صفحة).

150. عز الدين عمر أحمد موسى، **دراسات** في **تاريخ المغرب الإسلامي**، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1983م.

151. عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م، (624 صفحة).

152. عمار هلال، **أبحاث ودراسات** في **تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962م**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م، (484 صفحة).

153. -- ، **العلماء الجزائريون** في **البلدان العربية الإسلامية فيما** بين **القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(03 – 14 هـ)**، د.م.ج، 1995م، (470 صفحة).

154. عمر أفا، **تاريخ المغرب المعاصر دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد**، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2002م، (399 صفحة).

155. فؤاد صالح السيد، **الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا**، م.و.ك، 1985م، (349 صفحة).

156. فارس بوز، **تاريخ العرب في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة**، دمشق: منشورات جامعة دمشق، ط3، 2002م، (255 صفحة).

157. فوزي عبد الرزاق، **المطبوعات الحجرية بفاس فهرس مع مقدمة تاريخية**، الرباط: دار نشر المعرفة، 1989م، (208 صفحة).

158. فيصل موسى محمد، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، ليبيا: منشورات الجامعة المفتوحة، 1997م، (351 صفحة).

159. لقبال موسى، **المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن إلى نهاية ثورات الخوارج سياسة ونظم**، قسنطينة: مطبعة البعث، ط1، 1969م، (288 صفحة).

160. مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقد يم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، (513ص).

161. محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ش.و.ن.ت، 1983م.

162. محمد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، ج2، الفترة المعاصرة 1730 – 1930م، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدراسات البيبليوغرافية رقم 01، 1989م، (464 صفحة).

163. -- ، **قبس من عطاء المخطوط المغربي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999م، مج2.

164. -- ، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1985م، (520 صفحة).

165. محمد بن عميرة، **دور زناتة** في **الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، م.و.ك، 1984م، (338ص).

166. محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب** في **عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط: مطبعة فضالة، سبتمبر1978م، 2ج، (745 صفحة).

167. -- ، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 1988م، (360 صفحة).

168. محمد فاروق النبهان، **الفكر الخلدوني من خلال المقدمة**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط$_1$، 1998م، (342 صفحة).

169. محمود السيد، **تاريخ المغرب العربي ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2000م، (328 صفحة).

170. محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب**، القاهرة: المكتب الإسلامي، ط$_2$، 1996م، ج14، (356 صفحة).

171. المودودي أبو الأعلى، **الخلافة والملك**، تعريب أحمد إدريس، الجزائر: شركة الشهاب، 1988م، (244 صفحة).

172. مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة** في **العهد العثماني**، الجزائر: ش.و.ن.ت، ط$_2$، 1985م، (206 صفحة).

173. يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر** في **القرنين التاسع عشر والعشرين**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ج$_1$، (368 صفحة).

174. يوسف القرضاوي، **فقه الزكاة**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط$_{24}$، 2000م، ج$_2$.

175. يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش** في **الجزائر والمغرب 1832 – 1847م**، م.و.ك، 1990م.

الموسوعات والمعاجم:

176. ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، مراجعة مجموعة من الأساتذة، القاهرة: دار الحديث، ب ط، 2003م، 09ج.

177. الحميري عبد المنعم أبو عبد الله، (ت: 727هـ/ 1326هـ): **الروض المعطار** في **خبر الأقطار** معجم جغرافي مع مسرد عام، تحقيق إحسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر الثقافة، ط2، 1980م، (745 صفحة).

178. الزركلي خير الدين، **"الأعلام" قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، بيروت: دار العلم للملايين، ط8، 1989م، 8ج.

179. عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1983م، (430 صفحة).

180. عبد السلام بن سودة، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع**، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م، ج7-8.

181. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م، ب ط، 4ج.

182. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، ط2، 1995م.

الرسائل الجامعية:

183. أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني بالجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، 1988م، (213 صفحة).

184. بلبراوات بن عتو، **الباي محمد بن عثمان الكبير ومشرعه الحضاري 1779-1797م**، رسالة ماجستير، جامعة وهران 2002، (359 صفحة).

185. حمدادو بن عمر، **أبو راس الناصر العسكري وكناباته التاريخية**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2003م، (202 صفحة).

186. لحسن فرقان، **أقوال المطاعين في الطّعن والطواعين للعربي المشرفي** (دراسة وتحقيق)، دكتوراه، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003م، (200ص).

187. لزغم فوزية، **الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 1518- 1830م**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2006م، (308 صفحة).

188. مختار بونقاب، **تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر**، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002م، (179 صفحة).

المراجع باللغة الفرنسية:

189. Abdellah Laroui, **Les Origines sociales et Culturèlles du Nationalisme Marocaine (1830 - 1912**), paris, 1977.

190. Adolf Denezen**, Abdelkader et les relations entre les Françaises et les arabes en Afrique du nord**, Edution, A.N.E.P, 2001, (158 pgs).

191. Aouli Smail, **Abdelkader**, Paris, 1994.

192. Bruno Etienne, **Abdelkader**, Paris, 1994, (500pgs).

193. Charl .Rebert .Agéron, **Histoire de l'Algérie contemporaine**, P.E.F, Paris, 1964.

194. Charl André Julien, **Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation**, Paris, 1964.

195. Eisenbeth. M, **les Juifs en Algérie esquisse Historique de puis les origines jusqu 'à nos jours**.

196. G.L. Miége**, le Maroc et l'Europe 1830 – 1894**, édition la port, Rabat, 1996, tome2.

197. Jack Berque, **L'intérieure du Maghreb 18- 19 siècles**, édite galimard, Paris, 1978.

198. Kehle Athman, **Oran et l'Oranie Avant locuption Française**, société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran, A.A. des papétries et imprimeries, L. foque, (60pgs).

199. Le Chatelier, **Notes Sur Les Villes Et Tribus Du Maroc En 1890**, Angers: impremrie A. burdin ; 1902, (112 pgs).

200. Marcel Emirt, **L'Algérie a l'époque de l'Emir Abdelkader**, Paris, édition la rose, 1951 (302 pgs).

201. Moulay Belhmissi, **Marine et marins d'Algérie 1518 – 18**30, tome3, grandeur et décadence, bibliothèque nationale d'Algérie, 1996.

202. PH.de Cossé Brissac**, la France et le Maroc Pendant la conquête d'Algérie**, herspérise, 1931.

203. Shaw Tomas, **Voyage Dans La Régence D'Algérie**, Traduit de l'Englais par Mac- Carty.

204. Turin.Y, **Affrontement culturelles dans l'Afrique colonièle**, Paris, 1971.

المراجع باللغة الإنجليزية:

205. Allan Christlow, **Muslim Law Courts and the French Colonial State in Algeria**, Library of congress cataloging in publication data, 1947.

المقالات باللغة العربية:

206. إبراهيم لونيسي: "**مصطفى بن التهامي 1788- 1866م العالم ورجل الدولة**"، عصور، ع3، 2003م، تصدر عن مخبر مصادر وتراجم، قسم التاريخ جامعة وهران، (ص ص: 95 – 103).

207. بوعزيز يحي: "**الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر**"، مجلة الحضارة الإسلامية، تصدر عن المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، ع2، 1996م.

208. -- : "**المجاعات** في **الجزائر أواخر عقد الستينات من ق19**"، الأصالة، ع32، 1975، (ص ص: 7- 29).

209. -- : "**تاريخ مدينة معسكر الثقافي وجهاد الأمير عبد القادر**"، ملتقى الفكر الإسلامي، 1987م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، (ص ص: 61 - 84).

210. جمال قنان: "**معركة اسطاوالي**"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر: معهد التاريخ، ع2، 1986م، (ص ص: 54 - 61).

211. حبار محمد: "**أبو حامد المشرفي ومخطوطه ياقوتة النسب الوهاجة**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس، ع1، 2002م.

212. الزاوي الجيلالي والمشرفي بن عبد الكريم: "**نافذة على بعض علماء معسكر رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التراري**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، 2005/2004، (ص ص: 85 -100).

213. سعد الله أبو القاسم، "**مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر**"، الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة، عدد 75، سنة 13، 1983م.

214. سعيدوني ناصر الدين: "**الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية (1827- 1830)**"، الثقافة، ع28، السنة الخامسة، رجب شعبان 1395هـ/ أوت، سبتمبر 1975م، (ص ص: 11 - 23).

215. -- : "**العلاقات** بين **الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاساتها على المقاومة الجزائرية** في **أوائل عهد الاحتلال**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع2، (ص ص: 57 – 77).

216. -- : "**تدعيم الحكم التركي بالجزائر**"، الأصالة، ع32، أبريل 1976م، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي، (ص ص: 54 – 62).

217. صالح بن قربة: "**حسان بن النعمان الغساني ودوره** في **نشر الإسلام بالمغرب**"، الأصالة، مجلة ثقافية تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،السنة السابعة، محرم 1399هـ/1978م، ع 64، (ص ص: 58 - 105).

218. صالح فركوس: "**الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري**"، الثقافة، الجزائر، ع71، 1986م.

219. عبد القادر العافية: "**لمحات تاريخية عن مدينة شفشاون**"، دعوة الحق، ع5، جويلية 1977م.

220. عمار هلال، "**العلماء الجزائريون** في **فاس**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع09، الجزائر: معهد التاريخ، (ص ص 07 - 60).

221. الغربي غالي: "**ثورة ابن الشريف الدرقاوي**"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 10، 1997م.

222. محمد العربي الزبيري: "**المقاومة** في **الجزائر 1830- 1848م**"، الأصالة، عدد 30/29، 1976م، (ص ص: 02 - 20).

223. محمد المنوني: "**المصادر التاريخية للمغرب الشرقي** في **القرن التاسع عشر**"، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر الوسط الطبيعي التاريخ والثقافة، وجدة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، (ص ص: 361 - 409).

224. -- : "**شذرات عن واقع العالم الإسلامي خلال القرن 19 أحداث ونتائج**"، أغادير: جامعة ابن زهر، كلية الآداب، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس الرابع عشر(14)، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 1419هـ/ 1998م.

225. -- : "**نماذج من المصادر الرئيسية لتاريخ الدولة العلوية**"، دعوة الحق، السنة 31، ع01، 1990م.

226. -- : "**وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس**"، دعوة الحق، ع2، السنة العاشرة، ديسمبر 1966م، (ص ص: 104 - 106).

227. محمد بن معمر: "**الحياة العلمية** في **تيهرت إلى منتصف القرن السادس الهجري**"، مجلة الحضارة الإسلامية، تصدر عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، ع8، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م، (ص ص: 127 - 142).

228. محمد بوركبة: "**جوانب من مخطوط قلعة بني راشد**" للشيخ أبي عمران بن عثمان القلعي: المجلة الجزائرية للمخطوطات، تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران، ع1، جوان 2003م، (ص ص: 102 - 118).

229. مصطفى الشابي: "**الجيش المغربي في القرن التاسع عشر**"، متنوعات محمد حجي، بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، (ص ص: 361 - 398).

المجلات باللغة الفرنسية:

230. André Delpech**, Résumé Historique sur le soulèvement des Derkaoua dans la province d'Oran**, R.A, N 18, 1874, pp : 38 – 58.

231. Henri Pérès : **l'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877 – 1878,** R.A, N76, 1935. pp : 259 – 270.

232. Michaux Béllaire, les **Algériennes au Maroc et en Syrie**, Revue de monde Musulman, tom 2, 1907, (pp : 499-512).

233. -- , **les Musulmans d'Algérie au Maroc**, Archives Marocaine, vol 11,1907, (pp : 01-115).

234. PH. de Cossé Brissac, **la France et le Maroc Pendant la conquête d'Algérie**, Hérspérise, Tom 13, 1931, (35-115).

235. Tédenat**, Mémoires de Tédenat**, R.A, 1948.

فهرست الموضوعات#

الموضوع الصفحة

إهداء

شكر وامتنان

شكر خاص

مقدمة..... أ

مدخل..... 01

الفصل الأول: عصر المشرفي

المبحث الأول الحياة السياسية

1- حروب درقاوة 1805 – 1817م..... 12

2- ثورة التيجاني 1826م..... 20

3- نهاية التواجد العثماني بالجزائر..... 22

1.3- الحصار البحري 1827 – 1830م..... 22

2.3- الاحتلال الفرنسي1830م..... 26

4- المقاومة الشعبية 1830 – 1848م..... 30

1.4- مقاومة الأمير عبد القادر 1832 – 1847م..... 31

2.4- مقاومة أحمد باي 1830 – 1848م..... 36

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية

1- الحياة الاجتماعية..... 40

1.1- فئات المجتمع..... 40

2.1- الحالة الصحية..... 44

2- الحياة الاقتصادية..... 45

1.2- الزراعة..... 45

2.2- الصناعة..... 47

3.2- التجارة..... 48

المبحث الثالث: الحياة العلمية

1- الزوايا..... 50
2- المساجد..... 50
3- المدارس..... 51

الفصل الثاني: المشرفي من المولد إلى المشْيخة

المبحث الأول المشرفي من المولد إلى الهجرة1805- 1844م

1- اسمه ومولده..... 57
2- نسبه..... 59
3- دراسته وتكوينه..... 62

المبحث الثاني: هجرة المشرفي إلى المغرب 1844م

1- ظروف الهجرة..... 70
2- اعتقاله وسجنه..... 79

المبحث الثالث: إقامة المشرفي بفاس وصعوبة الاندماج **1848 – 1895م**

1- استقراره بفاس..... 86
2- علاقاته بعلماء فاس..... 100
3- تلاميذه وإجازاته..... 106

الفصل الثالث: آثار المشرفي

المبحث الأول: آثاره التاريخية

1- التاريخ العام..... 111
- ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول..... 111

2- تاريخ الجزائر..... 120
- طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مـع الكفار، وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار..... 120

3- تاريخ المغرب الأقصى..... 123
1.3- الرسالة في أهل البصبور الحثالة..... 123

2.3- مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان.... 127
3.3- تاريخ الدولة العلوية..... 129
4.3- الآيات والحوادث..... 129
4- الأنساب والمناقب..... 129
1.4- ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة. 131
2.4- تاريخ علماء فاس..... 131
3.4- إثمد الجفون في من بعهد الله يوفون..... 132
5ـ الرحلات..... 132
1.5- الرحلة العريضة في أداء الفريضة..... 132
2.5- نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار..... 133
3.5- رحلة إلى نواحي فاس..... 136
4.5- تمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والثغور..... 136

المبحث الثاني: آثاره في الردود والأدب، الفقه، والطب

1- الردود..... 138
1.1- الرد على أبي راس الناصر المعسكري..... 139
2.1- جوابه على سؤال السند أبي الحسن الصغير..... 144
3.1- الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي..... 144
4.1- درأ الشقاوة..... 149
5.1- الدر المكنون..... 149
6.1- المشرفي الحمزاوي..... 149
7.1- عجيب الذاهب والجائي..... 150
8.1- النجم الثاقب..... 150
9.1- الحسام المشرفي للمهاجر المقتفي..... 150
10.1- نزهة الماشي..... 150
11.1- تقييد في ذم أهل فاس..... 150
2- آثاره في الأدب، والطب، والفقه..... 151
1.2- حاشية على شرح المكودي..... 151

2.2- فتح المنان..... 152
3.2- الفتح والتيسير..... 153
4.2- الكنانيش: 154
1.4.2- كناشة ك204..... 154
2. 4.2- كناشة ك 471..... 156
5.2- ديوان نظم..... 157
6.2- أقوال المطاعين..... 160
7.2- ورقات في رواج السكة بالزيادة..... 161
خاتمة..... 162
ملاحق..... 168
قائمة المصادر والمراجع..... 177
فهرست الموضوعات..... 200